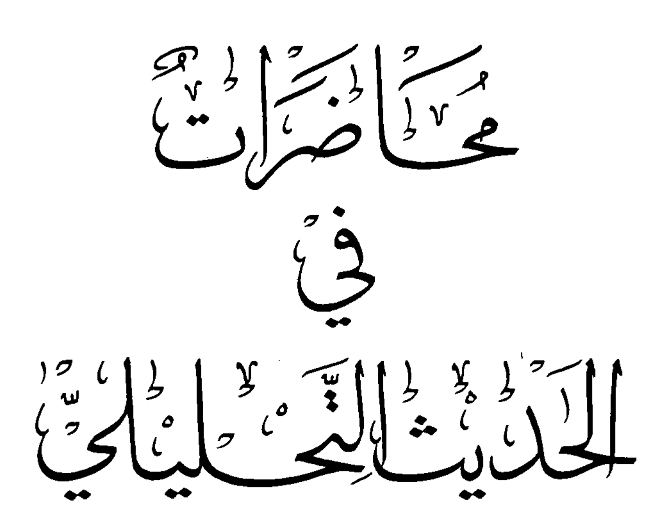


للأستاذ الدكتور

أبو لبابة الطاهر حسين

رئيس جامعة الزيتونة سابقا
أستاذ السنة النبوية وعلومها بجامعة الإمارات



الطبعة الأولى

1425 هـ - 2004 م

دار الغرب الإسلامي

ص: ب. 5787 - 113 بيروت

مُحَاضَرَاتٌ
فِي
الحَدِيثِ التَّحْلِيلِيِّ

الفهرس العام



بيروت – لبنان
لصاحبها : الحبيب اللمسي

شارع الصوراتي (المعماري) - الحمراء ، بناية الأسود
تلفون: Tel: 009611-350331 / خليوي: Cellulaire: 009613-638535
فاكس: Fax: 009611-742587 / ص.ب. 113-5787 بيروت ، لبنان
DAR AL-GHARB AL-ISLAMI B.P.:113-5787 Beyrouth, LIBAN

الرقم : 2004 / 6 / 2000 / 445

التنضيد : مؤسسة علوم التفسير ـ بيروت ـ لبنان

الطباعة : دار صادر ، ص.ب. 10 ـ بيروت

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلّى الله على سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

المقدّمــة

هَذِهِ جُمْلَة مِنَ الأحَاديثِ النَّبويّة الشَّرِيفَةِ مُنْتَقَاة مِنَ الصِّحَاحِ السِّتّةِ، وغَيْرِهَا مِنْ مَصَادِرِ الْحَدِيثِ رِوَايَةً، كَالأدَبِ الْمُفْرَدِ لِلإمَامِ الْبُخَارِيِّ [ت256هـ]، والإحْسَانِ فِي تَرْتِيبِ صَحِيحِ ابْنِ حِبَّان [ت354هـ] لِلْأمير عَلاءِ الدِّين عَلِيِّ بْنِ بِلْبَان الفارِسِيِّ [ت 739هـ]، ومُسند الإمام أحمد بْنِ حنبل [ت241هـ] وغَيْرِهَا، وهي تُمثّلُ مُفْرَدَاتِ مَسَاق "حديث تحليليّ" الذي تولّيتُ تدريسَهُ لِطَلَبَتِي بِالْجَامِعَةِ.

وَنَظَرًا لِتَنَوُّعِ مَخَارِجِ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ، وَتَعَدُّدِ مَوَارِدِهَا، إِلَى جَانِبِ تَنَوُّعِ مَوْضُوعَاتِهَا، وَجَدْتُنِي مُضْطرًّا لِوَضْعِ هَذَا الشَّرْحِ لَهَا، ذلك أَنَّ عُلَمَاءَ السَّلَفِ كَتَبُوا شُرُوحًا مَوْسُوعِيَّةً لِأُمَّهَات كُتُبِ السُّنّةِ وَدَوَاوِينِهَا الْمُعْتَبَرَةِ، كَالْمَوْسُوعَةِ الخالدةِ التي وضَعَهَا ابنُ حَجَرٍ الْعَسْقَلانِيُّ [ت852هـ] في شَرْحِ الْجَامِعِ الصَّحِيحِ للإمَامِ الْبُخَارِيِّ الْمَوْسُومَةِ " بِفَتْحِ الْبَارِي "، وكالشَّرْحِ الْمُتَدَاوَلِ الذي وَضَعَهُ الإمَامُ أَبُو زكَرِيَاء مُحْيِي الدِّين النَّوَوِيُّ [ت676هـ] لِصَحِيحِ الإمَامِ مُسْلِمٍ [ت261هـ] المَوْسُومِ "بالْمِنْهَاجِ في شَرْحِ صَحِيحِ مُسْلِمِ بْنِ الْحَجَّاجِ "، والشَّرْحِ الذِي وَضَعَهُ الإمَامُ أَبُو

بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الله بْنِ الْعَرَبِيِّ الإشبيليُّ [ت543هـ] لجامِعِ أَبِي عِيسَى التِرْمِذيِّ [ت279هـ]، وَالّذِي عنونه "بعارضة الأحْوَذِي عَلَى التِّرْمِذِيِّ "، وكالشّرْحِ الذِي وَضَعَهُ الْعَلَّامَةُ شَرَفُ الحقّ الشهيرُ بمحمّد أشرف بن عليّ المُكَنَّى بأبِي الطيّب العظيم آبادي [توفّي في القرن 14هـ]، لسنن أبي داودَ السِّجِسْتَانِيِّ [ت275هـ]، المَوْسُوم "بِعَوْنُ الْمَعْبُودِ شَرْحِ سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ "، وَالشَّرْحِ الَّذِي كَتَبَهُ الشَّيْخُ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْبَنَّا الشَّهِيرُ بِالسَّاعَاتِيّ [1301ـ 1378 هـ] وَالِدُ الشَّهِيدِ حَسَنِ الْبَنَّا، لِمُسْنَدِ الإِمَامِ أَحْمَدَ، وسمَّاهُ " بُلُوغ الأمَانِي مِنْ أَسْرَارِ الْفَتْحِ الربّانِيّ "، وَغَيْرِهَا مِنَ الشُّرُوحِ الْجَلِيلَةِ. وَكُلُّهَا مِنَ الضَّخَامَةِ وَالاتِّسَاعِ بِحَيْثُ يَتَعَذّرُ عَلَى الْجَامِعَةِ تَوْفِيرُهَا مَجّانًا لِطَلَبَتِهَا مِنْ دَارِسِي هَذَا الْمَسَاقِ.

وَبِنَاءً عَلَى مَا يَنْبَغِي عَلَى طَالِبِ الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ أَنْ يُحِيطَ بِهِ مِنْ أَدبيّاتِ هَذَا الْعِلْمِ وَأَدَوَاتِ مُعَالَجَتِهِ وَفَهْمِهِ، وَمَا يَحْسُنُ أَنْ يُلِمَّ بِهِ مِنْ فُنُونِهِ الضَّرُورِيَّةِ الْوَثِيقَةِ الصّلَةِ بِدِرَاسَتِهِ، ارْتَأَيْتُ إِيرَادَ الْأَحَادِيثِ بِأَسَانِيدِهَا الَّتِي رَوَاهَا بِهَا أَصْحَابُ كُتُبِ الرِّوَايَةِ، حتّى يَقِفَ الطَّالِبُ عَلَى مَا لا يَسَعُهُ جَهْلُهُ مِنْ تَرَاجِمِ صَفْوَةٍ مِنْ حَمَلَةِ هَذَا الْعِلْمِ الشَّرِيفِ فَيَعْرِفَ عَنِ الرَّاوِي مَا يُمَيِّزُهُ عَنْ غَيْرِهِ، وَيُلِمَّ بِاسْمِهِ وَنَسَبِهِ وَنِسْبَتِهِ، ولَقَبِهِ، وكُنْيَتِهِ، والعَصْرِ الَّذِي عَاشَ فِيهِ، وَأَبرزِ شُيُوخِهِ، وَأَشْهَرِ تَلامِيذِه، وَدَرَجَتِهِ مِنَ الْجَرْحِ وَالتَّعْدِيلِ، بِالإِضَافَةِ إِلَى تَقْيِيدِ مَا ذُكِرَ مِنَ الرُّوَاةِ مُهْمَلا وَتَوْضِيحِ وَبَيَانِ مَا ذُكِرَ مُبْهَمًا، فَضْلا عَنْ تَدْرِيبِ الطَّالِبِ عَلَى نُطْقِ أَسْمَاءِ الرُّوَاةِ عَلَى الْوَجْهِ الصَّحِيحِ إِذْ كَمْ هُوَ مُزْرٍ بِمَنْ يَتَصَدّى لِتَدْرِيسِ حَدِيثٍ شَرِيفٍ أَوْ ذِكْرِهِ لِلْاسْتِشْهَادِ بِهِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، ثُمَّ هُوَ يَنْطِقُ اِسْمَ رَاوِيهِ أَوْ رُوَاتِهِ بِاعْوِجَاجٍ لا يَسْتَقِيمُ مَعَ الْمُهِمّةِ السَّامِيَةِ الَّتِي نَدَبَ نَفْسَهُ إِلَيْهَا.

وَمِنْ أَدَبيّاتِ هَذَا الْعِلْمِ الَّتِي لا يَلِيقُ بِطَالِبِ الْحَدِيثِ جَهْلُهَا بَعْضُ مُصْطَلَحَاتِ الْمُحَدِّثِينَ الْمُشْتَهِرَةِ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ فِي وَصْفِ الْحَدِيثِ وَبَيَانِ دَرَجَتِهِ مِنَ الْقَبُولِ وَالرَّدِّ، وَوَصْفِ رَاوِيهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ مِنَ الْجَرْحِ وَالتَّعْدِيلِ. وَمَنْهَجُهُمْ الْعِلْمِيُّ فِي

قِرَاءَةِ الْحَدِيثِ مُسْنَدًا. . الأمْرُ الَّذِي دَعَانِي إِلَى الإشَارَةِ إِلَى بَعْضِ مُصْطَلَحَاتِهِمْ الْمُتَدَاوَلَةِ، وَشَرْحِهَا بإيجَازٍ، وَبَيَانِ بَعْضِ حُدُودِهِمْ وَرُمُوزِهِمْ وَمُخْتَصَرَاتِهِمْ الَّتِي دَبَّجُوا بِهَا مُصَنَّفَاتِهِمْ، حَتّى يُحْسِنَ الطالِبُ الْعَوْدَةَ إِلَيْهَا وَفَكَّ رُمُوزِهَا وَفَهْمَ مُرَادِ الْعُلَمَاءِ مِنْهَا، وَالانْتِفَاعَ بِكُنُوزِهَا الثَّمِينَةِ.

بالإضَافَةِ لِكُلِّ هَذَا فَقَدْ عُنِيتُ بِالشَّرْحِ اللغَوِيِّ لِمُفْرَدَاتِ الْحَدِيثِ الَّذِي يُعَدُّ قُطْبَ الرَّحَى فِي فَهْمِ الْحَدِيثِ وَالأدَاةَ الأسَاسِيَّةَ لِفَتْحِ مَغَالِيقِهِ، مَعَ الْوُقُوفِ أَحْيَانًا عَلَى مَا يَتَضَمَّنُهُ مِنْ إِشَارَاتٍ بَلاغِيَّةٍ تُبْرِزُ فَصَاحَةَ النَّبِيِّ ﷺ وَبَلاغَتَهُ وحُسْنَ بيَانِهِ وَفَرَادَتَهُ فِيمَا خَصَّهُ الله بِهِ مِنَ الجَمْعِ بَيْنَ أَنَاقَةِ الكَلِمَةِ وجَزَالَتِهَا ودِقَّةِ دلالتها. ونظرًا لِمَا لِلْإِعْرَابِ ولِبَيَانِ جِذْرِ الكلمة وأصلِ اشتقاقِهَا وبِنَائِهَا اللغويّ من أهميَّةٍ في تَجْلِيَةِ مَعْنَى الْحَدِيثِ، فَكَثِيرًا ما لا أُغْفِلُ الإشارةَ إلى وظيفةِ الكلِمَةِ، وإلى صيغتها الصرفيّة وأصلِ دلالتِهَا اللغويَّةِ.

وعلى العُمُومِ فَإِنَّ درسَ الحديثِ التَّحْلِيلِيِّ فِي شُمُولِهِ لِعَدَدٍ مِنْ فُنُونِ الْعِلْمِ، هُوَ أَشْبَهُ بِمَا يُعْرَفُ " بالمَسَاق التَّكامُليّ "، إذْ يَسْتَخْدِمُ فيه الطالِبُ خِبْرَتَهُ العِلْمِيَّةَ وَمَهَارَاتِهِ البَحْثِيَّةَ وَيَسْتَحْضِرُ مَا تَحصّلَهُ طَوَالَ مَسِيرَتِهِ الدِّرَاسِيَّةِ مِنْ مَعَارِفَ، كاللغَةِ والبيان والنحوِ والصَّرْفِ وعلومِ الحديثِ والتَّخْرِيجِ والفقه والسيرة والأدب والتاريخ والقَصَصِ ومعرفة البُلْدَانِ واستنباط الأحكام الشرعيّة، واستخلاص الدروس والعبر، وغير ذلك ممّا يَحْفَلُ به درسُ الحديثِ التحليلِيِّ.

وقد سلكتُ في الشرحِ، المنهجَ التاليَ:

- أشرَحُ بإيجازٍ ترجمةَ الباب المُدْرَجَ تَحْتَهُ الحديثُ، إن وُجِدَتْ.

- ثمّ أذكرُ المعنى الإجماليَّ للحديث.

- أُرْدِفُ ذلك بذكر أهمّ مُتَابَعَاتِ الحديث وشَوَاهِدِهِ. حسب المنهج العلميِّ المُتَّبَعِ في التخريج وذلك بإيراد المتابعة التامّة فالقاصِرَةِ، فالأَقْصَرِ، حتّى يكتسِبَ

الطالبُ الخبرةَ التطبيقيّةَ المطلوبةَ في التخريجِ الذي هو " إِكْسِيرُ العلم " ، على مَلْحَظِ شَيْخِنَا الشيْخِ الأستاذِ سيّد أحمد صَقْر طيّب الله ثراه.

ـ ثمّ أُعَرِّفُ بإيجازٍ برجالِ السندِ.

ـ ثمّ أشرَحُ مفرداتِ الحديث اللغويّةَ، وأُبرِزُ أَهَمَّ المعانِي التي تناولها الحديثُ.

ـ وأخيرا أَخْتِمُ باستخلاصِ الفوائِدِ والدروسِ والعِبَرِ التي يُمْكِنُ استنباطُهَا من الحديث.

وكثيرًا ما أُحيلُ في الشرحِ على فتح الباري لأنّهُ في ظنّي أَهَمُّ شروح الحديثِ، فهو يُعَدّ بحقّ فتحًا مُبينًا وبيَانًا ربّانيا لِسُنّةِ المصطفى ﷺ أَلْهَمَهُ الله اِبْنَ حَجَرٍ العسقلانيّ [ت852هـ]، إكرامًا لِصِدْقِ تَوَجُّهِهِ وإخلاصِهِ في خدمةِ دينِ الله بشرحِ أصحّ كتابٍ بعد كتابه عزّ وجلّ. وإذا كان الراوي مِنْ رِجَالِ الصحَاحِ الستّةِ، فإنّي أحيلُ في تَرْجَمَتِهِ بالهامشِ على تهذيب التهذيب، وإذا كان مِمَّنْ ترجَمَ له أبو الوليد الباجي [ت474هـ] في كتابه" التعديل والتجريح "، فإنّي كثيرًا ما أحيلُ عليه لما تضمّنته هَوَامِشُهُ مِنْ إحالاتٍ واسعةٍ على مصادرِ تراجِمِ الرواةِ.

إنّ هذا الشَّرْحَ وإنْ أَعْطَى الطالِبَ نُبَذًا مِنَ الْعُلُومِ والمعارفِ التي تُقَرّبُ إليه فَهْمَ الحديثِ، وتُيَسّرُ له الوقوفَ على طرائقِ دراسَتِهِ وسُبُلِ الإلمامِ بِمَضَامِينِهِ، إلا أنّهُ لا يُغْنِيهِ عن الرجوعِ إلى أمّهاتِ الشروحِ، فهو بِمَثَابَةِ المَدْخَلِ الذي يُغْرِي الطالبَ بالتوَغُّلِ في رِحَابِ السُّنّةِ وفَتْحِ أبوابِ رِيَاضِهَا الفسيحةِ ونوافِذِهَا العريضةِ التي تَزْدَانُ بها شُرُوحُ أسلافنا المَوْسُوعِيّةِ الشامِلَة، فَيَمْتَحُ من مَعِينِهَا الصافي ويَنْهَلُ من وِرْدِ عِلْمِهَا الطَّهُور.

وإنّي مُوقِن أنَّ الكتابةَ العِلْمِيّةَ الجادّةَ في شَرْحِ الحديثِ النبَوِيِّ لَيْسَتْ بالعمَلِ الهيّنِ، فهي مَحْفُوفَة بالكثيرِ من المَحَاذِيرِ والمَزَالِقِ ذلك أنّ حديثَ الرسول ﷺ دينُ

أي هو الدُّنْيَا والآخِرَةُ، فهو العقيدةُ والشريعةُ والعبادةُ والمُعَاملةُ وهو الجنّةُ والنارُ والحلالُ والحرامُ وهو الأخلاقُ والأدبُ والمدنيّةُ والحضارةُ.. وقد حَذّرَ علماءُ سلفنا قديمًا من أَخْذِهِ بدون تَثَبّتٍ، والخَوْضِ فيه بلا عِلْمٍ والقولِ فيه بدون تروٍّ، ولا تَحَقّقٍ، ودَعَوْا إلى تلقّيهِ عن أهل العدالةِ والعلمِ والتُّقَى والدينِ فقالوا: " إنّ هذا الأمْرَ دِين فانْظُرُوا عَمّنْ تأخُذُون دِينَكُمْ ".

إنّها تَجْرِبَة مُضْنِيَة وهي لا شكّ مَشُوبَة بالكَثِيرِ من التقْصِيرِ والقُصُورِ المُلازِمِ لأعمال البَشَرِ، لأنّ الْكَمَالَ والعِصْمَةَ خَصّ الله بِهِمَا كِتَابَهُ وَ مَا صَحّ من سُنّةِ رسُولِهِ الأكْرَمِ عليه الصلاة والسلام. أسألُ الله العَلِيّ القديرَ أَنْ يجعَلَهُ خالِصًا لوجهه الكريم، و شَفِيعًا لي عنده يومَ الدِّين، وأنْ يَنْفَعَ بِهِ أَبْنَاءَ المسلمين، وَيَكُونَ لَهُمْ مِرْقَاةً لِخِدْمَةِ هذا الدِّين ورِفْعَةِ شَأْنِهِ في العَالَمِين.

وآخِرُ دعوانا أَنِ الحَمْدُ لله ربِّ العالَمِين وصلّى الله على سيّدنا محمَّدٍ وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ أجمعين.

مدينة العين ـ يوم الجمعة 14 من المحرّم الحرام 1425هـ

[5 مارس 2004م.]

الحديث الأول:

قال الإمام البخاريّ رحمه الله تعالى: حدّثنا عمرو بنُ عيسى: ثنا محمّد بنُ سُوَاء: ثنا رَوْحُ بْنُ القاسم عن محمد بنِ المُنْكَدِرِ عن عُروةَ، عن **عائشةَ رضِيَ الله عنها: " أنّ رجُلا اِستَأْذَنَ على رسولِ الله ﷺ فلمّا رَآهُ قال: "بِئْسَ أخو العَشِيرَةِ، وبئس ابنُ العشيرةِ "، فلمّا جَلَسَ تَطَلّقَ النبيّ ﷺ فِي وَجْهِهِ وانبسط إليه. فلمّا انطلق الرَّجُلُ، قالت عائشةُ: يا رسولَ الله ! حين رأيتَ الرجلَ قلتَ له كذا وكذا، ثم انطلقتَ في وجهه، وانْبَسَطْتَ إليه!؟. فقال رسولُ الله ﷺ: "يا عائشةُ ! متى عَهِدْتِنِي فاحِشًا ؟ إنّ شَرّ الناسِ عند الله منزلةً يوم القيامةِ مَنْ تَرَكَهُ الناسُ اتّقاءَ شَرِّهِ "**[1].

المعنى العام للحديث:

يُبيّن هذا الحديثُ سُمُوَّ أخلاق النبيِّ ﷺ، وما جُبِل عليه من كرم وحسن معاشرة حيث أَلانَ القولَ لرجلٍ فظٍّ غليظٍ لدرجةِ الْحُمْقِ، وأحسن استقبالَهُ والرفقَ به تأليفًا لقلبه وترغيبًا له في الإسلام، دون أن يمنعه ذلك من تنبيه عائشةَ رضي الله عنها لحقيقة خُلُقِهِ ودون أن يُدَاهِنَ في دين الله تعالى.

سند الحديث ومتنه:

الحديث النبوي يتألّف من قسمين اثنين هما: السند، والمتن.

السند: لغة: هو المعتمد، لأنّ الحديث يستند إليه، ويعتمد عليه.

أمّا **في اصطلاح المحدّثين:** فهو رواة الحديث رجالا كانوا أو نساء. وقد يعبّر عنه بعبارة الإسناد مصدر أسند ويعني حكاية طريق المتن، وذكر رواته. أي هو عَزْوُ الحديث إلى قائله، أو هو سرد سلسلة الإسناد الموصلة إلى المتن.

---

(1) الجامع الصحيح ـ كتاب الأدب ـ باب لم يكن النبي ﷺ فاحشا ولا متفحّشا ـ الحديث رقم 6032 ـ انظر متن فتح الباري 10/467 ـ الأدب المفرد ـ صفحة 333 ـ الحديث رقم 755.

ولئن اعتبر بعض العلماء العبارتين مترادفتين فإنّ آخرين اعتبروا الإسناد أعمّ من السند، ذلك أنّ **الإسناد** هو حكاية طريق المتن، فالراوي بإسناده الحديثَ يكون قد قام بسرده وروايته وذكر سنده معا، أمّا **السند** فيعني رواة الحديث فحسب.

أمّا **المتن**: فهو في **اللغة** ما صلب وارتفع من الأرض وغيرها، تقول مثلا: ركبت متن الحصان، وركبت متن البحر.

وفي **الاصطلاح** هو ما ينتهي إليه السند من الكلام.

ملحوظة هامّة: عند قراءة سند الحديث لا بدّ من ذكر عبارة "قال" قبل عبارة "حدّثنا" الثانية، وكلّما تكرّرت حدّثنا بعد ذلك فقد اصطلح المحدّثون على النطق بها قراءة دون كتابتها. فنقرأ سند حديثنا هكذا: "حدّثنا محمّد بن سواء قال: حدّثنا روح. . " وهكذا إلى آخر السند.

الترجمة بإيجاز لرجال السند:

1 ـ (خ، س) **عَمْرُو بْنُ عيسى الضبعي أبو عثمان البصري الأدميّ**:

روى عن محمد بن سواء، وعبد الأعلى بن عبد الأعلى. . .

روى عنه ابنه محمد بن عمرو، والبخاري، كما روى عنه النسائيّ بوساطة زكرياء السجزيّ عنه.

ذكره ابن حبان في الثقات، وقال مستقيم الحديث، وقال الباجي: مجهول الحال[1].

2 ـ (خ، م، خد [أبو داود في الناسخ والمنسوخ]، ت، س، ق) **محمّد بن سواء ابن عنبر السدوسي العنبريّ، أبو الخطاب البصريّ المكفوف** [ذكر البخاريّ عن **عمرو بن عيسى** ـ تلميذ ابن سواء ـ: أنّه توفّي سنة 186 هـ]:

---

(1) التعديل والتجريح للباجي 982/3 عدد 1111 ـ تهذيب التهذيب 87/8 رقم 131.
(ع = أصحاب الكتب الستّة، 4 = أصحاب السنن الأربعة، خ= البخاريّ في صحيحه، م = مسلم في صحيحه، د= أبو داود في سننه، ق = الترمذي في سننه، س = النسائي في سننه، ق = ابن ماجَه في سننه. . .)

روى عن سعيد بن أبي عروبة، وجلّ روايته عنه وعن روح بن القاسم وشعبة ابن الحجاج. .

روى عنه ابنه سواء وخليفة بن خياط وإسحاق بن راهويه. . .

كان في الذكاء يشبه قتادة بن دعامة السدوسي[1].

3 ـ (خ، م، د، ت، س) **روح بن القاسم التميميّ العنبريّ أبو غِيَاث البصريّ** [ت 141 هـ]:

روى عن زيد بن أسلم وعمرو بن دينار وقتادة ومحمد بن المنكدر ومنصور ابن المعتمر، وعطاء بن أبي ميمونة. . .

وروى عنه سعيد بن أبي عَرُوبَةَ، ومحمد بن سواء السدوسي، وإسماعيل بن عُلَيّة ويزيد بن زُرَيْع. .

قال يحيى بن معين وأبوحاتم محمدبن إدريس الرازي وأبو زرعة الرازي وأحمد: ثقة، وقال أحمد في موضع آخر: من ثقات البصريين[2].

4 ـ (ع) **محمد بن المنكدر بن عبد الله بن الهدير التيميّ القرشيّ، أبوعبد الله، ويقال أبو بكر**، وكان المنكدر خال عائشة، [ت 130 هـ]:

أحد الأئمة الأعلام، وكان من سادات القرّاء، روى عن أبيه وعمّه ربيعة ـوله صحبة ـ وسفينة مهران بن فرّوخ أبي عبد الرحمن مولى رسول الله ﷺ وأنس وجابر بن عبد الله، والزبير وعروة بن الزبير وابن عباس وابن عمر وسعيد ابن المسيّب. . .

وروى عنه ابناه يوسف والمنكدر ومالك وشعبة بن الحجاج وعمرو بن دينار والزهري وأيُّوب السَّخْتيَاني وجعفر بن محمد الصادق وابن جُرَيْج والثوري وابن عُيَيْنَةَ. .

قال يحيى بن معين وأبوحاتم محمد بن إدريس الرازي: ثقة.[3].

---

(1) التعديل والتجريح، للباجي 2/679 عدد 567 ـ تهذيب التهذيب 9/208 رقم 327.

(2) التعديل والتجريح، للباجي 2/575 عدد 371 ـ تهذيب التهذيب 3/298 رقم 557.

(3) التعديل والتجريح 2/638 عدد 492. تهذيب التهذيب 9/ 473 رقم 767.

5 ـ (ع) **عروة بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي الأسدي، أبو عبد الله المدني [ت 93 وقيل 94هـ]:**

روى عن أبيه الزبير، وأخيه عبد الله، وأمّه أسماء ذات النطاقين، وخالته عائشة أمّ المؤمنين، وعليّ بن أبي طالب، وسعد بن عمرو بن نُفَيْل، وزيد بن ثابت وعبد الله بن عمر بن الخطاب وعبد الله بن عمرو بن العاص. .

وروى عنه أولاده: عبد الله وعثمان وهشام، ومحمد بن المنكدر والزهري وعطاء بن أبي رباح. . .

قال عنه ابن سعد: كان ثقة كثير الحديث، فقيها عالما ثبتا مأمونا. وقال العِجْلِيّ: تابعيّ ثقة وكان رجلا صالحا لم يدخل في شيء من الفتن، أحد فقهاء المدينة السبعة[1].

6 ـ (ع) **عائشة أمّ المؤمنين بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما،** [أمّها أمّ رومان بنت عامر بن عويمر الكنانيّة، وُلِدَتْ بعد مبعثه ﷺ بأربع سنين أو خمس، وتزوّجها النبيّ عليه الصلاة والسلام بمكّة قبل الهجرة بسنة ونصف، وبنى بها بالمدينة بعد منصرفه من بدر في شوّال من السنة الثانية. قالت عائشة رضي الله عنها: " تزوّجني رسول الله ﷺ وأنا بنت ستّ سنين وبنى بي وأنا بنت تسع، وقُبِضَ وأنا بنت ثماني عشرة سنة "، تُكنّى بأمّ عبد الله أي بعبد الله ابن أختها أسماء ذات النطاقين، زوج الزبير بن العوّام رضي الله عنهم أجمعين. توفّيت في سنة 58 هـ ليلة الثلاثاء لسبع عشرة خلت من رمضان، ودفنت بالبقيع وقد صلّى عليها أبوهريرة رضي الله عنه]:

روت عن النبي ﷺ الكثير الطيّب، كما روت عن أبيها أبي بكر، وعمر، وفاطمة الزهراء وغيرهم. .

وروى عنها من الصحابة عمر، وابنه عبد الله، وأبوهريرة، وابن عبّاس، وأبوموسى الأشعري، وأختها من أبيها أم كلثوم [بنت حبيبة بنت خارجة بن زيد]

---

(1) التعديل والتجريح 1020/3 عدد 179 ـ تهذيب التهذيب 180/7 رقم 180.

وغيرهم. . كما روى عنها من كبار التابعين ابنا أختها من أبيها أسماء [بنت قتيلة بنت عبد العزّى]: عبد الله وعروة ابنا الزبير، وسعيد بن المسيّب، وعمر بن ميمون، وعلقمة بن قيس، ومسروق بن الأجدع، وأبو سَلَمَة بن عبد الرحمن. . وغيرهم. . كان مسروق إذا حدّث عنها قال: " حدّثتني الصادقة ابنة الصديق. . " وقال: "رأيت مشيخة أصحاب رسول الله ﷺ الأكابر يسألونها عن الفرائض". وقال أبو موسى الأشعري: "ما أشكل علينا أمر فسألنا عنه عائشة إلا وجدنا عندها فيه علم". وقال عطاء بن أبي رباح: " كانت عائشة أفقه الناس وأعلم الناس وأحسن الناس رأيا في العامة ". وقال عروة بن الزبير: " ما رأيت أحدا أعلم بفقه ولا بطبّ ولا بشعر من عائشة ". وجاءت أحاديث صحيحة كثيرة في فضلها رضي الله عنها منها قوله ﷺ: " فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام".

وممّا مدحها به حَسَّانُ بْنُ ثابتٍ رحمه الله من قصيدة طويلة:

حصَانٌ رزَانٌ، ما تُزَنّ بِريبَةٍ وتُصْبِحُ غَرْثَى من لُحُومِ الغَوَافِلِ.

أي فهي عفيفة وَقُور لا تتّهم بريبة، وتُصْبِحُ جائعةً من أكل لحوم النساء الغوافل كنايةً عن ترفّعِهَا وتعفّفها عن الخوض في أعراض النساء(1).

صيغ الرواية:

حدّثنا: صيغة من صيغ الرواية التي تدلّ على السماع من لفظ الشيخ، وقد تستخدم فيما تُلُقِّيَ قراءة على الشيخ أو فيما أُخِذَ مناولة أو مكاتبة أو إجازة. . على أن تُقَيّد بما يفيد هذه الطريقة أو تلك من طرق الرواية، فيقول الراوي مثلا: حدّثنا فلان قراءة عليه، أو مناولة. . . ويقول: "حدّثنا" بصيغة الجمع إذا كان حال تلقيه الرواية معه غيره أمّا إذا كان بمفرده فيقول: "حدّثني". وقد تختصر هذه الصيغة بالرمز: "ثنا"، "ثني".

عن: وهي صيغة من صيغ الرواية، والسند الذي تذكر فيه هذه الصيغة يسمى

(1) الاستيعاب لابن عبد البر 4/356 ـ التعديل والتجريح للباجي 3/1291 عدد 1721 ـ الإصابة لابن حجر 4/395 عدد 704.

سندا مُعَنْعَنا، و **العنعنة** صفة للسند دون المتن، وإذا قلنا حديث معنعن فعلى تقدير حديث معنعن السند. ونصف السند المعنعن بقولنا: سند معنعن في موضع أو في موضعين أو في ثلاثة مواضع حسب عدد العنعنات الواردة فيه.

وقد ذهب جمهور العلماء إلى أنّ السند المعنعن من قبيل المتّصل حتى يتبيّن خلافُ ذلك، وذلك بشرطين اثنين:

1 ـ براءة الراوي من التدليس.

2 ـ ثبوت اللقاء بين الراوي وشيخه الذي روى عنه ذلك الحديث ولو مرّة واحدة، ذهب إلى اشتراط اللقاء الإمام البخاري وشيخُهُ عليّ بن المديني، والمحقّقون من أهل هذا الفن، أمّا الإمام مسلم في مقدّمة صحيحه فقد اكتفى بشرط إمكان اللقاء بين الراوي وشيخه وهو ما يُعَبّر عنه بالمُعَاصرة. وأمّا أبو الحسن القابسيّ وهو من أعلام الفقه والحديث بإفريقية ت 403هـ فلا يَشْتَرِطُ مجرّدَ اللقاء بين الراوي وشيخه وإنّما يؤكّد على وجوب أن يدرك الراوي شيخه إدراكا بيّنا، إذ قد يكون لقاء عابرا قصيرا لا يمكّن الطالب من معرفة شيخه المعرفة المطلوبة.

أنّ: جاء في رواية سفيان بن عيينة: «**سمعت عروة، أنّ عائشة أخبرته..**» فيكون السند مؤنأنا أو مؤنّنا، أي أنّ السند اشتمل على "أنّ" وهي صيغة من صيغ الرواية، **والأنأنة** وصف خاصّ بالسند فإذا قلنا حديث مؤنأن أو مؤنّن فعلى تقدير حديث مؤنأن السند، أو سنده مؤنّن. وقد ذهب جمهور المحدّثين وعلى رأسهم الإمام مالك إلى أنّ السند المؤنأن من قبيل المتّصل إلى أن يتبيّن خلافُ ذلك بالشرطين المذكورين آنفا في المُعَنْعَنِ.

متابعات الحديث وشواهده:

لنتعرّف أوّلا المرادَ بالتابع والشاهد عند علماء الحديث ولننظر إلى أهمّيّتهما في جبر ضعف الحديث والارتقاء به من الدرجة التي هو عليها إلى درجة أرفع، أو إخراجه من دائرة الغرابة إلى دائرة الشهرة والمعرفة.

فما المتابعة؟ :

ـ المتابعة في **اللغة** هي الموافقة أمّا في **الاصطلاح** فهي أن يُتَابِعَ ويوافق راوٍ يصلح حديثُهُ للاعتبار، راويًا آخر في رواية الحديث معه بلفظه أو بمعناه عن شيخه أو عمّن فوقه على أن ينتهيَ معه إلى نفس الصحابي راوي الحديث.

ما الشاهد ؟ :

ـ الشاهد في **اللغة** هو الموافق والمؤيّد، أمّا في **الاصطلاح** فهو أن يُرْوَى الحديثُ المشهودُ له بلفظه أو بمعناه عن صحابيّ آخر.

أيّ الضعف يزول بالمتابعة ؟ :

ـ الضعف الذي تَجْبُرُهُ المتابعةُ فيزول هو الضعف المتعلّق بالضبط كسوء الحفظ والسهو والخطإ أو بانقطاع السند كالمرسَلِ والمنقطع أو بعنعنة المدلّس، أمّا إذا كان الضعف ناشئا عن اختلال العدالة كالكذب والفسق عامّة فلا ينجبر ضعف هذا الحديث حتى وإن رُوِيَ من عدّة طرق أخرى، وكانت له عشراتُ المتابعات.

هل الشاهد يجبر ضعف الحديث ؟ :

ـ المتابعة هي التي تجبُرُ ضعفَ الحديث المتعلّق بضبط راويه أو بانقطاع سنده، أمّا الشاهد فلا يجبر هذا الضعفَ وإنّما يُخْرِجُ الحديثَ من دائرة الغرابة إلى دائرة الشهرة.

متى ترفع المتابعة الحديث الضعيف إلى أوج الحُسْنِ ؟ ومتى ترفعه إلى أوج الصِّحّةِ؟ :

ـ إذا كان راوي المتابعة عدلا خفيف الضبط وحديثه حسن أو دونه بقليل، فإنّ هذه المتابعة ترفع الحديث المتابَعَ [بفتح الباء اسم مفعول] إلى الحسن لغيره. أما إذا كان راوي المتابعة عدلا تامّ الضبط، وحديثه صحيحًا فتَرْفَعُ هذه المتابعةُ الحديثَ المتابَعَ إلى الصحيح لغيره.

ـ ولنذكر الآن متابعات حديثنا:

ـ أخرجه البخاري في الجامع الصحيح ـ كتاب الأدب ـ باب ما يجوز من اغتياب

أهل الفساد والرِّيَبِ ـ. . عن صَدَقَةَ بنِ الفضل عن سفيانَ بنِ عيينة عن محمّد بنِ المنكدر به بلفظ مقارب[1]. وفي ـ باب المداراة مع الناس، ويذكر عن أبي الدرداء: " إنّا لنكشّر في وجوه أقوام وإنّ قلوبنا لتلعنهم " ـ. .عن قتيبة بن سعيد عن ابن عيينة عن محمّد بن المنكدر به بلفظ مقارب[2].

- كما أخرجه البخاريّ في الأدب المفرد ـ باب قول الرجل: فلان جَعْد [أي أن شعره متجعّد كشعور السودان خلافاً للشعر السَّبْطِ وهو الشعر المسترسل والشعر القَطَط، [هو الشعر البالغ الجعودة بحيث يتفلفل]، أسود أو طويل أو قصير، يريد الصفة ولا يريد الغِيبَةَ: . .عن موسى بن إسماعيل عن حمّاد بن سلمة عن محمد بن عمرو عن أبي سَلَمَةَ بنِ عبد الرحمن عن عائشة بمعناه مختصرا.

- وأخرجه مسلم في صحيحه ـ كتاب البر والصلة ـ باب مداراة من يُتّقى فُحْشُهُ عن قتيبة بن سعيد، وأبي بكر بن أبي شيبة، وعمرو الناقد وزهير بن حرب، وابن نُمَيْرٍ كلّهم عن ابن عيينة، عن ابن المنكدر به بلفظه[3].

- وأخرجه أبوداود في سننه ـ الأدب ـ باب في حسن العشرة ـ عن مُسَدَّدِ بنِ مُسَرْهَدٍ: حدثنا سفيان [بن عيينة] عن ابن المنكدر به بلفظ مقارب[4]. كما أخرجه في نفس الباب عن موسى بن إسماعيل عن حمّاد [بن سلمة] عن محمد ابن عمرو عن أبي سلمة عن عائشة بلفظه تقريباً[5].

- ورواه مالك بلاغا عن عائشة رضي الله عنها في الموطإ ـ كتاب حسن الخلق ـ باب ما جاء في حسن الخلق[6].

---

(1) متن فتح الباري ـ 10/ 486 رقم الحديث 6054.
(2) متن فتح الباري 10/ 544 رقم الحديث 6131.
(3) 3/ 2002 حديث عدد 2591.
(4) 5/ 145 حديث عدد 4791.
(5) الحديث عدد 4792 ـ طبعة إسطنبول.
(6) حديث 4 صفحة 903 ـ طبعة إسطانبول.

ـ ورواه أحمد في مسنده عن سفيان بن عيينة عن ابن المنكدر، به بلفظ مقارب[1].

شـــرح الحديث:

ـ **أنّ رَجُلا**: هكذا جاء الاسمُ في هذه الرواية **مُبْهَمًا**، وقد جدّ العلماءُ في بيانه وتوضيحه فكانت خلاصةُ هذه الجهود تتمثّل في الوصول إلى رأيين اثنين يذهب الأوّل منهما إلى أنّهُ " عيينةُ بنُ حِصْنٍ " ويرى الثاني أنّه " مَخْرَمَةُ بْنُ نوفل الزهريّ والد المِسْوَرِ بن مخرمة " والذين يذهبون إلى أنّه **عيينةُ بْنُ حِصْنٍ** هم:

1 ـ ابن بطّال ت 449هـ وهو من قدماء شرّاح البخاري.

2 ـ عبد الغني بن سعيد، فقد أخرج في " المبهمات " من طريق عبد الله بن عبد الحكم عن مالك أنّه بلغه عن عائشة: "استأذن عيينة بن حصن على النبيّ ﷺ. . " الحديث.

3 ـ خَلَفُ ابن بَشْكَوَالٍ ت 578 هـ فقد أخرج في " المبهمات " من طريق الأوزاعيّ عن يحيى بن أبي كثير: أنّ عيينة استأذن، فذكره مرسلا.

4 ـ ابن التِّين الصَّفَاقُسِيُّ ت 611 هـ فقد حكى ابن الملقّن عنه ذلك.

وعيينة هو ابن حصن بن حذيفة بن بدر الفَزَاريّ زعيم قبيلته غطفان التي كانت طرفا فاعلا إلى جانب المشركين في غزوة الأحزاب في شوّال سنة 5 هـ حيث استجاب لدعوة يهود بني النضير للانضمام إليهم وإلى قريش في محاربة المسلمين، وهو معدود من الصحابة وكان في الجاهلية موصوفا بالشجاعة والجهل والجفاء، أسلم في الفتح وشهد مع النبي ﷺ حنينا فأعطاه مع المؤلفة. وكان يقال له: " الأحمق المطاع "، وكان ممّن وافق طليحة بن خُوَيْلِدٍ الأسديّ لمّا ارتدّ وادّعى النبوّة، فلمّا هزمه المسلمون في قتال أهل الردّة، فرّ طليحة إلى الشام [ثم عاد إلى الإسلام في عهد عمر وحسن إسلامه]، أمّا عيينة فأسر، وأتي به أبا بكر، فاستتابه فتاب، وقدم إلى المدينة بعد ذلك في عهد عمر بعد أن استقام أمره،

---

(1) 38/6.

وشهد الفتوح[1]. ومن دلائل غلظة عيينة هذا وحمقه، ما رواه البخاري بسنده إلى ابن عبّاس رضي الله عنهما قال: " قدم عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر فنزل على ابن أخيه الحُرّ بن قيس بن حصن ـ وكان من النفر الذين يدنيهم عمر، وكان القرّاء أصحاب مجلس عمر ومشاورته، كهولا كانوا أو شبابا . فقال عيينة لابن أخيه: يا ابن أخي هل لك وجه عند هذا الأمير فتستأذن لي عليه؟ قال: سأستأذن لك عليه. قال ابن عباس فاستأذن لعيينة، فلما دخل، قال: يا ابن الخطاب ! والله ما تعطينا الجزل، وما تحكم بيننا بالعدل؟! فغضب عمر حتى همّ بأن يقع به. فقال الحرّ: يا أمير المؤمنين !إن الله تعالى قال لنبيّه: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [7 الأعراف 199] وإنّ هذا من الجاهلين. فوالله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه، وكان وقّافا عند كتاب الله . "[2].

أمّا الذين يرون أنّه **مخرمة بن نوفل** فهم:

1 ـ عبد الغني بن سعيد، حيث أخرج من طريق أبي عامر الخرّاز عن أبي يزيد المدني عن عائشة، قالت: "جاء مخرمة بن نوفل يستأذن. . » الحديث.

2 ـ أبو إسحاق الهاشمي: فقد وقع في أواخر الجزء الأول من فوائده أنّه مخرمة ابن نوفل.

3 ـ ابن الملقّن: ذكر أنّه مخرمة واقتصر عليه.

4 ـ الخطيب البغداديّ أخرج الحديث على أن المراد بالرجل هو مخرمة ابن نوفل.

الجمع بين القولين؟:

فكيف السبيل إلى التوفيق بين هذين القولين؟ ذهب العلماء إلى أنّ هذا التردّد في بيان الاسم المبهم بين عيينة بن حصن، ومخرمة بن نوفل يُحمل على تعَدُّد واقعة الاستئذان على الرسول ﷺ فمرّة استأذن عيينة وأخرى استأذن

---

(1) انظر فتح الباري 13/272.

(2) انظر صحيح البخاري: متن فتح الباري ـ كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ـ 13/264 حديث رقم 7286.

مخرمة. وكان ابن حجر قد بحث هذا الموضوع الذي مال فيه إلى ترجيح كونه مخرمة حيث قال في خاتمة بحثه: "وسيأتي في باب المداراة، ما يدلّ على أنّ تفسير المبهم هنا بمخرمة هو الأرجح".

استأذن: وهي فعل ثلاثيّ [أذِن] مزيد بثلاثة أحرف [ا، س، ت] تعني طلب الإذن له بالدخول، وصيغة استفعل لها ثلاثة معان:

1 ـ طلب وقوع الفعل مثل فِعْلِنا هذا، ومثل استقدم طلب القدوم.

2 ـ وجود الشيء على صفة مثل استمرأ الطعامَ أي وجده مريئا، واستحسن الجوابَ وجده حسنا.

3 ـ الصيرورة والتحوّل مثل استنوق الجمل صار كالناقة، واستنسر البُغَاثُ وهو طائر أبغث أي لونه مُغْبَرّ يميل إلى الخضرة، أصغر من الرَّخَمِ، بطيء الطيران فصار كالنسر قويّا سريعا.

فلمّا رآه: **لمّا**: دخلت على الفعل الماضي فهي حينيّة في محلّ نصب على الظرفيّة، متعلّقة بجوابها " قال ".

رآه: أي عَلِمَهُ وعرفه، ولا يراد برآه هنا الرؤية البصريّة.

بئس: فعل ماض جامد للذّمّ ضدّ نِعْمَ، فاعله: **أخو**، بمعنى صاحب. وأخو مضاف والعشيرة مضاف إليه.

العشيرة: هي الجماعة أو القبيلة، قاله عياض اليَحْصُبِيُّ السَّبْتِيّ [ت 544هـ]، وقال غيره: العشيرة هي الأدنى إلى الرجل من أهله وهم ولد أبيه، وجدّه.

فلمّا جلس: وفي رواية فلمّا دخل، ولا تعارض كما هو واضح.

تطلّق: أي أبدى له طلاقة وجهه، يقال وجه طَلْق وطليق أي مسترسِل منبسِط غير عبوس ولا مقطّب. وجاء في رواية أخرى: "بَشّ في وجهه" وفي رواية: " فألان له الكلامَ " وهي روايات يشرح بعضها بعضا.

انبسط إليه: أي لم يقطّب في وجهه وداراه.

يا عائشةُ: وفي رواية أي عائشة، وكلّ من "الياء" و "أي" في كلا الروايتين حرف

نداء وعائشة منادى، والرسول ﷺ ينادي السيدة عائشة رغم أنّها بجانبه ليجلب انتباهها، حتى تَعِيَ جيّدا ما سيقوله لها.

متى: اسم استفهام في محلٍّ نصب على الظرفيّة متعلّق بالفعل الذي بعدها "عهدتني".

فاحشا: وفي رواية أخرى فحّاشا بصيغة المبالغة. والفاحش هو البذيء، وهو الذي يتكلّم بما يقبح، ويطلق على الباطل أيضا. أمّا المتفحّش فهو الذي يتصنّع الفحش ويتكلّفه ويكثر منه.

شرّ الناس: الشرّ ضدّ الخير، وإذا كان الخير يُرْغَبُ فيه فالشرّ هو ما يرغب عنه لما فيه من الضرّ والأذى.

من تركه الناس: أي تجنّبه الناس.

وفي رواية مسلم، وأبي داود، والإمام أحمد: " من **ودعه الناس** "، بمعنى تركه. قال الإمام المازريّ ت 535هـ: "ذكر بعض النحاة أنّ العرب أماتوا مصدر يدع وماضيه[وَدْعًا، وَدَعَ]، والنبي ﷺ ـ وهو أفصح العرب ـ قد نطق بالمصدر في قوله عليه الصلاة والسلام: " لينتهينّ أقوام عن وَدْعِهم الجُمُعَاتِ " كما نطق بماضيه في هذا الحديث: " ودعه الناس ".

اتّقاء شرّه: تجنّبا لشرّه، و" اتّقاء" تعرب مفعولا لأجله، ويراد بالشرّ هنا قُبْحُ كلامه لأنّ عيينة بن حصن كان من جفاة العرب، وقد وُصِف بأنّه "الأحمق المطاع "وممّا يدلّ على غلظته وجفائه ما رواه سعيد بن منصور [ت227 هـ] في سننه بسنده إلى إبراهيم النخعي مرسلا: "جاء عيينة بنُ حصن إلى النبي ﷺ وعنده عائشة رضي الله عنها فقال: من هذه ؟ قال: أمّ المؤمنين. قال: ألا أنزل لك عن أجمل منها. فغضبت عائشة وقالت: من هذا ؟ قال ﷺ: هذا أحمق".

ـ لم تطلّق الرسول ﷺ لعيينة وهو فظ؟

رجا النبيّ ﷺ بإقباله عليه تألّفَهُ لِيُسْلِمَ قومُه لأنّه كان رئيسهم، هكذا علّل إقبالَ الرسول على عيينة كلّ من القاضي عياض والقرطبيّ والنوويّ جازِمين بذلك، أمّا ابن التين الصفاقسيّ فقد نقله عن الداودي احتمالا لا جَزْمًا. يقول القاضي

عياض: "لم يكن عيينةُ ـ والله أعلم ـ حينئذ قد أسلم، فلم يكن القول فيه غيبة، أو كان أسلم ولم يكن إسلامه ناصحا فأراد النبي ﷺ أن يبيّن ذلك لئلا يغترّ به من لم يعرف باطنه. وقد كانت منه في حياة النبي ﷺ أمور تدلّ على ضَعْفِ إيمانه، فيكون ما وصفه به النبيُّ عليه الصلاة والسلام من جملة علامات النبوّة، وأمّا إلانة القول له بعد أن دخل، فعلى سبيل التألُّفِ له.

ـ ما الفرق بين المُدَاهنة والمُدَاراة ؟

إنّ **المداراةَ** هي بذل الدنيا لصلاح الدنيا أو لصلاح الدين أو لصلاحهما معا، وهي مباحة، وربّما تكون مستحبّةً أحيانا.

أمّا **المداهنة** فهي ترك الدين لصلاح الدنيا، وهذه محرّمة مُودِيَة بصاحبها إلى المهالك.

والنبيّ ﷺ إنّما بذل لعيينة من دنياه حسنَ عشرته والرفقَ في مكالمته، ومع ذلك فلم يمدحه بقول، فلم يناقض قولُهُ فيه فِعْلَهُ فإنَّ قولَهُ فيه قولُ حقّ وفعْلَهُ معه فعلُ حُسْنِ العشرة.

الفوائد والعبر المستفادة من الحديث:

1 ـ قال أبو سليمان الخطابي [ت388 هـ]: " جمع هذا الحديثُ علما وأدبا، وليس فيما يُطلقه النبي ﷺ على أمّته أو أحد أفرادها ممّا يسمّيهم به أو يضيفه إليهم من المكروه غِيبَةً، إذ الغيبة تكون من بعضهم في بعض، لأن من مهامّ النبي ﷺ أن يبيّن للناس بعض الحقائق، ويعرّفهم أمْرَ بعض الناس، إذ يَدْخُلُ ذلك في باب النصيحة والشفقة على الأمّة، والرسول قابَلَ هذا الرجلَ الغليظَ بالبشاشة لحسن خلقه ﷺ، ولِمَا جُبِلَ عليه من الكرم، فلم يَجْبَهْهُ بالمكروه. وفَعَلَ ذلك عليه الصلاة والسلام لتقتدي به أمّتُهُ في اتّقاء شرّ من هذا سبيلُهُ، وفي مداراته، ليسلموا من شرّه وغائلته".

2 ـ قال القرطبيّ: في الحديث جواز غِيبة المُعْلِنِ بالفسق أو الفحش، ونحو ذلك من الجور في الحكم، والدعاء إلى البدعة، مع جواز مداراته اتّقاء شرّه

ما لم يؤدّ ذلك إلى المداهنة في دين الله تعالى.

3 ـ هذا الحديث أصل في المداراة وفي جواز غيبة أهل الكفر والفسوق ونحوهم إذ لا غيبة لفاسق كما ذكر ذلك رسول الله ﷺ، حتى يحذرهم الناس.[1]

* * *

الحديـث الثاني:

قال أبو داود رحمه الله تعالى: حدّثنا سَهْلُ بْنُ بَكَّارٍ: أخبرنا الأسودُ بْنُ شَيْبَانَ عن خالدِ بْنِ شُمَيْرٍ السَّدُوسِيّ عن بَشِيرِ بْنِ نَهِيكٍ **عن بشيرٍ مولى رسول الله ﷺ ـ وكان اسمه في الجاهلية " زَحْمَ بْنَ مَعْبَدٍ "ـ فهاجر إلى رسول الله ﷺ، فقال: ما اسمُك؟ فقال: " زحم "، قال: " بل أنت بشير". قال: بينما أنا أُمَاشِي رسولَ الله ﷺ مرّ بقبور المشركين، فقال: " لقد سبق هؤلاء خيرا كثيرا، ثلاثا ". ثم مرّ بقبور المسلمين فقال: " لقد أدرك هؤلاء خيرا كثيرا ". ثم حانت من رسول الله ﷺ نظرة فإذا رَجُل يمشِي في القبور، عليه نعلان، فقال: " يا صاحبَ السِّبْتِيَّتَيْنِ! ويحك أَلْقِ سِبْتِيَّتيك ". فنظر الرجلُ، فلمّا عَرَفَ رسولَ الله ﷺ، خلعهما، فرمى بهما**[2].

المعنى الإجماليّ للحديث:

يتناول الحديثُ بعضَ ما جاء به الإسلامُ من الخير و حِرْصَ النبيّ ﷺ على العناية بأفراد المجتمع الإسلامي في الجليل من أمورهم والحقير بما في ذلك الأسماء، فقد غيّر اسم الصحابي من اسم فيه غِلْظَة وشدّة إلى اسم فيه بِشْر وَسَمَاحَة، كما يُبَيِّنُ ما افترضه الإسلامُ من آداب زيارة المقابر، واحترام الميّت في قبره احترامه وهو حيّ في بيته.

---

(1) انظر شرح هذا الحديث في فتح الباري 10/467 ـ 13/264 ـ 272.

(2) سنن أبي داود ـ كتاب الجنائز ـ باب المشي بين القبور في النعل ـ وكتاب الأدب المفرد ـ صفحة 341 ـ حديث رقم 775.

التّرجمة بإيجاز لرجال السند:

1 ـ (خ، د، س) **سهل بن بكاّربن بِشْرٍ أبوبشر الدارميّ البصريّ ويقال البُرْجُمِيّ، المكفوف** [ت 228هـ]:

روى عن جرير بن حازم، وأبان بن يزيد العطار وحمّاد بن سلمة وشُعْبَةَ ابنِ الحجّاج والأسود بن شيبان وأبي عَوَانَةَ وغيرهم..

وروى عنه البخاريّ وأبوداود، والنَّسَائيّ بِوَسَاطَةِ عثمان بنِ خُرّزَاد.

وثّقه الدارقطني، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال: ربّما وهِم وأخطأ. وقال عنه ابن قانع: صالح. أمّا أبوحاتم الرازيّ فقال: "هو ثقة، صدوق "[1].

2 ـ (بخ [البخاري في الأدب المفرد]، م، د، س، ق) **الأسود بن شيبان السدوسيّ البصريّ أبو شيبان** [ت 165 هـ]:

روى عن الحسن البصريّ، وعطاء بن أبي رباح وجماعة.

وروى عنه عبد الرحمن بن مهديّ، ووكيع بن الجرّاح، وعبد الله بن المبارك وغيرهم.

وثّقه ابن مَعِينٍ، والعِجْلِيُّ، وقال عنه أبوحاتم الرازي: صالح الحديث، وذكره ابن حبان في الثقات[2].

3 ـ (بخ [البخاري في الأدب المفرد]، د، س، ق) **خالد بن شُمَيْرٍ [بمعجمة مصغّر] السدوسي البصري، أبو الحسن.**

روى عن ابن عمر، وأنس، وبشير بن نهيك وغيرهم، . . .

وروى عنه الأسود بن شيبان.

وثقه النسائيّ والعجليّ وذكره ابن حبّان في الثقات[3].

---

(1) التعديل والتجريح 3/ 1131عدد 1341 ـ تهذيب التهذيب 4/ 247 عدد 423.

(2) تهذيب التهذيب 1/ 339 رقم 618.

(3) تهذيب التهذيب 3/ 97 رقم الترجمة 182.

4ـ(ع) **بشير بن نَهِيكٍ** [بفتح النون وكسر الهاء، آخره كاف] **أبو الشعثاء السدوسيّ ويقال السلوسيّ البصريّ.**

روى عن بشير بن الخصاصية، وأبي هريرة وقد كتب عنه كتابا قرأه عليه فأجازه..

وروى عنه يحيى بن سعيد الأنصاري، وخالد بن شمير والنَّضِرُ بْنُ أنس، وأبو مِجْلَزٍ وبركة وهو أبو الوليد المجاشعي..

وثّقه ابن سعد وأحمد والعجليّ و النسائيّ، وذكره ابن حبّان في الثقات[1].

5ـ(بخ [البخاري في الأدب المفرد]، 4) **بشير ـ مولى رسول الله ﷺ ـ ابن الخصاصية** [بمعجمة مفتوحة وصادين مهملتين بعد الثانية تحتانية] **السدوسيّ**، وهو بشير بنُ معبد بنِ شراحيل بنِ سبع بنِ ضُبَارَى بنِ سَدُوس بنِ سنان بنِ ذُهَل السدوسيّ، كان اسمه في الجاهليّة "زحما " فسمّاه الرسول ﷺ بشيرا، وأطلق عليه أحمد في مسنده: " بشيرُ رسولِ الله ﷺ[2]. وكان قد هاجر من قبيلته بَكْر ابن وائل إلى رسول الله ﷺ بالمدينة المنوّرة، وأمّه الخصاصية التي يُعرف بها ويُنسب إليها يقول عنها ابن عبد البر في الاستيعاب: إنّها ليست أمّه.وإنّما هي جدّته، وقيل هي أمّ جدّ بشير الأعلى: ضُبَارَى بن سدوس.قال الرامَهُرْمُزِيُّ: كان اسمها كبشة، وقيل: ماوية بنت عمرو بن الحارث الغِطْرِيفِيَّة.

روى عن النبيﷺ أحاديثَ صالحةً. وروى عنه بشير بن نهيك وجريّ بن كليب، وامرأته ليلى المعروفة بالجهذميّة، ولها صحبة[3].

صيغ التحمّل والأداء:

مرّت بنا في الحديث السابق صيغ: حدّثنا، عن، أنّ، والصيغة الجديدة التي

(1) التعديل والتجريح 1/429 رقم الترجمة 156، تهذيب التهذيب 1/470 ترجمة رقم 870.
(2) 5/83 ـ 84.
(3) الإصابة 1/159 ترجمة رقم 704، الاستيعاب 1/150 ـ 151، تهذيب التهذيب1/467 عدد 866.

تعرض لنا في هذا الحديث "**أخبرنا**" وهي صيغة يُعبّر بها عن أداء ما تُلُقّي قراءةً على الشيخ، وقد مُحّضت في العصور المتأخّرة لأداء ما أُخِذَ عَرْضًا أو قراءة على الشيخ. أمّا إذا أريد استخدامُها فيما أُخِذَ سماعا أو مُنَاوَلَةً أو إجازة ونحو ذلك فَتُقَيَّدُ بعبارةٍ تُثْبِتُ نوعَ الطريقة التي تُلُقّي بها العلمُ. مثل قولهم: أخبرنا مناولة، أو مكاتبة ونحو ذلك.

تخريج الحديث:

1 ـ لقد تابع الإمام البخاريُّ أبا داود في رواية الحديث عن سهل بن بكار بن بشر بلفظ مقارب جدّا وذلك في الأدب المفرد[1].

2 ـ كما تابع كلّ من وكيع بن الجرّاح، ويزيدِ بْنِ هارونَ بْنِ زاذانَ، وعبدِ الصمد بنِ عبد الصمد بنِ عبد الوارث، سَهْلَ بْنَ بَكَّارٍ في رواية الحديث عن الأسود بن شيبان به بلفظ مُقَارِبٍ مع زيادة في متابعة يزيد بن هارون.

ـ أمّا متابعة وَكِيعٍ فرواها النسائيُّ عن محمد بن عبد الله بن المبارك عن وكيع عن سهل بن بكار به، في سننه ـ كتاب الجنائز ـ باب كراهية المشي بين القبور في النعال السبتيّة[2].

ـ أمّا متابعة كلّ من يزيد بن هارون وعبد الصمد بن عبد الصمد بن عبد الوارث فرواهما عنهما أحمد في مسنده[3] عن سهل بن بكار به.

ما درجة حديث بشير من الصّحّة؟

ضعّفت طائفة من أهل العلم حديث بشير هذا، إلا أنّ أبا بكر البيهقي [ت 458هـ] قال عنه: "رواه جماعة عن الأسود بن شيبان، ولا يعرف إلا بهذا الإسناد، ولكن للحديث شاهد، من حديث أنس". وروى عبد الرحمان بن مهديّ عن عبد الله بن عثمان أنّه قال عن حديث بشير: "حديث جيّد، ورجاله ثقات."

(1) صفحة 341 حديث رقم 775.
(2) 4/96 حديث رقم2046.
(3) الأولى في 5/83 ـ 84 والثانية في 5/85.

وقال الإمام أحمد عنه: إسناده جيّد، أذهب إليه إلا من علّة.

وقال محمد شمس الحق العظيم آبادي: لا أعلم أحدا طعن في حديث بشير.

وخلاصة القول:

فإنّ هذا الحديث توفّرت فيه شروط الصحة الخمسة فهو صحيح، جيّد، لا مأخذ عليه، رواه كلّ من النسائيّ في سننه وأحمد في مسنده وأبوداود في سننه والبخاريّ في الأدب المفرد.

شرح الحديث:

- كان اسمه زحم بن معبد: زحم مصدر زَحَمَ بمعنى ضايق، نقول تزاحم الناس إذا تضايقوا وتدافعوا، فاسم زحم يوحي بالشدّة والغِلظة والاستعداء، فغيّره النبيّ ﷺ إلى بشير لما فيه من البشر والطلاقة والسماحة. وبشير صفة مشبهة باسم الفاعل من الفعل الثلاثي "بَشَرَ يَبْشِر" [بفتح عين الفعل في الماضي وكسرها في المضارع] و "بَشِرَ يَبْشَرُ [بكسر عين الفعل في الماضي وفتحها في المضارع] بمعنى استبشر وسُرَّ. وكان النبيّ ﷺ كما جاء ذلك في حديث عروة مرسلا: "إذا سمع الاسمَ القبيحَ حوّله إلى ما هو أحسن منه" فقد غيّر اسم "حَـزْنٍ" وهو ما غلظ من الأرض إلى "سهل" ذلك أن حزنا يوحي بالحُزُونَةِ والغِلْظَةِ بينما "سهل" يوحي بالسهولة واليسر. روى أبو داود بسنده إلى "حزن ابن أبي وهب - وكانت له صحبة - أنّ النبي ﷺ قال له: ما اسمك؟ قال: حزن. قال: أنت سهل. قال: لا؟ السهل يوطأ ويُمْتَهَنُ. قال سعيد بن المسيّب تعليقا على هذا الموقف من جدّه: فظننت أنّه سيصيبنا بعده حُزُونَة[1].
- بينما: بينَ ظرف زمان متعلّق بالفعل مرّ. ما: زائدة.
- أماشي: الفعل ماشى على وزن فاعل يدلّ على المشاركة، نقول ماشاه مُمَاشاة إذا

---

(1) سنن أبي داود - الأدب - باب في تغيير الاسم القبيح، حديث عدد 4956. وفي رواية البخاري " فما زالت الحزونة فينا بعد". صحيح البخاري - الأدب - باب الحزن وفيه قول سعيد بن المسيب..

مشى معه وشاركه المشي، كما نقول تماشَيَا تماشِيًا إذا مشيا معا، فالمراد بقوله "أماشي رسولَ الله ﷺ" أمشي معه.

- **لقد سَبَقَ هؤلاء خيرا كثيرا**: أي أنّ هؤلاء الموتى من المشركين قد ماتوا قبل مجيء وحدوث الخير الكثير المتمثّل في بزوغ شمس الإسلام، فماتوا قبل أن تبلغهم الدعوة و يدخلوا في الإسلام، فقد سبقوا بموتهم وصول الخير فلم يدركهم، وسبقوه حتى جعلوه وراء ظهورهم. وتعرب " هؤلاء " هنا فاعلا، أمّا "خيرا" فتعرب مفعولا به، و"كثيرا " صفة للخير.

- **ثلاثا**: أي كرّر هذه العبارة ثلاث مرات. وتعرب مفعولا مطلقا لأنّها صفة لمحذوف تقديره " مرّات ثلاثا"، ومن عادته ﷺ التكرار لتركيز المعنى في نفوس السامعين، وهو معنى تربويّ لا تخفى أهـمِّيَّتُهُ في شَدّ الانتباه وتجلية المعنى.

- **لقد أدرك هؤلاء خيرا كثيرا**: أي أنّهم عاشوا عهد الرسالة، وآمنوا فنالوا الخير العميم. وجاء في رواية النسائي: "مرّ بقبور المسلمين: فقال: سبق هؤلاء شرّا كثيرا "، فكأنّه ﷺ يشير إلى الفتن التي سيقارفها بعضُ المسلمين كفتنة مقتل عثمان رضي الله عنه ظلما[1]. ومعركة الجمل سنة 36هـ، وصفين سنة37هـ، فيصبح المعنى: إنّ هؤلاء الموتى من المسلمين قد توفّاهم الله قبل نشوب هذه الفتن التي هي شرّ مستطير، لِمَا فيها من تفريق كلمة المسلمين وإهدار دمائهم.

- **حانت نظرة**: أي وقعت، وتوحي بمعنى الفجاءة، فكأنّه يقول وفجأة رأى رجلا.

- **فإذا رجل**: **إذا**: فجائيّة، ظرف ومعناها الحال لا الاستقبال، وتختصّ بالجمل الاسميّة ولا تحتاج إلى جواب، والفاء زائدة.

- **رجل**: مبتدأ مرفوع خبره شبه الجملة: "عليه نعلان".

- **السَّبْتِيَّتان**: هما النعلان المتّخذتان من السَّبْت، والسبت هو جلود البقر المدبوغة بالقَرَظِ[2]. وتتّخذ النعال من جلود السّبت لأنّ شعرها سُبِتَ أي حلق وأزيل.

---

(1) يوم الجمعة 18 ذي الحجّة سنة 35هـ.

(2) محرّكة، بفتح القاف والراء وهو ورق السلم، نقول: أديم مقروظ أي مدبوغ أو مصبوغ =

وقيل سمّيت سبتيّة لأنّها انسبتت بالدباغ أي لانت.

- **وَيْحَكَ**: ويح لها عدّة دلالات منها: التعجُّب، التوجُّع، المدح، بل وتعني الترحّم أيضا، كما تكون بمعنى الويل وهي كلمة عذاب لأنّ الويل وادٍ في جهنّم كما ورد ذلك في حديث عن رسول الله ﷺ إسناده ضعيف. وويحك في حديثنا هذا بمعنى ويلك منصوبة على أنّها مفعول به لفعل محذوف تقديره نِلْتَ أو ذُقْتَ الويح أو الويل.

- **ألق سَبْتِيتيك**: أي اِخْلَعْهُمَا.

- **لَمّا**: طالما أنّها دخلت على فعل ماض فهي حينيّة في محلّ نصب على الظرفيّة متعلّقة بجوابها خلعهما فرمى بهما.

- **لِمَ أمره النبي ﷺ بخلع نعليه ؟**:

أجيب عن هذا السؤال بعدّة احتمالات منها:

1 ـ احتراما للمقابر حتى لا يمشى بهما بين القبور.

2 ـ أو لقذر عالق بهما، قال الطحاوي: " أمره بخلعهما لا لكون المشي بين القبور بالنعال مكروها وإنّما لقذر رآه فيهما، قد يقذر القبور ".

3 ـ أو لاختياله في مشيه بهما.

- **هل يختصّ منع المشي بين القبور [بالنسبة لمن يرى المنع] بالنعال السبتيّة ؟**

لايختصّ جوازُ المشي بين القبور بالنعال غير السبتيّة، لعدم الفارق بين السبتيّة وبين غيرها من النعال. إلا أنّ ابن حزم الظاهري [ت 456هـ] المتمسّك بظاهر النصّ يقول بجواز المشي بين المقابر بالنعال غير السبتية، لحديث: " إنّ الميّت يسمع خفق نعالهم " وخصّ المنع بالسبتية، وجعل هذا جمعا بين الحديثين. [أي حديث بشير هذا، وحديث يسمع الميّت خفق نعالهم ـ من خَفَقَت

= بالقرظ، ومنابت القرظ، اليمن: انظر القاموس المحيط ـ مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي 2/412 ط2 ـ مطبعة مصطفى بابي الحلب وأولاده.

بفتح عين الفعل تخفِقُ بكسر وضمّ عين الفعل، خفقا النعل: صوّتت]. وهذا وَهْم من ابن حزم رحمه الله لأنّ سماع الميّت لخفق النعال لا يستلزم أن يكون المشيُ بها بين القبور. وكان أبو عبد الرحمن النسائي [ت303هـ] قبل ابن حزم قد منع المشي بين القبور بالسبتيّة وجوّزه بالنعال غير السبتية فهو يرى رأيه، حتى أنّه ترجم لهذا المعنى بقوله: " باب التسهيل في غير السبتية "، وأدرج تحته حديث أنس بن مالك مرفوعا: " إنّ العبد إذا وُضع في قبره وتولّى عنه أصحابُهُ، لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعالهم "[1].

ـ ما حكم احترام الميّت بعد وفاته؟

إنّ احترام الميّت بعد وفاته يعدّ من الواجبات المؤكّدة في الإسلام فمِثْلَما يجب تغسيلُهُ وتكفينُهُ والصلاةُ عليه ودفنُهُ فإنّه يجب احترامُ جُثْمَانِهِ، يقول النبي ﷺ: "كسر عظم الميّت ككسره حيّا".

أمّا التبرّع بأعضاء الميّت لإنقاذ مريض من خطر أكيد، فأجازه بعض علماء الإسلام بشروط:

1 ـ أن يكون هذا التبرّع برضا الميّت قبل وفاته، أو برضا أهله بعد وفاته.

2 ـ وأن يكون ذلك لإنقاذ مريض حياته في خطر وفي أمسّ الحاجة إلى ذاك العضو.

3 ـ وألا يكون ببيع لِمَا فيه من امتهان لكرامة الإنسان.

4 ـ وأن يتمّ نقلُ العُضْوِ بحضور فريق من الأطبّاء الأمناء المختصّين.

5 ـ وبحضور قاض أو عدّة قضاة عدول أو من ينوبُهُم.

ـ من آداب الإسلام عند زيارة المقابر:

لقد حدّد الإسلام جملة من الآداب والسلوكيّات أوجب على زائري المقابر احترامَهَا والتزامَهَا:

1 ـ أمر النبي ﷺ بالسلام على الموتى عند دخول المقابر.

---

(1) سنن النسائي ـ الجنائز ـ 4/96 حديث رقم 2047.

2 ـ نهى عليه الصلاة والسلام عن أن يُقْعَدَ على القبر أو يقصّص، أي يُجَصّصَ، والقصّة هي الجصّ. أو يُبنى عليه، أو يُصلّى إليه. وقد جاء في الحديث الشريف: " لا تجلسوا على القبور ولا تصلّوا إليها، فالقبور منازل الموتى وديارُهُم، وعليها تنزل الرحمةُ من ربّهم، فهي منازل المرحومين، ومَهْبِطُ الرحمة ".

3 ـ ويُكره أن يُزاد على القبر أكثر من ترابه لألا يرتفع.

4 ـ ويُكره الاتكاءُ على القبور والوطءُ عليها احتراما لسكّانها أن يوطَؤُوا بالنعال، فاحترام الميّت في قبره بمنزلة احترامه في داره في الدنيا، فإنّ القبر صار داره.

فـوائد الحديث:

1 ـ الإسلام يشجّع على التسمّي بأسماء طيّبة لا غلظة فيها ولا جفاء ولا عُدْوَانِيَّة ولا شِرْك بالله ولا يُجَوِّزُ التسمّي بأسماء غير إسلاميّة، كما يُشجّعُ على التسمّي بأسماء لا تُشْتَمّ منها رائحةُ التزكية، فالمسلمُ لا يزكّي على الله أحدا، ولذلك غيّر الرسولُ ﷺ اسم زَحْمٍ إلى بشير.

2 ـ أمر الإسلام بوجوب احترام القبور وذلك:

ـ بعدم الجلوس عليها.

ـ أو الاتكاء عليها.

ـ أو وطئها بالنعال وغيرها.

ـ أو إشعال النار عليها أو حولها.

ـ أو الصلاة إليها.

3 ـ احترام الميّت في قبره بمثابة احترامه في حياته ببيته الذي يسكنه في الدنيا، فإنّ القبر أصبح داره.

4 ـ تَأْمُرُ الشريعةُ بحفظ كرامة الميّت بعد وفاته، واحترام جُثْمَانه، يقول النبي ﷺ: "كسر عظم الميّت ككسره حيّا "، وتُستثنى حالات خاصّة بنقل الأعضاء عند التبرُّع بها بشروطها المتشدّدة عند من يجيزه من العلماء.

5 ـ وجوب اتّخاذ مقابر خاصّة بموتى المسلمين، حتى يتسنّى تطبيق أحكام الإسلام وآدابه إزاء المقابر ولا يجوز دفن غير المسلم في مقابر المسلمين[1].

* * *

الحـديث الثالـث:

باب في شكر المعروف

قال أبو داود رحمه الله: حدثنا موسى بْنُ إسماعيلَ: أخبرنا حمَّاد عن ثابتٍ عن أَنَسٍ رضي الله عنه: " **أنّ المهاجرين قالوا: يا رسول الله ذَهَبَتِ الأنصارُ بالأجر كُلِّهِ ! قال: لا، ما دَعَوْتُمْ الله لهم، وأَثْنَيْتُمْ عليهم** "[2].

شرح الترجمة:

يقول الإمام أبو داود رحمه الله: هذا باب أذكُرُ فيه حديثا أو أكثر يتناول شُكْرَ المعروف، والاعترافَ بالجميل لأهله وذكرَ أهل الخير بخيرهم، حتى يكونوا أمثلةً يتطلّعُ إلى تقليدها الناس، ومن شُكْرِ المعروف الثناءُ على صاحبه والدعاءُ له. وقد حضّ الإسلامُ على شكر المعروف حتّى أنّ الرسول ﷺ جعل شكر الناس قرين شكر الله بل فإنّ الجاحِدَ معروفَ الناسِ غَيْرَ الشاكر لهم لا يكون مؤدّيا حقَّ شكر الله على فضله ونِعَمِهِ، فقال ﷺ: " من لم يشكر الناسَ لم يشكر الله عزّ وجلّ. "

المعنى الإجمالي للحديث:

بناء على ما ورد في مناقب الأنصار من فضل في الكتاب والسنة، وما وُعِدُوا به من الأجر العميم، جاء المهاجرون يسألون النبي ﷺ: هل بقي لنا من الأجر شيء بعد كلّ ما ناله الأنصارُ؟، فأرشدهم عليه الصلاة والسلام إلى أنّهم ينالون

---

(1) انظر شرح هذا الحديث في عون المعبود شرح سنن أبي داود 9/49 حديث رقم 3214، للعلامة أبي الطيّب محمد شمس الحق العظيم آبادي، مع شرح الحافظ ابن القيم الجوزية، ضبط وتحقيق عبد الرحمان محمد عثمان، مؤسسة قرطبة للنشر ـ ط2، 1388هـ/ 1969م.

(2) السنن ـ كتاب الأدب ـ باب في شكر المعروف ـ حديث رقم 4791.

أجرا عظيما ما أَثْنَوْا على الأنصار ودَعَوْا لهم لِمَا قدّموه لرسول الله ﷺ وللمهاجرين من النُّصْرَةِ والرِّفْدِ.

ما مدى تطابق الحديث مع ترجمة الباب ؟

ترجمة الباب تتحدّث عن شكر المعروف، والحديث يدعو فيه الرسول ﷺ المهاجرين إلى الثناء على الأنصار والدعاء لهم شكرا لمعروفهم وعِرْفَانًا بأياديهم البيضاء عليهم، فالتطابُقُ بين الحديث والترجمة ثابت وواضح.

تخريج الحديث:

ـ تابع حُمَيْد الطويلُ ثَابِتَ الْبُنَانِيَّ في رواية الحديث عن أنس:

1ـ روى الترمذيّ هذه المتابعة في السنن، كتاب القيامة باب 4 [بدون ترجمة] قال: حدثنا الحسين بن الحسن المَرْوَزِيُّ بمكّة: حدثنا ابن أبي عَدِيٍّ: ثنا حميد الطويل عن أنس بلفظ مقارب. قال أبوعيسى الترمذي: "هذا حديث صحيح حسن غريب من هذا الوجه"[1].

2 ـ ورواها أحمد في المسند قال:

أ ـ حدّثنا يزيد: أخبرنا حميد عن أنس بلفظ مقارب[2].

ب ـ حدّثنا معاذ أخبرنا حميد الطويل عن أنس بلفظ مقارب[3].

الترجمة بإيجاز لرجال السند:

1ـ(ع) **موسى بن إسماعيل المِنْقَرِيُّ** [بكسر الميم وسكون النون] **التبوذَكِيُّ، الحافظ، مولاهم البصري، أبو سلمة**. يقال نُسِبَ إلى تبوذك لأنَّهُ اشترى بيتا بِتَبُوذَكَ. [ت 223هـ]:

روى عن همّام بن يحيى، وحمّاد بن سلمة، وأبي عَوَانَةَ وَضَّاحِ بْنِ عبد الله

(1) 5/653 حديث رقم2487.

(2) 3/200.

(3) 3/204.

الْيَشْكُرِيِّ، وجَرِير بن حازم، وغيرهم.

وروى عنه البخاريّ، وأبوداود، وروى عنه يحيى بن معين، وأبو زُرْعَةَ وأبوحاتم الرازيان وعبَّاس الدوريُّ وغيْرُهُمْ.

وثّقه أبو حاتم الرازي، وقال عنه: " كان أيقظ من حَجّاج الأنماطي، ولا أعلم أحدا بالبصرة ممّن أدركناه أحسنَ منه حديثا " أمّا أبوعاصم النبيل فقد قال عنه: " ما بالبصرة أعقلُ من أبي سَلَمَةَ التبوذكي" وقال عنه يحيى بن معين: ثقة مأمون كَيّس، وكان يُثْنِي عليه ويقول: ما جلست إلى شيخ إلا هابني أو عرف لي، ما خلا هذا التبوذكي. وقال أبو الوليد الطيالسي: ثقة صدوق. وقال ابن سعد: كان ثقة كثير الحديث وقال عنه ابن حِبَّان: كان من المتقنين. وقال عنه العِجْلِيّ: بصريّ ثقة[1].

2 ـ (خت، م، 4) **حمّاد بن سَلَمَةَ** [بفتح السين] **بْنِ دينار مولى بني تميم، ويقال مولى قريش، أبو سلمة، البصريّ** [ت 167 هـ]:

روى عن ثابت البُنَانِيّ، وقَتَادَةَ بْنِ دَعَامَةَ السدوسيّ، وعن خاله حُمَيْدٍ الطويل، وأنس بن سِيرِينَ، ويحيى بن سعيد الأنصاريّ، وأيّوب السختيانيّ [بتثليث السين]، وخلق من التابعين.

وروى عنه عبد العزيز بن جُرَيْجٍ وسفيان الثوري وشعبة بن الحجاج وهم أكبر منه، وعبد الله بن المبارك، وعبد الرحمن بن مهديّ ويحيى بن سعيد القطان، وأبو داود وأبو الوليد الطيالسيّان، وأبو سلمة التبوذكيّ وغيرهم.

كان رحمه الله عالماً فصيحاً صلباً في السنة والقمع لأهل البدع تقيًّا عابدا ناسكا مواظبا على الخير وقراءة القرآن والعمل لله. قال عنه ابن حِبَّانَ: من العُبّاد المُجَابِي الدعوة. وقال أحمد: حمّاد بن سلمة، أثبت في ثابت من مَعْمَرٍ، ووثّقه يحيى بن معين وقال: من خالف حمّادَ بْنَ سَلَمَةَ في ثابت فالقول قول **حمّاد**. وقال عنه عبد الرحمن بن مهدي: **حمّاد** بن سلمة صحيح السماع حسن التلقّي

(1) التعديل والتجريح 2/705 عدد 609، تهذيب التهذيب 10/333 عدد 584.

أدرك الناسَ، لم يُتّهم ولم يَلْتَبِسْ بشيء. وقال عليُّ بْنُ المَدِينِيِّ: مَنْ تكلّم في حمّاد بن سلمة فاتَّهِمُوهُ في الدين. وقال ابن عَدِيٍّ: حمّاد بن سلمة من أجلّة المسلمين، وهو مُفتي البصرة. وسئل النسائي عن حمّاد بن سلمة فقال: لابأس به ثقة.

وطالما أنّ حمّادَ بْنَ سَلَمَةَ على هذه الدرجة من الثقة والتقوى! فلم لم يُخرج له البخاريّ في صلب الجامع؟ ويجيب البيهقيُّ عن هذا التساؤل بقوله: حمّاد أحد أئمة المسلمين إلا أنّه لما كَبِرَ في السنّ ساء حفظُهُ فلذا تركه البخاريّ، أمّا مسلم فاجتهد وأخرج من حديثه عن ثابت ما سمع منه قبل تغيّره[1].

3 ـ (ع) **ثابت بن أسلم أبو محمد البُنَانِيّ** [بضم الباء] **البصريّ**، الإمام الحُجّة القدوة [ت 127هـ عن 86 سنة]:

روى عن أنس بن مالك وقد صَحِبَهُ أربعين سنة، وعبد الله بن عُمَر وأبي رافع، وعبد الله بن الزبير وعَدِيّ بن حاتم، وعبد الله بن مُغَفّل، وغيرهم.

وروى عنه من أقرانه عطاء بن أبي رباح، وقتادة بن دعامة السدوسي، وسليمان التيميّ، كما روى عنه حمّاد بن سلمة وحمّاد بن زيد. وحُميد الطويل وشعبة بن الحجاج وجَرير بن حازم، ومَعْمَرُ بْنُ راشد وهمّام وأبو عَوَانة، وسليمان بن مهران الأعمش، وغيرهم.

قال أبو حاتم: هو ثقة صدوق، أثبتُ أصحاب أنس الزهريُّ ثم قتادة، ثم ثابت. وعن أحمد بن حنبل: ثابت يتثبَّتُ في الحديث. ووثّقه العجليّ والنسائيّ. وقال ابن سعد: كان ثقة مأمونا. وقال أنس بن مالك: إنّ للخير مفاتحَ وإنّ ثابتا من مفاتح الخير. وقال شعبة: كان ثابت يقرأ القرآن في كلّ يوم وليلة ويصوم الدهر. وقال ابن حِبَّانَ: كان من أعبد أهل البصرة[2].

---

(1) انظر ترجمته في التعديل والتجريح 2/523 عدد 282 ـ تهذيب التهذيب 3/11 عدد 14.

(2) التعديل والتجريح لمن خرج له البخاري في الجامع الصحيح 1/445عدد الترجمة 178 ـ تهذيب التهذيب 2/2 عدد 2.

4 ـ (ع) **أنس بن مالك بن النضربن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب أبو حمزة النجاري الخزرجي** خادم رسول الله ﷺ، شهد مع رسول الله ﷺ الحُديبية، وعُمْرَةَ القضاء، والفتح وحُنَيْنًا والطائفَ والحجَّ سنة 10هـ، دعا له رسولُ الله ﷺ: " اللهم أكثر ماله وولده وأدخله الجنّة ". قال عنه أبو هريرة: "ما رأيتُ أحدا أشبه صلاةً برسول الله ﷺ من ابن أمّ سُلَيْمٍ "، بعثه أبوبكر إلى البحرين على السِّعَايَةِ وكان فتى شابّا لبيبا كاتبًا. [ت 93 هـ عن مائة وثلاث سنوات تقريبا، وهو آخر من توفي من الصحابة بالبصرة]:

- روى عن النبيّ ﷺ، وأبي بكر، وعمر، وعثمان، وعبد الله بن رَوَاحَةَ، وفاطمة الزهراء، وعبد الرحمن بن عَوف وابن مسعود، ومالك بن صعصعة، وأبي ذرّ الغفاريّ، وعن أمّه الرُّمَيْصَاءِ[1] بنت مَلْحَان أمّ سُلَيْم الأنصاريّة وخالته الغُمَيْصَاء[2] بنت ملحان أمّ حرام، وأمّ الفضل لبابة الكبرى بنت الحارث. .
- روى عنه الزهريّ، ويحيى بن سعيد الأنصاري، وقتادة بن دعامة السدوسيّ، وحميد الطويل والحسن البصريّ، وسليمان التيميّ، وأبو قِلابة عبد الله بن زيد ابن عمرو، وأبو مِجْلَز لاحق بن حُميد السدوسي، وثابت البنانيّ، ومحمّد بن سيرين، ويحيى بن سعيد القطان، وسعيد بن جُبَيْرٍ، وغيرهم[3].

شرح الحــديث:

المهاجرون: اسم فاعل من الفعل الثلاثيّ المزيد بحرف هاجر يهاجر هجرة ومهاجرة، والمهاجرة مُصَارَمَةُ الغير ومتاركته، ومنها قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ ﴾ [8 الأنفال72] والمراد بالهجرة **شرعا**: الخروج من

(1) مؤنّث الأريمص، نعت مشتق من الرمص وهو وسخ أبيض يجتمع في موق العين.
(2) مؤنّث الأغيمص نعت مشتقّ من الغمص وهو الرمص.
(3) الاستيعاب1/71 ـ الإصابة 1/71 عدد 277 ـ طبقات ابن سعد7/17 ـ التعديل والتجريح لمن خرّج له البخاري في الجامع الصحيح 1/390 عدد 99 ـ تهذيب التهذيب 1/376 عدد 690.

دار الكفر إلى دار الإسلام، كمن هاجر من مكة إلى المدينة. والمراد بالمهاجرين هنا هم أصحاب النبي ﷺ الذين هاجروا معه من مكة إلى المدينة أو هم من عدا الأنصار، ومن أسلم يوم الفتح، فالصحابة من هذه الحيثيّة ثلاثة أصناف: مهاجرون، وأنصار، ومسلمة الفتح فما بعده.

ذهبت: _ذهب بمعنى سار، وذهب به أي أزاله، كأذهبه، وتعني في حديثنا الذي نحن بصدد شرحه: أَخَذَتْهُ وحازته وفازت به.

الأنصار: اسم إسلامي سَمَّى به الرسولُ ﷺ الأوسَ والخزرج وحلفاءهم ومواليهم، مشتقّ من النُّصرة والرِّفْدِ والعون الذي وجده منهم الرسول ﷺ وأصحابُهُ المهاجرون.

والأوس: ينسبون إلى أوس بن حارثة، **والخزرج** ينسبون إلى خزرج بن حارثة، وهما أي الأوس والخزرج ابنا قَيْلَةَ، وهو اسم أمِّهم. أمَّا أبوهم فهو حارثة بنُ عَمْرِو بنِ عامر الذي تجتمع إليه أنساب الأزد[1].

الأجر: _مصدر أجَرَ [بفتح الجيم] ويُجمع على أجور وهو الثواب والجزاء عن عمل معيّن في الدنيا والآخرة، والمراد به في حديثنا: الثواب في الآخرة.

من أين استنتج المهاجرون ما قالوه للرسول ﷺ؟

لقد وردت في فضل الأنصار عدّة آيات وأحاديثَ تُثْبِتُ رسوخ قدمهم في الإيمان وتفانيهم في خدمة الإسلام، وتضحياتهم الجِسَام في حماية الرسول ﷺ ورعاية أصحابه مما يؤكّد أجْرَهُم العظيم.

1 ـ فمن ذلك قول الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [59 الحشر 9] فالآية تُشِيدُ بالأنصار هؤلاء الذين سكنوا المدينة قبل الإسلام وقبل وقوع الهجرة، حتى إذا

(1) انظر فتح الباري 7/138.

ما دخلوا في الإسلام وآمنوا به والتزموه وتجذّر حُبُّهُ وحبُّ رسوله في قلوبهم ملك الإيمانُ كِيَانَهُم وأحاط بهم من جميع أقطارهم حتى كأنّهم نزلوه، فكانوا يحبّون من يلحق بهم من المهاجرين في مدينتهم، ولا يجدون في نفوسهم شيئا من الضغينة أو الحسد ممّا أُعْطِيَهُ هؤلاء المهاجرون من الغنيمة، بل فإنّ الأنصار يقدِّمونهم و يؤثرونهم على أنفسهم. حتى وإن كانوا يعانون من الفاقة والاحتياج. ذلك أن الأنصار حَمَاهم الله من البُخْلِ والحِرْصِ فكانوا المفلحين الذين ظفروا بسعادة الدارين.

2- ومن ذلك ما رواه الإمام البخاريُّ في الجامع الصحيح في كتاب مناقب الأنصار من قول الرسول ﷺ: "لو أنّ الأنصار سلكوا واديا أوشِعْبًا لسلكتُ في وادي الأنصار ولولا الهجرةُ لكنتُ امرأ من الأنصار"[1].

3- وكذلك قوله عليه الصلاة والسلام: " الأنصار لا يحبّهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق، فمن أحبّهم أحبّه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله "[2]. ويشرح ابن التين الصفاقُسِيُّ المراد بهذا الحبّ وهذا البغض فيقول: المراد حبّ جميعهم وبغض جميعهم، لأنّ ذلك إنّما يكون للدين، أمّا من أبغض بعضهم لمعنى يسوّغ هذا البغضَ فلا يدخل ضمن التهديد ببغض الله له[3].

4- وقوله ﷺ: "آية الإيمان حبّ الأنصار وآية النفاق بغض الأنصار"[4].

5- وقوله عليه الصلاة والسلام للأنصار: " والذي نفسي بيده، إنكم أحبّ الناس إليّ "[5].

6- وكان عليه الصلاة والسلام قد أثنى على الأنصار في خطبة مرضه التي قالها في آخر مجلس جلسه النبيُّ ﷺ لأصحابه، وأوصى بهم خيرا فقال: " أوصيكم

---

(1) باب قول النبي ﷺ: لولا الهجرة.. حديث عدد 3779 متن فتح الباري 7/139.
(2) باب حب الأنصار من الإيمان حديث عدد 3783 متن فتح الباري 7/141.
(3) فتح الباري 7/142.
(4) باب حب الأنصار من الإيمان حديث عدد 3784.
(5) باب قول النبي ﷺ: أنتم أحبّ الناس إليّ، حديث عدد 3786.

بالأنصار، فإنّهم كَرِشِي وعَيْبَتِي، وقد قَضَوْا الذي عليهم، وبقي الذي لهم، فاقبلوا من مُحسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم "(1). والمراد **بكرشي** بفتح الكاف وكسر الراء بطانتي وخاصَّتِي، وضرب المثل بالكرش لأنَّهُ مُسْتَقَرُّ غذاء الحيوان الذي يكون فيه نماؤه، أما **العيبة** بفتح العين وسكون الياء فهي ما يَحْرُزُ فيه الرجلُ نفيسَ ما عنده من الأشياء الثمينة، ويريد ﷺ بهذا المثل أنّهم موضِعُ سِرِّهِ وأمانته، قال ابن دريد: " هذا من كلامه الموجز الذي لم يُسْبَقْ إليه "، أمّا قوله ﷺ: " وقد قَضَوْا الذي عليهم "، فيشير إلى ما وقع لهم ليلة العقبة من المبايعة، فإنّهم بايعوا على أن يُؤْوُوا النبيَّ ﷺ، وينصروه، على أنَّ لهم الجنةَ فَوَفَوْا بذلك. أمّا المرادُ بقوله عليه الصلاة والسلام: "و بقي الذي لهم " فهو الجنَّةُ، بفضله ورحمته تعالى.

ما أثنيتم: **ما**: مصدريّة ظرفيّة بمعنى مدّة وزمنا.

أثنيتم: أظهرتم فضلهم وذكرتموهم بخير وشكرتم معروفهم، من الثناء وهو المدح وذكر الفضائل والمحاسن. والمعنى: أنّكم طوال المدّة والزمن الذي تثنون فيه على إخوانكم فإنّكم تشاركونهم الأجر والمثوبة.

ودعوتم الله لهم: ما طلبتم الله أن يَجْزِيَهُمْ على معروفهم، ونصرتهم للإسلام، وأن يغفر لهم ويُثِيبَهُمْ الجنةَ.

فوائد الحديث:

1 ـ مكانة الأنصار في الإسلام كبيرة لما قدّموه من نصرة ورفد للرسول ﷺ وللمهاجرين.

2 ـ وجوب شكر المعروف، وقد جاء من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ: " لا يشكر الله من لا يشكر الناسَ "(2).

---

(1) الجامع الصحيح للبخاري ـ كتاب مناقب الأنصار ـ باب قول النبي ﷺ: اقبلوا من محسنهم. . حديث عدد 3799 متن فتح الباري 7/ 151.

(2) رواه أحمد في مسنده2/285، 295، 303. . أبوداود في سننه ـ الأدب ـ باب شكر المعروف 5/157 ـ 158 حديث رقم 4811. والترمذي في سننه ـ البر والصلة ـ باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك 4/339 حديث رقم 1954 ـ 1955 وقال عنه: حسن =

3 ـ حرص المهاجرين على نيل الأجر والمثوبة كإخوانهم الأنصار دليلا على علوّ همّتهم وعمق إيمانهم، فهم يغبطونهم ولا يحسدونهم.

4 ـ فضل الداعي والشاكر للمحسن كفضل المحسن نفسه[1].

* * *

الحديث الرابع:

قال الإمام البخاريّ رحمه الله تعالى: حدّثنا عَمْرُو بْنُ مرزوقٍ: قال: حدثنا شُعْبَةُ، عن عَطَاءِ بْنِ أبي مَيْمُونَةَ، **عن أبي رافع، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان اسمُ ميمونةَ بَرَّةً، فسمّاها النبيّ ﷺ ميمونةَ"**[2].

المعنى الإجمالي للنصّ:

يبيّن الحديث ما دأب عليه رسول الله ﷺ من تحسين وضع المجتمع المسلم على كلّ الأصعدة وفي كلّ شأن من شؤونه بما في ذلك أسماء أفراده. فقد كانت هناك أسماء جاهليّة توحي بالشرك كعبد شمس، وعبد العزّى، وأخرى توحي بالغِلْظَةِ والخشونة كحرب، وحنظلة، ومُرّة والعاص بل والعاصية، وغيرها قبيح كشيطان [مشتقّ من الشطن وهو البعد عن الخير] وغُرَاب، وحُبَاب [الحيّة]، فغيّر عليه الصلاة والسلام تلك الأسماء إلى أسماء إسلاميّة تعكس الإيمان والاستقامة، والخُلُقَ الرضيَّ. وأمر ﷺ بتحسين الأسماء، فقد جاء في حديث أبي الدرداء مرفوعا: "إنّكم تُدْعَوْنَ يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم فأحْسِنُوا أسماءكم "[3]، وكان

= صحيح. وأبو يعلى في مسنده 2/365.

(1) انظر شرح هذا الحديث في: عون المعبود شرح سنن أبي داود لأبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي 13/166. فتح الباري 7/11، 137، 85، 138، 138، 139، 141، 142، 149، 151.

(2) الأدب المفرد ـ باب برّة ـ حديث رقم 832.

(3) فتح الباري 10/593.

عليه الصلاة والسلام " إذا سمع الاسم القبيحَ حوّله إلى ما هو أحسن منه "[1]، بل فحتى الأسماء غير المناسبة للأماكن والبقاع، غيّرها الرسول ﷺ إلى أسماء تُشِيعُ الأمْنَ النفسيّ، فأرض تُسمّى عَفِرَةَ، وفي رواية تسمّى غَذْرَةَ [كأنّها غادرة لأنّها لا تنبت شيئا] فسمّاها خضرة، وشِعْب الضلالة سمّاه شعب الهُدَى[2].

الترجمة بإيجاز لرجال السند:

1 ـ (خ، د) عمرو بن مرزوق أبو عثمان الباهليّ يقال: مولاهم، مولى باهلة، البصري، [ت في صفر سنة 224 هـ]:

روى عن شعبة بن الحجاج، ومالك بن أنس، والحمّادين، وهمّام بن يحيى ابن دينار ووُهَيْبِ بْنِ خالد، وجماعة.

روى عنه البخاريُّ في الجامع في أكثر من موضع وفي الأدب المفرد، وأبوداود، وأبو قِلابة عبد الملك بن محمد الرقاشي ويعقوب بن شيبة وآخرون.

وثّقه يحيى بن سعيد القطّان، وأبو حاتم محمد بن إدريس الرازي. وقال عنه أحمد بن حنبل: رجل صالح، ثقة مأمون، فتّشنا على ما قيل فيه فلم نجد له أصلا. وقال يحيى بن معين: ثقة مأمون، صاحب غزو، وقرآن وفضل، وحَمِدَهُ جدّا. وقال عنه محمد بن سَعْدٍ: كان ثقة، كثير الحديث عن شعبة[3].

2 ـ (ع) شُعْبَةُ بْنُ الحجَّاج بن الوَرْدِ أبو بِسْطَامٍ مولى عَبْدَةَ الأغرّ، وكان عبدةُ مولى يزيد بن المُهَلّب، العَتَكِيّ الأزديّ الواسطيّ [83 ـ 160 هـ]

قال الحاكم: رأى شعبةُ أنسَ بْنَ مالك وعَمْرَو بْنَ سَلَمَةَ الصحابيين وسمع

---

(1) أخرجه أبوداود في السنن ـ الأدب ـ باب في تغيير الأسماء 5/236 حديث عدد 4948، وانظر فتح الباري 10/591.

(2) أبوداود في السنن 5/243.

(3) التعديل والتجريح للباجي 3/974 عددالترجمة 1102 ـ تهذيب التهذيب 8/99 عدد 160.

أربعمائة من التابعين، وممّن روى عنهم سفيان الثوري، ومالك بن أنس، وهشام الدُّسْتُوَائي وهم من أقرانه و أبو إسحاق السَّبِيعِيّ ومحمد بن المنكدر وقتادة، ومنصور بن المعتمر، وسليمان الأعمش وأيُّوب، وعطاء بن أبي ميمونة، وأنس بن سيرين، وجعفر الصادق، ويحيى بن سعيد الأنصاريّ، وخلق كثيرون.

وروى عنه: أيُّوب والأعمش، وسعد بن إبراهيم ومحمد بن إسحاق وهم من شيوخه، وعبد الله بن المبارك، ويحيى بن سعيد القطان، وعبد الرحمن بن مهدي، ووَكِيعُ بْنُ الجَرَّاحِ، وعمرو بن مرزوق، وعثمان بن جَبَلَةَ بْنِ أبي روّاد، وغُنْدُر [محمد بن جعفر الهُذليّ مولاهم]، وآدمُ بْنُ أبي إياس، وعليّ بن الجَعْدِ. وشريك القاضي، والقعنبيّ..

قال الثوري: شعبة أمير المؤمنين في الحديث. وقال الشافعيّ: لولا شعبةُ ما عُرِفَ الحديثُ بالعراق. وقال عنه أحمد: لم يكن في زمن شعبة مثلُهُ في الحديث، ولا أحسن حديثا منه، وقال: كان شعبة أمّةً وحده في هذا الشأن أي في الرجال وبصره بالحديث وتثبّته و تنقيته للرجال. وقال عنه ابن سعد: كان ثقة مأمونا ثبتا حجّة صاحب حديث. وقال العجليّ: ثقة ثَبْت في الحديث. قال ابن مَنْجَوَيْهٍ نقلا عن ابن حِبّانَ في الثقات: كان شعبة من سادات أهل زمانه حفظا وإتقانا ووَرَعًا وفضلا، وهو أوّلُ من فتّش بالعراق عن أمر المحدّثين، وجانب الضعفاء والمتروكين، وصار عَلَمًا يُقْتَدَى به، وتبعه عليه أهل العراق. قال وكيعُ بْنُ الجرَّاح: إنّي لأرجو أن يرفع الله لشعبة في الجنة درجات، لِذَبه عن رسول الله ﷺ. وقال الحاكم: شعبة إمام الأيمّة في معرفة الحديث بالبَصْرَةِ. وكان رحمه الله إلى جانب ذلك عالما بالعربيّة والنحو والشعر حتى قال الأصمعيّ: لم نر أحدا أعلم بالشعر منه، وكان يحضُّ على تعلّم العربيّة ويقول: تعلّموا العربيّة فإنّها تزيدُ في العقل. كما كان مَضْرِبَ مَثَلٍ في العبادة والرحمة بالمستضعفين، قال عنه أبو بحر البكراوي: ما رأيتُ أعبدَ من شعبة، لقد عَبَدَ الله حتى جفّ جِلْدُهُ على ظهره. وقال مسلم بن إبراهيم: ما دخلتُ على شعبة في وقت صلاة قطُّ إلا رأيته قائما يُصليّ.

وقال النَّضِرُ بن شُمَيْلٍ: ما رأيت أرحم بمسكين منه[1].

3 ـ (خ، م، د، س، ق) **عطاء بن أبي ميمونة واسمه مَنِيع، البصريّ، وقيل: هو ابن بلال أبو مُعَاذٍ، مولى أنس بن مالك الأنصاريّ، وقيل مولى عِمْرَان بْنِ حُصَيْنٍ الخزاعيّ**، [توفّي بعد الطاعون بالبصرة وكان الطاعون سنة 131 هـ]:

روى عن أنس، وأبي رافع نُفَيْعِ بْنِ رافع الصائغ، وعمران بن حصين، وجابر بن سمرة، وأبي بُرْدَةَ بن أبي موسى الأشعريّ، وغيرهم.

وروى عنه شعبة، ورَوْحُ بْنُ القاسم، وخالد الحذّاء..

وثّقه ابن معين و أبو زرعة، والنسائيّ، ويعقوب بن سفيان. كما قال عنه ابن معين: ليس به بأس. وقال أبو حاتم: هو صالح الحديث لا **يُحْتَجُّ** به[2].

4 ـ (ع) **أبو رافع هو نفيع بن رافع الصايغ المدنيّ**، يقال إنّه تحوّل إلى البصرة فنُسِبَ إليها، كما يقال إنّه أدرك الجاهليّة.

روى عن أبي هريرة، وأبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وابن مسعود، وزيد بن ثابت، وأُبَيِّ بْنِ كعب، وأبي موسى الأشعريّ، وحفصة بنت عمر رضي الله عنهم أجمعين.

وروى عنه ابنه عبد الرحمن، والحسن البصريّ، وثابت البُنَانِيُّ، وقتادة، وسليمان التيميّ، وعطاء بن أبي ميمونة، وحميد بن هلال، وغيرهم..

وثّقه ابن سعد، وقال العجليّ: تابعيّ بصريّ ثقة، من كبار التابعين، ووثّقه الدارقطنيّ وقال: إنّ اسمه قُتَيْبَةُ وليس نفيعا. ومن آيات ورعه، ما حكاه ثابت عنه قال: " لمّا أُعْتِقَ أبو رافع بكى، وقال: كان لي أجران، فذهب أحدهما "[3].

5 ـ (ع) **أبو هريرة الدوسيّ اليمانيّ**، يقال إنّ اسمه في الجاهلية عَبْدُ شمس وكنيته أبو الأسد، ويقال عبد عمرو، أو عبد غنم، فسمّاه الرسول ﷺ عبد الرحمن بن

(1) التعديل والتجريح للباجي 3/1162 عدد 1390 ـ تهذيب التهذيب 4/338عدد 580.
(2) التعديل والتجريح 3/1006 عدد 1151 ـ تهذيب التهذيب 7/215 عدد 395.
(3) التعديل والتجريح 2/778 عدد 737 ـ تهذيب التهذيب 10/472 عدد 848.

صخر وقيل عبد الله وكنّاه أباهريرة، وقيل اسم أمّه ميمونة بنت صخر، قدم على النبيّ ﷺ بخيبر في المحرّم سنة 7 هـ [صلّى على عائشة في رمضان سنة 58 هـ، وقيل توفي بعدها بأشهر قليلة. وقال عمرو بن عليّ الفلاس: توفّي في سنة 59 هـ].

روى عن رسول الله عليه الصلاة والسلام الكثير الطيّب، كما روى عن أبي بكر، وعمر، والفضل بن عبّاس بن عبد المطلب، وأبيّ بن كعب، وأسامة بن زيد، وعائشة وكعب الأحبار. .

وروى عنه ابن عباس، وابن عمر، وأنس بن مالك، وواثلة بن الأسقع، وجابر بن عبد الله، و سعيد بن المسيّب، وسليمان بن يسار، وسلمان الأغرّ، ومحمد بن سيرين، ومجاهد بن جبر، وعطاء بن أبي رباح، وعامر بن شراحيل الشعبيّ وعبد الرحمن بن هرمز الأعرج، وأبو رافع نفيع بن رافع الصايغ، وخلق كثير. قال الإمام البخاريّ: روى عنه نَحْوُ ثمانمائةِ رجلٍ أو أكثر من أهل العلم من الصحابة والتابعين(1). وهو أَحْفَظُ مَنْ رَوَى الحديثَ في دَهْرِهِ، وقد شَهِدَ له الصحابةُ بالحفظِ وأذعنُوا له بالفضلِ.

شرح الحديث:

بـرّة: اسم مشتقّ من البِرّ وهو التوسّع في فعل الخير. فيه تزكية

والبِرّ ينسب إلى الله تعالى " هو البَرّ الرحيم " أي المُثِيبُ عَبْدَهُ الصالح الرحيم به.

كما قد ينسب إلى الإنسان فنقول: " بَرَّ العبدُ ربّه " أي توسّع في طاعته، وبرّ العبد أباه أي توسّع في الإحسان إليه، وهو بارّ وبرّ ويجمع على أبرار وبررة، وضدّ البرّ العقوق. ويستعمل البرّ في الصدق لكونه بعض الخير المتوسّع فيه، فيقال برّ الرجل في قوله، وبرّ في يمينه(2). فالبرّ والبرّة اسم فيه تزكية، وقد تشتمّ منه رائحة مشاركة الله في صفة من صفاته وهي البرّ، وهو ما جعل

(1) الاستيعاب 4/202 ـ الإصابة 4/202 عدد 1190 ـ التعديل والتجريح 3/1276 عدد 1690 ـ تهذيب التهذيب 12/262 عدد 1216.

(2) راجع مفردات القرآن الكريم للراغب الأصفهاني 114.

الرسول ﷺ يغيّره، فقد ورد في السنة أنّه عليه الصلاة والسلام غيّر أسماء عدد من الصحابيات كنّ يتسمّين ببرّة إلى أسماء أخرى. جاء في صحيح البخاري عن أبي هريرة: " أنَّ زينب كان اسمُهَا برّة، فقيل تزكّي نفسها، فسمّاها رسول الله ﷺ زينب "[1]. **والزينب** شجر حسن المنظر طيّب الرائحة.. وزينب الواردة في الحديث يحتمل أن تكون:

- **زينب بنت جحش زوج النبي ﷺ.**
- أو زينب بنت أبي سلمة ربيبته ﷺ، وكلّ منهما كانت تسمّى " برّة " فغيّره ﷺ، فقد جاء في حديث زينب بنت أبي سلمة: " سمّيتُ برّة فقال النبي ﷺ: لا تزكّوا أنفسكم، فإنّ الله أعلم بأهل البرّ منكم. قالوا ما نسمّيها؟ قال: سمّوها زينب[2].
- وورد في بعض روايات مسلم: "وكان اسم زينب بنت جحش برّة "[3].

كما حوّل الرسول ﷺ اسم برّة بنت الحارث أمّ المؤمنين رضي الله عنها إلى جويرية، كره أن يقال: دخل عند برّة أو خرج من عند برّة. وغيّر اسم ابنةٍ لعمر كانت يقال لها " عاصية " فسمّاها رسول الله ﷺ " جميلة "[4].

ميمونة: اسم مفعول من الفعل الثلاثي يَمَنَ، ييمُنُ بفتح الميم في الماضي

---

(1) كتاب الأدب ـ باب تحويل الاسم إلى اسم أحسن منه حديث رقم 6192 متن فتح الباري 591/10.

(2) راجع فتح الباري 592/10، صحيح مسلم ـ الآداب ـ باب استحباب تغيير الاسم القبيح إلى حسن 1687/2 حديث عدد 2142، سنن أبي داود ـ الأدب ـ باب في تغيير الاسم القبيح 239/5 حديث رقم4953، سنن ابن ماجه ـ الأدب ـباب تغيير الأسماء 1230/2 حديث 3732.

(3) مسلم ـ الآداب ـ باب استحباب تغيير الاسم القبيح إلى حسن 2/ 1687 حديث عدد 2140.

(4) مسلم ـ الآداب ـ باب استحباب تغيير الاسم القبيح إلى حسن 1687/2 حديث رقم 2139، الترمذي ـ الأدب ـ باب تغيير الأسماء 134/5 حديث رقم 2838، ابن ماجه ـ الأدب ـ باب تغيير الأسماء 1230/2 حديث 3733.

وضمّها في المضارع فهو ميمون وهي ميمونة أي مباركة.

اداب إسلامية في تسمية الرقيق ونسبتهم إلى مالكيهم:

لم يغيّر الرسول ﷺ الأسماء القبيحة إلى أسماء حسنة فحسب، وإنّما وضع ضوابط للارتقاء بالتعامل مع الرقيق إلى مستوى متمدّن ينضَحُ أدبا ورحمة بعيدا عن كلّ تطاول وتَعَالٍ عليهم، وعن كلّ ما يجرح مشاعرهم أو يؤذيهم من أسماء وألقاب، فقال عليه الصلاة والسلام: "لا يقولنّ أحدكم عبدي وأمتي، ولا يقولنّ المملوك ربّي وربّتي، وليقل المالك فتاي وفتاتي، وليقل المملوك: سيّدي وسيّدتي، فإنّكم المملوكون، والربّ: الله عزّ وجلّ "[1] وقد ترجم الإمام البخاري لهذا المعنى الذي يقرّره الرسول ﷺ بقوله: "باب كراهية التطاول على الرقيق".

هل يجوز تسمية الأعناب بالكرم؟

وحتى تبقى للأسماء دلالاتها الحقيقية، ولا يختلط الطيّب بالخبيث فقد حَرَصَ الرسول ﷺ على استخدام الألفاظ في مواضعها الصحيحة وعدّ ذلك من الأدب فدعا عليه الصلاة والسلام إلى أن يتجنّب المسلمون إطلاق اسم الكرم على شجر العنب، فقال ﷺ: "لا يقولَنّ أَحَدُكُمْ الكرم، فإنّ الكرم الرجل المسلم، ولكن قولوا: "حدائق الأعناب"[2]. ذلك أنّ الكرم مشتقّ من الكَرَم وهو الجود والسخاء، ومن الكرامة وهي عرض الإنسان وقدره ومكانته، فلا يجوز أن نطلق هذا الاسم الكريم على أشجار العنب التي قد يُعْتَصَرُ من ثمرها خَمْر حرام، فكأنّ الرسول عليه الصلاة والسلام أشفق على المسلمين أن يدعُوَهُمْ حسنُ اسمها إلى شربها ومعاقرتها، فسلبها هذا الاسم وجعله صفة للمسلم الذي يتوقّى شربها.

---

(1) سنن أبي داود ـ الأدب ـ باب لا يقول المملوك ربي وربتي5/ 256 ـ257 حديث رقم 4975، مسلم ـ الألفاظ من الأدب ـ باب حكم إطلاق لفظة العبد ـ حديث رقم 2249.

(2) سنن أبي داود ـ الأدب ـ باب في الكرم وحفظ المنطق 5/ 255 ـ 256 حديث عدد 4974، صحيح مسلم ـ في الألفاظ من الأدب ـ حديث 2249.

ما العلة في تغيير بعض الأسماء ؟

يذكر ابن جرير الطبري تعليلا لهذا التغيير فيقول: " لا تنبغي التسمية باسم قبيح المعنى، ولا باسم يقتضي التزكية ولا باسم معناه السبّ، وإن كانت الأسماء إنّما هي أعلام للأشخاص لا يقصد بها حقيقة الصفة، لكن وجه الكراهة أن يسمع سامع بالاسم فيظنّ أنّه صفة للمسمّى، فلذلك كان عليه الصلاة والسلام يحوّل الاسم إلى ما إذا دعي به صاحبه كان صدقا " .

وهنا يقفز سؤال يفرض نفسه وهو: **هل تغيير الرسول ﷺ بعض الأسماء على وجه المنع من التسمّي بها؟** ويتولّى ابن جرير الطبري الجواب عن هذا السؤال فيقول: " قد غيّر الرسول ﷺ عدّة أسماء وليس ما غيّر من ذلك على وجه المنع من التسمّي بها، بل على وجه الاختيار، ومن ثمّ أجاز المسلمون أن يُسَمّى الرجلُ القبيحُ بحسن، والفاسد بصالح، ويدلّ عليه أنّه ﷺ لم يُلْزِمْ حَزْنًا لمّا امتنع من تحويل اسمه إلى سهل بذلك، ولو كان ذلك لازما لما أقرّه على قوله: " لا أغيّر اسما سمّانيه أبي " .

هل غيّر الرسول ﷺ من أسماء الرجال شيئا؟

ـ لقد غيّر الرسول ﷺ عديد الأسماء غير المناسبة ممّا لا يتّفق مع روح الإسلام في توحيده وسماحته من ذلك مثلا:

أنّ رجلا اسمه **أصرم** [من الصرم وهو القطع والجذّ والقطيعة] سمّاه الرسول ﷺ **زُرْعَةَ**[1] .

مطيع بن الأسود العدويّ والد عبد الله بن مطيع، كان اسمه **العاص** فغيّره ﷺ مطيعا.

وعتبة بن عبد السلميّ كان اسمه **عَتَلَةَ** [الهراوة الغليظة، أو العصا الضخمة من الحديد يهدم بها الحائط] فحوّله ﷺ عتبة.

(1) سنن أبي داود ـ الأدب ـ باب في تغيير الاسم القبيح 5/239حديث عدد 4954.

و مسلم **أبو رايطة** كان اسمه **غُرَاباً**. **عبد الله بن عبد الله بن أبيّ** كان اسمه **حُبَاباً** [بضم الحاء المهملة: الحيّة] فحوّله النبي ﷺ إلى عبد الله. و **هشام بن عامر الأنصاريّ** كان يتسمّى **بشهاب** [من معانيه السنان لما فيه من البريق، ويقال فلان شهاب حرب إذا كان ماضيا فيها] و **الحسن** بن علي سمّاه علي رضي الله عنهما أوّلا **حربا** فغيّره النبي ﷺ حسنا. كما سمّى **حربا سلما**، وسمّى **المضطجع المنبعث**، وسمّى بني **الزنية** بني **الرشدة**، وبني **مغوية** بني **رشدة**[1]. وسمّى السماسرة تجارا، روى قيس بن أبي غرزة رضي الله عنه قال: " كنّا نسمّى في عهد النبيّ ﷺ السماسرة [جمع سمسار وهو القيّم بأمر البيع، والحافظ له] فمرّ بنا الرسول عليه الصلاة والسلام فسمّانا باسم هو أحسن منه. قال: يا معشر التجار! إنَّ البيع يحضره الحلف واللغو، فـشُوبُوهُ بالصدقة[2].

فوائد الحديث:

1 ـ عناية الرسول ﷺ بشؤون أمّته على كلّ الأصعدة، حتى في مجال أسماء أفرادها، فدعا إلى تحسينها لتوفير مناخ نفسي حضاري آمن بعيد عن العنف والقبح والكبرياء والشرك، وفيه نهوض وجدّ وعمل بعيدا عن التواكل والخمود والركود.

2 ـ جعلت الشريعة من حقوق الأبناء على آبائهم تسميتهم بالاسم الحسن.

3ـ وجوب تجنّب التسمّي بأسماء غير إسلاميّة.

* * *

(1) سنن أبي داود 5/243.
(2) سنن ابن ماجه ـ التجارات ـباب التوقّي في التجارة 2/726حديث عدد 2145.

الحديث الخامس:

[باب من قال: " إنّ من البيان سحرا "]

قال الإمام البخاريّ رحمه الله تعالى: حدّثنا عَارِم قال: حدثنا أبو عَوَانَةَ، عن سِمَاكٍ، عن عِكْرِمَةَ، عن ابن عبّاس رضي الله عنه: " **أنّ رَجُلا - أو أعرابيّا - أتى النبيّ ﷺ فتكلّم بكلام بيّن ! فقال النبيّ ﷺ:**

" **إنّ من البيان سحرا وإنّ من الشعر حِكْمَةً** "(1).

شرح ترجمة الباب:

يقول الإمام البخاري رحمه الله هذا باب نذكر فيه حديثا أو أكثر من أحاديث رسول الله ﷺ التي تقرّر أنّ البيان البليغ الفصيح الأنيق له في النفوس فعل السحر.

باب: خبر لمبتدإ محذوف تقديره هذا، وتجوز فيه الإضافة إلى عبارة: "من قال: إنّ من البيان سحرا"، والباب في الحقيقة هو المدخل، والمراد به هنا فصل يضمّ حديثا أو عددا من الأحاديث تتناول مسألة واحدة أو موضوعا واحدا، فاستعماله في المعاني مجاز.

و **البيان:** في أصل اللغة هو الكشف عن الشيء، وما يبيّن به، وسُمِّي الكلام بيانا لكشفه عن المعنى المقصود وإظهارِهِ كما سُمَي ما يُشْرَحُ به المُجْمَلُ والمبهم من الكلام بيانًا. **فالبيان** هو الكلام الواضح البيّن البليغ الفصيح المؤثّر فهو "اجتماع الفصاحة والبلاغة وذكاء القلب مع اللسن". وجاء شرح البيان في فتح الباري نقلا عن الخطابي كالتالي: "البيان اثنان: **أحدهما:** ما تقع به الإبانة عن المراد بأيّ وجه كان. و **الآخر:** ما دخلته الصنعة بحيث يروق للسامعين ويستميلُ قلوبَهُمْ، وهو الذي يُشَبّهُ بالسحر إذا خلب القلب وغلب على النفس حتى يحوّل الشيء عن حقيقته ويصرفه عن وجهه".

---

(1) الأدب المفرد - 380 - حديث عدد 872، أما الترجمة فمن صحيح البخاري - كتاب الأدب - متن فتح الباري 10/ 247.

السّحر: مشتقّ من السَّحَرِ وهو طرف الحلقوم والرئة، لأنَّ السّحر إذا فعل فعله في المسحور فكأنه أصاب منه السَّحَرَ. ويُطلق السِّحْرُ على معان عديدة:

ـ "**أحدها**: ما دقّ ولَطُفَ، ومنه سحرت الصبيَّ خادعته، واستملته، وكلّ من استمال شيئا فقد سحره.. ومنه قول الأطباء: الطبيعة ساحرة لجمالها ودقّة صنع الله فيها، كما سمّوا الغذاء سحرا من حيث إنّه يدقّ ويلطف تأثيره، ومنه قول النبي ﷺ: "إنّ من البيان لسحرا " لِحُسْنِهِ وعمق أثره في النفس..

ـ **الثاني**: ما يقع بخداع وتخييلات لا حقيقةَ لها نحو ما يفعله المشعوذُ من صرف الأبصار عمّا يتعاطاه بخفّة يده، وإلى ذلك يشير قوله تعالى: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ [20 طه 66] وقوله: ﴿سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ﴾ [7 الأعراف 116]..

ـ **الثالث**: ما يحصل بمعاونة الشياطين بضرب من التقرُّبِ إليهم، وإلى ذلك يشير قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ [2 البقرة 102].

ـ **الرابع**: ما يحصل بمخاطبة الكواكب واستنزال روحانيّاتها بزعمهم..

ثم إنّ السحر يُطْلَقُ ويراد به الآلة التي يُسحر بها، ويطلق ويراد به فعل الساحر. والآلة تارة تكون معنى من المعاني فقط كالرُّقَى [جمع رُقْيَةٍ، يقال رقى يرقي، ورقيت فلانا أرقيه، واسترقى: طلب الرقية.. وهي بمعنى التعويذ] والنفث في العقد، وتارة تكون بالمحسوسات كتصوير الصورة على صورة المسحور، وتارة بجمع الأمرين الحسّيّ والمعنويّ وهو أبلغ ".

المعنى العام للحديث:

يبيّن الحديث أثر البيان الحسن، والشعر الحكيم الجيّد في النفوس، فهو يخلبها، ويبعث فيها إحساسا بالانبهار وشعورا بالإذعان كأنّها خدّرت بفعل السحر.

هل للسحر تأثير في النفوس ؟

اَخْتُلِفَ في السحر: ـ فقيل هو تخييل فقط ولا حقيقة له ولا تأثير..

وقال **الإمام محيي الدين النووي** ت 676هـ: والصحيح أنّ له حقيقةً وبه قَطَعَ

الجمهور وعليه عامّة العلماء، ويدلّ عليه الكتاب والسنة المشهورة. . وتأثيره يكون بحيث يغيّر المزاجَ فيكوّنُ نوعا من الأمراض، وهذا ما ذهب إليه الجمهور من تأثيره.

ويقول **الإمام المازَرِيُّ** ت 535هـ: جمهور العلماء على إثبات السحر، وأنّ له حقيقة. . أمّا **أبو العبّاس أحمد بن عُمَرَ القرطبيّ** ت656هـ فيقول: والحقّ أنّ لبعض أصناف السحر تأثيرًا في القلوب كالحُبّ والبُغض وإلقاء الخير و الشرّ وفي الأبدان كالألم والسقم.

ـ ما الفرق بين السحر والكرامة والمعجزة ؟

ـ يقول المازريّ رحمه الله: إنّ **السحر** يكون بمعاناة أقوال وأفعال حتى يتمّ للساحر ما يريد. و **الكرامة** لا تحتاج إلى ذلك، لأنّها تقع غالبا اتّفاقا. وأمّا **المعجزة**: فتمتاز عن الكرامة بالتحدّي، إذ يجريها الله على أيدي أنبيائه تصديقا لهم فيما ادّعوه وتحدّيا لمكذّبيهم وللخلق جميعا. ونقل إمام الحَرَمَيْنِ الجُوَيْنِيُّ الإجماعَ على أنّ السحر لا يظهر إلا من فاسق، وأنّ الكرامة لا تظهر على يد فاسق. . وإنّما تجري على يد صالح تقيّ ملتزم. وقال النووي: "ينبغي أن يعتبر بحال من يقع الخارق منه، فإن كان متمسّكا بالشريعة متجنّبا للموبقات، فالذي يظهر على يده من الخوارق كرامة، وإلا فهو سحر، لأنّهُ ينشأ عن أحد أنواعه كإعانة الشياطين " .

ـ **إنّ من البيان لسحرا**: هذا الجزء من الحديث رواه البخاري أيضا في الجامع الصحيح بسنده إلى عبد الله بن عمر[1].

ـ **إنّ**: حرف توكيد ينصب المبتدأ ويرفع الخبر.

ـ **من البيان**: جار ومجرور في محلّ رفع خبر إنّ.

ـ **لسحرا**: اللام للتأكيد، وسحرا اسم إنّ مقدّم منصوب بالفتحة الظاهرة في آخره.

---

(1) الطب ـ باب إنّ من البيان لسحرا حديث عدد 5767 متن فتح الباري 10/ 247.

الترجمة بإيجاز لرجال السند:

1 ـ (ع) عارِم محمد بن الفضل السدوسيّ، أبو النُّعْمَانِ البصريّ المعروف بعارم [ت 224 هـ]:

حدّث عن أبي عَوَانة، وجَرِير بن حازم وحمَّاد بن زيد وغيرهم.

روى عنه: البخاري مباشرة ثم روى عنه بوساطة عبد الله بن محمد المُسْنَدِيِّ.

وثّقه العلماء، وقدّمه أبوحاتم محمد بن إدريس الرازي على أبي سلمة فقال: عارم أحبّ إليّ. اختلط في آخر عمره وزال عقله سنة220 هـ[1].

2 ـ (ع) أبو عَوَانَةَ وضّاح بن عبد الله اليَشْكُرِيّ ويقال الكنديّ، البصريّ الواسطيّ البزّاز، مولى عطاء بن يزيد بن عبد الرحمن السُّلَمِيّ [توفّي يوم السبت في ربيع الآخر 176 هـ]:

روى عن عبد الملك بن عُمير، وعَمْرو بن دينار، وأبي إسحاق الشيباني، وزياد بن علاقة بن مالك، وقتادة بن دعامة، وأبي حصين عثمان بن عاصم، وسليمان الأعمش..

وروى عنه: موسى بن إسماعيل، ويحيى بن حمّاد، وعبد الرحمن بن المبارك العيشيُّ، وعارم، ومُسَدّدُ بْنُ مسرهد وغيرهم.

قال أبوحاتم: كُتُبُ أبي عوانة صحيحة، وإذا حدّث من حفظه غَلِطَ كثيرًا، وهو صدوق ثقة. قال أبو زرعة: أبوعوانة بصريّ ثقة إذا حدّث من كتابه. وقال يحيى بنُ معين: أبو عوانة ثبت. وقال عنه العِجْلِيّ: ثقة. وقال ابن سعد: كان ثقة صدوقا[2].

3 ـ (خت، م، د) سِمَاكُ بْنُ حرب بن أوس بن خالد بن نِزَارِ بْنِ معاوية بن حارثة

(1) التعديل والتجريح 2/675 عدد 563 ـ تهذيب التهذيب 9/402عدد 657.

(2) تاريخ الثقات للعجلي 474 عدد 1768 ـ التعديل والتجريح 3/1200 عدد 1446 ـ تهذيب التهذيب 11/116 عدد 204.

الذُّهليّ البكريّ أبو المغيرة الكوفيّ، [توفّي سنة 123 هـ في أواخر ولاية الخليفة الأمويّ العاشر هشام بن عبد الملك بن مروان [105 ـ 125 هـ]:

روى عن جابر بن سَمُرَةَ، والنعمان بن بشير، وأنس بن مالك، والضحاك ابن قيس، وعبد الله بن الزبير وإبراهيم النخعي، وسعيد بن جبير والشعبي وعكرمة، وجماعة.

وروى عنه الأعمش وحمّاد بن سلمة، وشعبة، والثوريّ وشريك بن عبد الله وزهير بن معاوية، وأبوعوانة وضّاح اليشكري، وغيرهم.

كان سِمَاكُ بْنُ حَرْبٍ فصيحا عالما بالشعر وأيّام الناس، قال عن نفسه: إنّه أدرك ثمانين من الصحابة. وثّقه ابن معين، وقال عنه أبوحاتم الرازي: صدوق، ثقة. كما أنّ أبا أحمد عبد الله بن محمد بن عديّ [ت365هـ] يذكر أنّ لسماك حديثاً كثيرًا مستقيمًا إن شاء الله، وهو من كبار تابعي أهل الكوفة، وأحاديثه حسان، وهو صَدُوق لا بأس به إلا أنّ شُعْبَةَ والثوري، وابن المبارَكِ كانوا يضعّفونه. سأل يعقوبُ بْنُ شيبة علِيَّ بنَ المَدِينِيِّ، عن رواية سماك عن عكرمة؟ فقال: مضطربة. قال يعقوب: وروايته عن عكرمة خاصّة مضطربة، وهو في غير عكرمة صالح، وليس من المتثبّتين، ومن سمع منه قديما مثل شعبة وسفيان الثوريّ فحديثُهُمْ عنه صحيح مستقيم. وقال النَّسَائِيّ: كان رُبّمَا لُقّنَ، فإذا انفرد بأصل لم يكن حُجّة لأنّه كان يُلَقّنُ فيتلقّنُ. وقال البزّار في مسنده: كان قد تغيّر قبل موته[1].

4 ـ (ع) **عِكْرِمَةُ مولى عبدالله بن عبّاس أبوعبد الله المدنيّ البربريّ** [ت 107 هـ وقال عَمْرو بن عليّ الفلاس: إنّه توفّي سنة 105 هـ، وقال مُصْعَبُ بْنُ عبد الله: مات وهو مختفٍ عند داود بن الحُصَيْن، وقد مات هو وكُثَيِّرُ عَـزَّةَ الشاعرُ الأمويّ سنة105 هـ، وصُلّيَ عليهما جميعا في يوم واحد بعد الظهر].

روى عن ابن عبّاس، وأُبَيِّ بن كعب، وأبي سعيد الخُدْرِيّ، وأبي هريرة،

---

(1) تهذيب التهذيب 4/232 عدد 395.

وعبد الله بن عمرو، وعائشة وابن عمر..

وروى عنه: عَمْرُو بن دينار، والشعبيّ عامر بن شَرَاحِيلَ، وقتادة، وعاصم الأحول، ويحيى بن أبي أنس، وأبو إسحاق الشيبانيّ، وعِمَارَةُ بْنُ أبي حفصة، وأيّوب السختيانيّ..

وقد اختلف حوله العلماء بين موثّق ومضعّف، فهذا أبوحاتم الرازي يقول: عكرمة ثقة يُحتجّ بحديثه، وأصحاب ابن عباس عيال عليه في التفسير. كما أنّ ابن حِبَّان ذكره في الثقات. ويُسْأَلُ سعيد بن جبير: هل تعلم أحدا أعلم منك؟ فيقول: نعم، عكرمة!. وسئل أيوب السختياني: أكان عكرمة متّهما؟ فقال: أمّا أنا فلم أكن أتّهمه.. لو لم يكن عندي ثقة لم أكتب عنه. ومقابل هؤلاء الموثّقين نجد من يتّهمه من أمثال: يحيى بن معين فقد قال: " إنّما لم يذكر مالك بن أنس عكرمة لأنّه كان ينتحِلُ رأي الصُّفْرِيَّةِ[1]، كما أنّ مصعب بن عبد الله كان يقول: عكرمة يرى رأي الخوارج، وادّعى عَلَى ابن عبّاس أنّه كان يراه، وذكر محمد بن سيرين أنّ ابن عمر قال لمولاه نافع: لا تكذب عليّ كما كذب عكرمة على ابن عبّاس. ونسب الحكم بن أبي إسحاق إلى سعيد بن المسيّب أنّه قال لأحد مواليه: لا تكذب عليّ كما كذب عكرمة على ابن عبّاس. وهذه الاتّهامات لاتجرح أمانته وحفظه، فقد أخرج له الجماعة في الصحاح الستّة[2].

5 ـ (ع) **عبد الله بن عبّاس بن عبد المطّلب بن هاشم بن عبد مَنَافٍ أبو العبّاس المكّيّ** [ت 68 هـ عن سبعين سنة، ويُرْوَى عنه أنّه قال: توفّي رسول الله ﷺ وأنا ابن عشر سنين]:

روى عن النبيّ ﷺ، و عمر بن الخطاب، و أبي طلحة زيد بن سهل بن الأسود، وأسامة بن زيد بن حارثة، وأبي سفيان صخر بن حرب، والصعب بن جَثّامة [بفتح الجيم والثاء] بن قيس رضي الله عنهم، وغيرهم.

---

(1) وهم إحدى فرق الخوارج المنتسبة إلى زياد بن الأصفر ـ الفرق بين الفرق للبغدادي 90.
(2) التعديل والتجريح 3/1022 عدد 1182 ـ تهذيب التهذيب 7/263 عدد 475.

وروى عنه عكرمة مولاه، وكريب بن أبي مسلم أبو رُشْدِين مولاه أيضا، وسعيد بن جبير ومجاهد بن جبر، وعطاء بن أبي رباح، وعطاء بن يسار وعبيد الله ابن عبد الله بن عتبة وجماعة غيرهم.

وذهب العلماء إلى أنّ كلّ ما قال فيه عبد الله بن عباس وغيره من الصحابة: قال رسول الله ﷺ، فهو مسند وإن كان أكثرُ مرويات عبد الله بن عباس عن رسول الله ﷺ لم يسمعها منه عليه الصلاة والسلام[1].

تخريج الحديث:

ـ تابع مسدّدُ بن مسرهد بن مسربل محمدَ بْنَ الفضل الملقّب بعارم في رواية الحديث عن أبي عَوَانَةَ وَضّاح بن عبد الله اليَشْكُرِيِّ به بلفظه.[2]

ـ وللحديث عدّة شواهد:

أ ـ منها ما هو من حديث **عبد الله بن عمر**:

1 ـ رواه البخاريّ في جامعه الصحيح ـ كتاب الطب ـ باب إنّ من البيان سحرا، أورده في الترجمة مكتفيا بالقسم الأول من الحديث[3]، ورواه في كتاب النكاح ـ باب الخطبة[4]، وقد اكتفى بالنصف الأوّل من الحديث[5].

2 ـ و أبو داود في سننه ـ كتاب الأدب ـ باب ما جاء في الشعر وقد اكتفى برواية الجزء الأول من الحديث[6].

---

(1) طبقات ابن سعد 2/365، تاريخ بغداد 1/173 رقم 14، الاستيعاب 2/350، الإصابة 2/330 رقم4781، التعديل والتجريح 2/804 رقم 778.

(2) رواه أبوداود في سننه ـ كتاب الأدب ـ باب ما جاء في الشعر 5/277 حديث عدد 5011 و انظر متن عون المعبود 13/354 حديث عدد 4990.

(3) انظر متن فتح الباري ـ الأدب ـ باب ما يجوز من الشعر10/247 حديث رقم 5767.

(4) متن فتح الباري 9/109 حديث عدد 5146.

(5) انظر متن فتح الباري 10/553 حديث عدد 6145.

(6) 5/275 حديث عدد 5007.

3 ـ والترمذيّ في سننه ـ كتاب البرّ والصلة ـ باب ما جاء في أنّ من البيان سحرا[1].

4 ـ ومالك في الموطإ ـ الكلام ـ باب ما يُكره من الكلام بغير ذكر الله[2].

ب ـ ومنها ما هو من حديث **أبيّ بن كعب**:

1 ـ رواه البخاري في جامعه ـ كتاب الأدب ـ باب ما يجوز من الشعر مع الاكتفاء بالنصف الأول من الحديث[3].

2 ـ ورواه أبوداود في سننه ـ كتاب الأدب ـ باب ما جاء في الشعر وقد اكتفى بالنصف الثاني من الحديث[4].

ج ـ ومنها ما هو من حديث **عَمَّار بن ياسر أبي يقظان**:

1 ـ رواه مسلم في الجامع ـ كتاب الجمعة ـ باب تخفيف الصلاة، مكتفيا بالجزء الأول من الحديث[5].

2 ـ ورواه الدارميّ ـ كتاب الصلاة ـ باب في قصر الخطبة، 1/303 حديث عدد 1564.

د ـ ومنها ما هو من حديث **أبي موسى الأشعريّ**:

ـ رواه أبو داود في سننه ـ كتاب الأدب ـ باب ما جاء في الشعر، مكتفيا بالنصف الثاني من الحديث[6].

شرح الحديث:

أنّ رجلا أو أعرابيّا: ورد الاسم هنا مُبْهَمًا وقد أوضحه الشرّاح بأنّه **عَمْرُو بْنُ الأَهْتَمِ**

---

(1) حديث عدد 2028 وقال: هذا حديث حسن صحيح، وفي الباب عن عمّار وابن مسعود وعبد الله بن الشجن.

(2) صفحة 986 حديث عدد 7.

(3) متن فتح الباري 10/553 حديث عدد 6145.

(4) 5/277 حديث 5010.

(5) 1/594 حديث عدد 869.

(6) انظر متن عون المعبود 13/354 حديث عدد 4991.

الذي ردّ على تفاخر الزِّبْرِقَان حُصين بن بدر بكلام بليغ، فقال النبيّ: "إنّ من البيان لسحرا".

الشعر: مصدر الفعل شعَرَ يشعُرُ [بفتح عين الفعل في الماضي وضمّها في المضارع]: قال الشعر و نظمه. والشعر في الأصل اسم للعلم الدقيق ومنه قولهم: "ليت شعري"، وسُمّي الشاعر شاعرا لفطنته ودقّة معرفته وشُفُوفِ حِسّهِ، ثم استُعْمِلَ "الشعر" في الكلام الموزون المقفّى قصدا، و"الشاعر" للمختصِّ بصناعة الشعر ومُكَابَدَتِهِ، أمّا ما يقع في الكلام من وزن اتفاقا فلا يسمّى شعرا.

ويوصف الشعر بالكذب وقيل: "أعذب الشعر أكذبه" كما يعبّر عن الكذب بالشعر، وعن الكاذب بالشاعر، حتى سَمّى قوم الأدلّةَ الكاذبةَ: "شعرا". وهذه المعاني للشعر والشعراء يؤيّدها القرآن العزيز فقال تعالى في وصف عموم الشعراء ﴿ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴾[26 الشعراء 226].

وقد وصف المشركون الرسول الأعظم ﷺ بالشاعر، فحمل بعض المفسِّرين ذلك على أنّهم رموه بكونه أتى بشعر منظوم مقفّى حتى تأوّلوا ماجاء في القرآن من كلّ لفظ يشبه الموزون، إلا أنّ المحقّقين من العلماء ذهبوا إلى أنّ المشركين إنّما رمَوْا النبيّ ﷺ في قولهم "شاعر" بالكذب، إذ لا يخفى على بلغاء العرب أنّ القرآن ليس على أساليب الشعر، فقد وصفوه بالشاعر لأنّ أكثر ما يأتي به الشاعر كذب، حتى سمّيت الأدلة الكاذبة شعرا كما ألمعنا. وقد دحض القرآن الكريم تَخَرُّصَاتِ المشركين وأراجيفَهُمْ وأثبت أنّه ليس شاعرا" فقال: ﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ ﴾ [36 يس 69].

وقريب من الشعر **الرَّجَزُ والحُدَاءُ** [بضم الحاء]:

و **الرَّجَزُ**: [بفتح الراء والجيم] عند بعضهم نوع من الشعر، وقيل ليس بالشعر لأنّ قائله يسمّى راجزا لا شاعرا، وسمّي رجزا لتقارب أجزائه واضطراب اللسان به. ويقال رجز البعيرُ: إذا تقارب خطوه، واضطرب لِضَعْفِهِ.

أمّا **الحداء** و **الحدا** [يمدّ ويقصر] فهو سَوْقُ الإبل بضرب مخصوص من الغناء، ويكون في الغالب بالرجز، وقد يكون بغيره من الشعر، ولذلك عطفه البخاريّ رحمه الله في جامعه الصحيح على الشعر فقال حينما ترجم للمسألة: " باب ما يجوز من الشعر والرجز والحداء وما يكره منه . . "

ـ ما حكم الحداء ؟ وما يلحق به من التشوّق ونحوه؟

ـ نقل ابن عبد البرّ الاتفاقَ على إباحة **الحداء**، ومانع الحداء محجوج بالأحاديث الصحيحة، ويلتحق بالحداء التشوّق.

ـ **التشوّق** وهو ما يؤدّيه الحجيج ـ وهم يستعدّون للخروج إلى الحجّ ـ وأقاربُهُمْ من أهازيجَ وأناشيدَ تثير الأشواق إلى حجّ البيت الحرام بذكر الكعبة وغيرها من المشاهد. ونظيره ما يحرّض أهلَ الجهاد على القتال، ومنه غناء المرأة لتسكين ولدها في المهد.

ـ **حِكْمَة**: الحكمة هي القول الصادق المطابق للحقّ أو هي إصابة الحقّ بالعلم والعقل. و **الحكمة من الله** معرفة الأشياء وإيجادُهَا على غاية من الإحكام، و **من الإنسان** معرفة الحقّ، وفعل الخيرات وتجنّب ما يَشِينُ. وأصل الحكمة **المنع**، فالمراد بقوله عليه الصلاة والسلام" إنّ من الشعر حكمة " أنّ من الشعر كلاما نافعا يمنَعُ من السفه والجهل، وهو ما نظمه الشعراء من المواعظ، وذَمّ الإغراق في المادّة والتحذير من غرور الدنيا وفتنها ونحو ذلك.

ـ وجاء من حديث أبي موسى الأشعريّ، رواه أبو داود[1] قال: "سمعت رسول الله ﷺ يقول: **"إنّ من البيان سحرا، وإنّ من العلم جهلا، وإنّ من الشعر حِكَمًا، وإنّ من القول عِيَالا** " .

فقال صعصعة بن صوحان [وهو تابعي كبير، مخضرم، فصيح ثقة، مات في خلافة معاوية]: صدق نبيّ الله ﷺ:

---

(1) السنن 5/278 حديث عدد 5012، انظر كذلك عون المعبود 13/354.

أمّا قوله: **إنّ من البيان سحرا**، فالرجل يكون عليه الحقّ، وهو ألحن بحجته [من لحِنَ ـ بكسر الحاء وفتحها ماضيا، وفتحها مضارعا ـ، أي هو أقدر على بيان مقصوده، إذا نطق بحجّته] من صاحب الحقّ فيسحر القومَ ببيانه، فيذهب بالحقّ.

وأمّا قوله: **إنّ من العلم جهلا**: فيعني أنّ العالِمَ يتكلّفُ إلى علمه ما لا يعلم فيجهّله ذلك.

وأمّا قوله: **وإنّ من الشعر حكما**: فهي هذه المواعظ والأمثال التي تحفل بها بعض الأشعار فيتّعظ بها الناس.

وأمّا قوله: **إنّ من القول عِيَالا**: فعرضك كلامك وحديثك على من ليس من شأنه، ولا يريده، فيصير كلامك ثقيلا عليه.

سبب الحديث:

جاء في فتح الباري وفي عون المعبود: " أنّ رسول الله ﷺ قال: "إنّ من البيان لسحرا "، حين وفد عليه **الزِّبْرِقَانُ** [اسمه حصين ولقّب الزبرقان وهو من أسماء القمر] بن بدر بن امرىء القيس بن خلف، وعمرو بن الأهتم، واسم الأهتم سِنَان بن سُمَيّ، يجتمع مع الزبرقان في كعب بن سعد بن زيد مَنَاةَ [بن تميم، فهُمَا تميميّان، قدما في وفد بني تميم على النبيّ ﷺ في سنة تسع من الهجرة [عام الوفود]، واستند الرواة في تعيينهما إلى ما أخرجه البيهقيّ في الدلائل وغيره. .عن ابن عبّاس قال: جلس إلى رسول الله ﷺ الزبرقان بن بدر وعمرو بن الأهتم وقيس ابن عاصم ففخر الزبرقان فقال: يا رسول الله ! أنا سيّد بني تميم، والمطاع فيهم والمجاب، أمنعهم من الظلم وآخذ منهم بحقوقهم، وهذا يعلم ذلك، يعني عَمْرَو ابن الأهتم، فقال عمرو: إنّه لشديد العارضة [نقول فلان ذو عارضة: أي ذو بيان ولسن وبديهة]،مانع لجانبه [يحمي حماه فلا يُعتدى عليه] مُطاع في أذنيه [أي يُسْمِعُونَهُ عباراتِ الطاعة والانصياع دون تطبيق ذلك عمليّا]! فقال الزبرقان: والله يا رسول الله ! لقد علم منّي غير ما قال، وما منعه أن يتكلّم إلا الحسد! فقال عمرو: أنا أحسدك؟ والله يا رسول الله !إنّه لئيم الخال،أحمق الوالد، مُضيّع في

العشيرة [أي لا يُؤبه به ولا يُلتفت إليه، فإذا أصيب لن تطالب عشيرته بثأره]، والله يا رسول الله ! لقد صدقتُ في الأولى وما كَذَبْتُ في الثانية، ولكنّي رجل إذا رَضِيتُ قلت أحسن ما علمتُ، وإذا غضِبْتُ قلتُ أقبحَ ما وجدت، فقال النبي ﷺ: " إنّ من البيان لسحرا " .

ما موقف الإسلام من الشعر ؟

يقول الله تعالى: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ * أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ * وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ * إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [26 الشعراء 224، 227] والمراد **بالشعراء** المشار إليهم في هذه الآيات هم شعراء المشركين الذين يتَّبِعُهُمْ غُواة الناس ومَرَدَةُ الشياطين وعُصاة الجنّ يروون شعرهم وينشرونه في الآفاق، ومن هؤلاء **الشعراء**: عبد الله بن الزِّبَعْرَى، وهُبَيْرَةُ بن أبي وهب، ومُسَافِع، وعمرو بن أميّة بن أبي الصَّلْتِ. وهؤلاء الشعراء الذين ذمّهم القرآن ووصفهم بأنّهم في كلّ واد يهيمون أي يخوضون في كلّ مسالك اللغو والكذب، فهم يقولون في الممدوح والمذموم ما ليس فيه، فهم كالهائم على وجهه.

وقد نسخ القرآن من ذلك واستثنى الشعراء المؤمنين الذين يقولون كلمة الحقّ والخير، فقال: " إلا الذين آمنوا "، فهؤلاء لا يدخلون تحت طائلة الذمّ. وكان الشعراء المسلمون قد اهتزّوا لهذه الآية [وهم عبد الله بن رَوَاحَةَ، وحسّان بن ثابت، وكَعْبُ بْنُ مالك، وذكر الثعلبيُّ مع هؤلاء الثلاثة رابعا هو: كعب بن زهير] فجاؤوا إلى الرسول ﷺ وهم حَزَانَى فقالوا: يا رسول الله ! أنزل الله هذه الآية وهو يعلم أنّا شعراء؟ فقال الرسول ﷺ: اقرؤوا ما بعدها: " إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات " أنتم، " وانتصروا من بعد ما ظلموا " أنتم.

عائشة والشعر:

فموقف الإسلام من الشعر موقف عادل، فهو يحسّن الحسن منه، ويقبّح القبيح. قالت عائشة: الشعر منه حسن ومنه قبيح، خذ الحسن ودع القبيح. وجاء

في حديث عبد الله بن عُمَرَ مرفوعا: " الشعر بمنزلة الكلام، فحسنه كحسن الكلام وقبيحه كقبيح الكلام " . وقد اشتهر هذا المعنى على لسان الشافعي رضي الله عنه.

عطاء بن أبي رَبَاحٍ والشعر:

وسأل عبد الملك بن جُرَيْجٍ عطاءَ بْنَ أبي رباحٍ، عن الشعر و الحُدَاء والغناء فقال: " لا بأس به ما لم يكن فاحشا "

حكم قول الشعر وصناعته؟

والذي يتحصّل من كلام العلماء في حكم الشعر الجائز:

1 ـ أنّه إذا لم يكثر منه في المسجد. 2 ـ وخلا من الهجـو. 3 ـ وخلا من الإغراق في المدح والكذب المحض. 4 ـ وترفّع عن التغزّل بمُعَيّن. جاز قول الشعر بل نقل ابن عبد البرّ الإجماعَ على جوازه. والدليل على جوازه، ما أُنشد من الشعر بحضرة رسول الله ﷺ أو استنشده، ولم ينكره. كما أنّ عددا كبيرا من الصحابة الشعراء قالوا شعرا في الرسول ﷺ، وقد جمع ابن سيِّدِ الناس مجلَّدًا في أسمائهم. كما أنّ عددا كبيرا من الصحابة والتابعين كانوا يتناشدون الشعر. جاء عن أبي سلمة بن عبد الرحمن: " لم يكن أصحابُ رسول الله ﷺ منحرفين ولا مُتَمَاوِتِين، وكانوا يتناشدون الأشعار في مجالسهم ويذكرون أمر جاهليتهم، فإذا أريد أَحَدُهُمْ على شيء من دينه، دارت حماليقُ عينيه " .

فوائد الحديث:

1 ـ في هذا الحديث ردّ على من كره الشعر مطلقا.

2 ـ وفيه مدح تحسين الكلام وحسن أدائه، وذمّ التصنّع في الكلام وتكلّف تحسينه.

3 ـ فيه مدح الإيجاز، والإتيان بالمعاني الكثيرة بالألفاظ اليسيرة.

4 ـ وفيه مدح البيان لخدمة الحقّ، وذمّه إذا كان لتزيين الباطل وخدمته.

5 ـ ذمّ تزكيّة النفس والتفاخر والغلوّ في التمادح.

الحديث السادس:

باب في لزوم السنّة

قال أبو داود رحمه الله تعالى: حدَّثنا عبدُ الوهَّابِ بْنُ نَجْدَةَ: أخبرنا أبوعمرو ابن كَثِيرِ بْنِ دِينَارٍ عن حَرِيزِ بْنِ عثمان عن عبد الرحمن بْنِ أبي عَوْفٍ، **عن المِقْدَام بْنِ مَعْدِيكَرِبَ** رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ **أنّه قال: "ألا إنّي أوتيتُ الكتابَ ومِثْلَهُ معه، ألا يُوشِكُ رجل شبعانُ على أريكته يقول: "عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فَأَحِلّوهُ وما وجدتم فيه من حرام فحرّموه" ألا لا يَحِلّ لكم الحمارُ الأهليّ ولا كلّ ذي نابٍ من السَّبُعِ، ولا لُقَطَةُ مُعَاهِدٍ إلا أن يستغنيَ عنها صاحبُها، ومن نزل بقوم فعليهم أنْ يَقْرُوهُ، فإنْ لم يَقْرُوهُ فله أن يُعْقِبَهُمْ بِمِثْلِ قِرَاهُ"**[1].

شرح الترجمة:

يقول أبو داود رحمه الله: هذا باب أذكر فيه حديثا أو أكثر، يتناول موضوع لزوم السنة، ووجوب التمسّك بها والعضّ عليها بالنواجذ، والعمل بأحكامها وتوجيهاتها في كلّ شؤون الحياة.

باب: لغة: هو المدخل، وهنا بمعنى فصل يضمّ حديثا أو جملة من أحاديث تتناول موضوعا واحدا أو مسألة واحدة. و **باب**: خبر لمبتدإ محذوف تقديره هذا.

في لزوم السنة: جار ومجرور في محلّ رفع صفة لباب.

لزوم: ولِزَامًا مصدر الفعل الثلاثي المجرّد لزِمَ يلزَمُ [بكسر الزاي في الماضي وفتحها في المضارع]، أي ملازمتها وعدم مفارقتها وعدم التخلّي عنها.

السنّة: **لغة** هي الطريقة والسيرة حسنة كانت أو سيئة.

وفي **الاصطلاح**: هي ما أُثِرَ عن النبيِّ ﷺ من قول أو فعل أو إقرار أو صفة

---

(1) السنن ـ كتاب السنة ـ باب في لزوم السنة 10/5 حديث عدد 4604 ـ متن عون المعبود 354/12 حديث عدد 4580.

خَلْقِيَّةٍ أو خُلُقِيَّةٍ حقيقةً أو حُكْمًا، وما أثر عن الصحابيّ أو التابعيّ من قول أو فعل. والمراد بها هنا الطريقة التي سنّها الرسول ﷺ للأمّة وأمر بالتزامها.

وهذه الترجمة صِنْوُ الترجمة التي وضعها الإمام البخاري في أواخر كتابه الجامع الصحيح " كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة "، فهي تتضمّن التحذير من التفصّي من السنّة بدعوى أنَّ القرآن لم يفرّط فيه منزّلُهُ تعالى من شيء ودعوة صريحة واضحة إلى الاعتصام بالكتاب والسنة والتمسّك بهما والاحتكام إليهما، لأنّهما سببُ النجاة من العذاب في الآخرة ووسيلةُ النجاح والتوفيق في الدنيا.

المعنى العام للحديث:

يعدّ هذا الحديث من علامات نبوّته ﷺ حيث أخبر بظهور أقوام مترفين تبلّدت عقولُهم وتحجّرت عواطفُهم يدعون إلى الاكتفاء بالقرآن وترك السنة، فيحذّر منهم ويبيّن أنّ الله بعثه بالكتاب وبالسنّة وعدّد جملة من الأحكام الشرعيّة التي تفرّدت السنة بتشريعها دون القرآن.

الترجمة بإيجاز لرجال السند:

1 - (د، س) عبد الوهاب بن نَجْدَةَ الحوطيّ أبو محمد الجَبَلِيّ(نسبة إلى جبل قاسيون) [ت 232 هـ]:

روى عن: الدَّرَاوَرْدِيِّ، وإسماعيلَ بِن عَيَّاشٍ، وبَقِيَّةَ بن الوليد بن مسلم، وأشعث بن شعبة وجماعة.

روى عنه: أبو داود، كما روى النسائيُّ عن صفوانَ بْنِ عَمْرٍو عنه، وعن ابنه أحمد بن عبد الوهاب عنه، وروى عنه أبو زرعة مكاتبةً، وابن أبي خيثمة...

قال فيه ابن أبي عاصم: " ثقة، ثقة. " ووثّقَهُ ابنُ قانع، وقال يعقوب بن الحِمْصِيِّ: ثبت ثقة[1].

(1) الثقات لابن حبان البستي 8/411 و تهذيب التهذيب 6/453 عدد 937.

2 ـ (د، س، ق) أبو عمروعثمان بن سعيد بن كَثِيرِ بْنِ دينارالقرشي الحمصي [ت 209هـ]:

روى عن حُريز بن عثمان، وشُعيب بن أبي حَمْزَةَ، والليث بن سعد، وأبي الوليد محمد بن عبد الرحمان بن عِرْقٍ اليَحْصُبِيِّ الحمصي الشامي، ومحمد بن هاجر الأنصاريّ، ومعاوية بن سلام وطائفة.

وروى عنه: ابناه عمرو ويحيى، وعبد الوهاب بن نَجْدَةَ الحوطي، وأبو حميد أحمد بن محمد بن المغيرة العوهي وآخرون كثيرون.

وثّقه أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، والحاكم في المستدرك، وابن شاهين في تاريخ أسماء الثقات ممّن نقل عنهم العلم وذكره ابن حبان في الثقات. قال عنه تلميذه عبد الوهاب بن نجدة: "كان يقال: هو من الأبدال"، وقال: " هو ريحانة الشام عندنا "(1).

3 ـ (خ، 4) حَرِيزُ بن عثمان بن جبر بن أبي أحمر بن أسعد الرَّحَبِيّ المشرِقِيّ الحِمْيَرِيّ الحمصيّ الشاميّ أبو عثمان [80 ـ 163 هـ]:

روى عن عبد الله بن بُسر أبي صفوان المازنيّ من الصحابة، وعن أبي الوليد أزهر بن راشد الهوزني، وخالد بن معدان، وعبد الرحمن بن أبي عوف الجُرَشِيّ، وعبد الرحمن بن ميسرة الحضرمي.. وغيرهم.

وروى عنه: آدم بن إياس، وإسحاق بن سليمان الراوي، وإسماعيل بن عيّاش، وبقيّة بن الوليد، وثور بن يزيد الرَّحَبِيّ، والوليد بن مسلم، ويحيى بن سعيد القطان، ويحيى بن صالح الوحاظي، ويزيد بن هارون، وأبو عمرو عثمان بن سعيد وخلق كثيرون(2).

---

(1) تاريخ أسماء الثقات ممن نقل عنهم العلم لأبي حفص عمر بن أحمد المعروف بابن شاهين ص 203 عدد 709 ـ الثقات لابن حبان 8/ 449 ـ تهذيب التهذيب 7/ 118 عدد 254.

(2) التعديل والتجريح 2/ 544 عدد 320 ـ تهذيب التهذيب 2/ 237 عدد 436.

4 ـ (د، س) **عبدالرحمن بن أبي عوف الجُرَشِيّ الحمصي، القاضي**. من أهل الشام:

روى عن عدد من الصحابة منهم المقدام بن معديكرب، وعتبة بن عبد السلمي، وعمرو بن العاص، وعثمان بن عثمان الثقفي، ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهم أجمعين. كما روى عن عدد من التابعين منهم: جبير بن نفير الحضرمي، وعبد الرحمن بن مسعود المراديّ وغيرهم.

روى عنه ثور بن يزيد التغلبيّ وحَرِيز بن عثمان، وصفوان بن عمرو، ومحمد بن الوليد الزبيدي، ومروان بن رؤبة التغلبي.

وهو تابعي من المخضرمين لأنّه أدرك النبي ﷺ، ذكره ابن مندة في الصحابة. وقال العجليّ: شاميّ تابعي ثقة. وذكره ابن حبان في الثقات، وحكى الآجُرّيُّ عن أبي داود قال: شيوخ حَرِيز بن عثمان ثقات، وعبد الرحمن بن أبي عوف منهم. ووثّقه الذهبيّ وابن حجر، فهو متّفق على توثيقه(1).

5 ـ [خ، 4] **المِقْدَامُ بْنُ مَعْدِيكَرِبَ بْنِ عَمْرِو بْنِ يزيدٍ بن معديكرب أبو كريمة الكندي الشامي** [وهو أحد الذين وفدوا على النبي ﷺ من كندة، ونزل حمص بعد فتح الشام. توفي سنة 87 هـ عن 91 سنة بالشام في خلافة الوليد بن عبد الملك بن مروان، الخليفة الأمويّ السادس]:

روى عن: النبي ﷺ، وعن خالد بن الوليد، ومعاذ بن جبل، وأبي أيوب الأنصاري رضي الله عنهم أجمعين، وجماعة..

وری عنه: ابنه يحيى بن المقدام، وابن ابنه صالح بن يحيى بن معديكرب، وعامربن شراحيل الشعبي، وجُبير بن نفير الحضرمي، وعبد الرحمن بن أبي عوف الجرشي، وحبيب بن عبيد، وخالد بن معدان، وشريح بن عبيد الحضرمي وغيرهم(2).

---

(1) ثقات العجلي 297 عدد 973 ـ تهذيب التهذيب 6/ 246 عدد 491.

(2) طبقات ابن سعد 7/ 415 ـ الجرح والتعديل4/ 1/ 297 عدد 1390 ـ الاستيعاب 3/ 483 ـ الإصابة 3/ 455 عدد 8184 ـ تهذيب التهذيب 10/ 287 عدد 505.

متابعات الحديث وشواهده:

1 ـ **تابع مروانُ بْنُ رؤبة التغلبي**، حَرِيزَ بن عثمان في رواية الحديث عن عبد الرحمان بن أبي عوف: رواها أبوداود قال: حدَّثنا محمد بن المصفى الحمصي: حدثنا محمد بن حرب الأبرش، عن الزبيدي يزيد بن عبد ربه المؤذن الجرجسي الحمصي، عن مروان بن رؤبة التغلبي عن عبد الرحمان بن أبي عوف به، نحوه[1]

2 ـ **وتابع الحسنُ بْنُ جابر اللّخْمِيُّ**، عبدَ الرحمان بن أبي عوف في رواية الحديث عن المقدام بن معديكرب:

أ ـ رواها ابن ماجَهْ قال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة: ثنا زيد بن الحُبَابِ عن معاوية بن صالح: ثني الحسن بن جابر اللخمي عن المقدام بن معديكرب به نحوه[2].

ب ـ والترمذي قال: حدثنا محمد بن بشار: ثنا عبد الرحمان بن مهدي، ثنا معاوية بن صالح عن الحسن بن جابر اللخمي، عن المقدام بن معديكرب به نحوه[3].

ـ وللحديث شواهد عديدة منها:

1 ـ من حديث **أبي ثعلبة الخشني**: أنّ النبي ﷺ نهى عن كلّ ذي ناب من السبع:

أ ـ خرّجه البخاري في الطب: باب ألبان الأتن[4].

ب ـ مسلم في الصحيح: كتاب الصيد والذبائح ـ باب تحريم أكل كلّ ذي ناب

(1) السنن ـ كتاب الأطعمة ـ باب النهي عن أكل السباع: 4/160 حديث عدد 3804.

(2) السنن ـ المقدمة ـ باب تعظيم حديث رسول الله ﷺ والتغليظ على من عارضه: 1/6 حديث عدد 12.

(3) السنن ـ كتاب العلم ـ باب ما نهى عنه أن يقال عن حديث رسول الله ﷺ 5/38 حديث عدد 2664.

(4) انظر متن فتح الباري 10/260 حديث عدد ـ 5780.

من السباع وكلّ ذي مخلب من الطير[1].

ج ـ ابن ماجه في السنن: كتاب الصيد ـ باب أكل كلّ ذي ناب من السباع[2].

د ـ مالك في الموطإ: الصيد ـ باب أكل كلّ ذي ناب من السباع حرام[3].

هـ ـ الترمذي في السنن: كتاب السير ـ باب ما جاء في الانتفاع بآنية المشركين، أورد فيه عبارة "ونهى عن كلّ سبع وكلّ ناب"[4]. وكتاب الأطعمة ـ باب ما جاء في الأكل في آنية الكفار[5].

و ـ النسائيّ في السنن: كتاب الصيد والذبائح ـ باب تحريم أكل السباع[6].

2 ـ ومن حديث أبي هريرة:

أ ـ خرّجه مسلم: كتاب الصيد والذبائح ـ باب تحريم أكل كلّ ذي ناب من السباع وكلّ ذي مخلب من الطير[7].

ب ـ مالك في الموطإ: كتاب الصيد ـ باب تحريم أكل كلّ ذي ناب من السباع[8]

ج ـ النسائي: كتاب الصيد والذبائح ـ باب تحريم أكل السباع[9].

د ـ ابن ماجه: كتاب الصيد ـ باب أكل كلّ ذي ناب من السباع[10].

3 ـ ومن حديث عبد الله بن عبّاس:

أ ـ خرّجه مسلم: كتاب الصيد والذبائح، باب تحريم أكل كلّ ذي ناب من

---

(1) 2/1533حديث عدد 1932.

(2) 2/1077 حديث عدد 3232.

(3) ص 496 حديث عدد 13.

(4) 4/129 عدد 1560.

(5) 4/255 عدد 1796.

(6) 7/200 عدد 4322.

(7) 2/1534 حديث عدد 1933.

(8) 496 حديث عدد 14.

(9) 7/200 حديث عدد 4321.

(10) 2/1077 حديث عدد 3233.

السباع وكلّ ذي مخلب من الطير[1].

ب ـ ابن ماجه: كتاب الصيد ـ باب أكل كلّ ذي ناب من السباع[2].

4 ـ ومن حديث أسلم أبي رافع القبطي مولى رسول الله ﷺ [أسلم قبل بدر ولم يشهدها وشهد أحدا وما بعدها]:

أ ـ خرّجه الترمذي: كتاب العلم ـ باب ما نهي عنه أن يقال عن حديث رسول الله ﷺ[3].

ب ـ ابن ماجه: المقدّمة ـ باب تعظيم حديث رسول الله ﷺ والتغليظ على من عارضه[4].

5 ـ ومن حديث العرباض بن سارية السُّلَمِيّ:

خرّجه الترمذيُّ: كتاب الصيد ـ باب ما جاء في كراهية المَصْبُورَةِ[5].

شرح ألفاظ الحديث ومعانيه:

ألا: حرف يُستفتح به الكلام ويدلّ على تحقّق ما بعده، كما يكون للتنبيه.

أمّا حرف " **ألا** " **الأوّل في** قوله ﷺ: "**ألا** إنّي أوتيتُ الكتابَ ومِثْلَهُ معه" فهو للتنبيه، فكأنّه ﷺ يَلْفِتُ انتباه المسلمين وينبّههم إلى أنّ الله أوحى له بالقرآن كما أوحى له بالسنة.

وأمّا **الثاني** في قوله: "**ألا** يوشك.." فيصلح أن يكون **للاستفتاح**، وقد تحقّق فعلا ما أخبر به النبيُّ ﷺ من ظهور هؤلاء المترفين الدعاة إلى الاكتفاء بالقرآن وترك السنّة، كما يصلح أن يكون **للتنبيه**، فكأنّ الرسول ﷺ ينبّه الأذهان إلى خطورة ما سيخبر به ويوجّه الأنظار إليه ويحضّ على فهمه

---

(1) 2/1534 حديث عدد 1934.
(2) 2/1077 حديث عدد 3233.
(3) 5/37 حديث عدد 2663.
(4) 1/6 حديث عدد 13.
(5) 4/1474 حديث عدد 1474.

وتدبّره، لما قد ينشأ من شرور جَرّاءَ ضلالات هؤلاء المبتدعة.

الكتاب: القرآن الكريم، الموحى به من الله تعالى وحيا جليّا - أي نزل به الأمين جبريل عليه السلام على قلب الرسول ﷺ في حال اليقظة - بلفظه ومعناه، المتعبّد بتلاوته، المعجز للإنس والجن، والمتحدّى به الخلق جميعا إلى قيام الساعة.

ومثله معه: أي السنّة المطهرة. والمثليّة: تتمثّل في النوع والحكم:

أمّا **النوع** فيراد به أنّها وحي، والسنة كما هو معلوم من الوحي غير المتلوّ، سواء كان وحيا جليّا أو خفيا[إيحاء، بثّ في الروع، رؤيا..].

أمّا **الحكم** فيعني أنّهُ كما يجب العمل بالقرآن الكريم، وتطبيق ما ورد فيه من أوامر ونواه، فإنَّ السنَّةَ واجبةُ الاتباع، وتطبيق ما جاءت به من أحكام. قال تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ [59 الحشر 7] وقال: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾ [4 النساء 80] وقال: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴾ [33 الأحزاب 36] وقال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ [4 النساء 65] ولا ننسى أنّ من وظيفة السنة البيان فهي التي تبيّن القرآن المجيد بتخصيص عامِّهِ، وتقييد مُطلقه، وتفصيل مُجمله، وبَسط مختصره، وشرح مشكله. فضلا عن كونها تستقل بالتشريع.

يوشك: مضارع أوشك من أفعال المقاربة، وكثيرا ما يقترن خبرها بأن، وتدل على قرب وقوع الحدث المخبر عنه وسرعة ظهوره. وعبارة " ألا يوشك ": قال عنها الخطابيُّ: فيها تحذير، فالرسول ﷺ يحذّر من مخالفة " السنن التي سنّها رسول الله ﷺ ممّا ليس له ذكر في القرآن، على ما ذهب إليه الخوارج و الروافض، من الفرق الضالة، فإنّهُمْ تعلّقوا بظاهر القرآن وتركوا السنن التي ضمّت بيان الكتاب فتحيّروا وضلّوا ".

شبعان: كناية عن الترف الزائد الذي يورّث البلادة وسوء الفهم الناشىء عن الشبع أو عن الحماقة الملازمة للتنعُّمِ والغرور بالمال والجاه.

أريكته: سريره الوثير المزيّن الفاخر، وتجمع على أرائك. وسمّيت بذلك إمّا لكونها مُتَّخَذَةً من شجرة الأراك، أو لكونها مكانا للإقامة من قولهم: أرك بالمكان أروكا، أي أقام.

وأراد ﷺ بهذين الوصفين " شبعان على أريكته " أصحاب الترف والدعة الذين سَدّتْ عليهم شهواتُهم منافذَ الحِكمة، وقعدت بهم ملذّاتُهُمْ دون طلب العلم من مظانّه، ومعرفة حقائق الأشياء وطبيعة ما تجري به السنن.

عليكم بهذا القرآن: فهذا القائل يريد أن يتفصّى من السنة ويتخفّف من أوامرها ونواهيها وبياناتها وتوضيحاتها وإضافاتها، بدعوى أنّ القرآن يقول: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾ [6 الأنعام 38] ويقول: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [16 النحل 89]، وهو يجهل أنّ القرآن يفسّر بعضُهُ بعضا، وأنّ القرآن نفسَهُ هو الذي دعا إلى وجوب الأخذ بالسنة: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [59 الحشر 7] وأنّ الرسول ﷺ هو الموكول إليه بيان القرآن: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [16 النحل 44].

ما وجدتم فيه من حلال فأحلّوه: أي اكتفوا بتحليل ما ورد في القرآن أنّهُ حلال.

وما وجدتم فيه من حرام فحرّموه: أي اكتفوا بتحريم ما وجدتم في القرآن أنّهُ حرام فاجتنبوه.

فهي دعوة من هذا المترف لترك السنة، وبإسقاط السنة يصبح القرآن كتابا منغلقا على الأفهام، غير واضح الأحكام، يقول الإمام أبو حنيفة النعمان: " لولا السنّةُ ما فهم أحد مِنّا القرآنَ "، ويصبح الدين غير مكتمل ولا بيّن، وفي هذا عدوان على الحقِّ وقطع لحبل الله المتين.

ألا لا يحلّ لكم: يردّ الرسول ﷺ على هؤلاء الأدعياء المترفين، بأنّ السنة ليست فقط مبيّنة للقرآن بتخصيص عامّه، وتقييد مُطْلَقِهِ، وبتوضيح مشكله، وبسط مختصره، وإنّما قد تستقلُّ بالتشريع فتأتي من الأحكام بما ليس موجودا في القرآن الكريم، وبيّن عددا من هذه الأحكام الشرعية التي استقلّت السنة بتشريعها.

الحمار الأهلي: أي تحريم أكل لحم الحمار الإنسيّ ويقابله الحمار الوحشيّ أي البرّيّ وهو غير محرّم، وقد حرّم الرسول ﷺ الحمار الأهليَّ في غزوة خيبر من السنة السابعة للهجرة.

كلّ ذي ناب من السبع: هكذا وردت في رواية أبي إسحاق إبراهيم بن أحمد المستملي [ت 376هـ] ورواية أبي محمد الحَمَوِيِّ السرخسي [ت381هـ] بلفظ الإفراد " سبع " والمراد به الجنس. أمّا في رواية الأكثر فوردت " السباع " بلفظ الجمع، وهي الوحوش الكاسرة آكلة اللحوم ذات الأنياب القويّة الحادّة التي تمزّق بها فرائسها ولحومها.

لقطة: [بضم اللام وسكون القاف وفتح الطاء، أو بضم اللام وفتح القاف والطاء]: الشيء الملقى المتروك لا يعرف له مالك.

معاهد: أي كافر من أهل الكتاب بينه وبين المسلمين عهد أمان، وعبارة معاهد فيها تخصيص بالإضافة، وإذا حرّمت لقطة معاهد فمن باب أولى تحريم لقطة المسلم.

إلا: أداة استثناء، أي يستثنى من التحريم ما إذا تنازل واستغنى عنها صاحبها.

يستغني عنها صاحبها: أي أنَّ مالكها يتركها لمن يأخذها استغناء عنها.

أن يَقْرُوهُ: قرى يقري [بفتح ياء المضارعة وكسر الراء] قِرًى [بكسر القاف] الضيفَ: أضافه، وقدّم له ما يقدم للضيف عادة من الأكل والشرب.

يُعْقِبُهُمْ: من أعقبه أي جازاه بخير وهنا تعني طلب جزاء ومقابل لما فاته من ضيافة، أي يحقّ لهذا النازل بالقوم الذين لم يضيفوه، أن يطالبهم بتعويض عن

حقّه في الضيافة، وهذا يحقّ للمضطرّ الذي لا يجد طعاما كأن يكون في الصحراء أو في مكان منقطع عن العمران، ويخاف على نفسه التلف.

بمثل قِرَاهُ: أي أنَّ هذا التعويض يساوي قيمة قراه وضيافته، والملاحظ أنَّ الإعقاب مع توسّع العمران، وانتشار الدكاكين والمطاعم حتى في الأرياف والصحارى، لا يعمل به، وإنَّمَا يُرَاعى في حالات الضرورة فقط.

مجموع ما استقلّت السنّة بتشريعه في هذا الحديث:

1 ـ تحريم أكل لحوم الحمر الأهليّة.

2 ـ تحريم أكل لحوم الحيوانات المفترسة آكلة اللحوم، ذات المخالب والأنياب.

3 ـ تحريم الاستيلاء على اللقطة إلا أن يستغني عنها صاحبها سواءً أكان معاهدا أو مسلما.

4 ـ للضيف ـ لاسيّما المنقطع به في أرض قفر ـ حقّ الضيافة، فإذا لم يقر، له أن يطالب بتعويض عن قراه ممّن قصّر في أداء هذا الواجب.

فوائـــد الحديث:

1 ـ قال الخطّابيّ: "في الحديث دليل على أنْ لا حاجة أن يعرض الحديث على كتاب الله، فكلُّ ما ثبت أنَّ رسول الله ﷺ قاله أو فعله أو أقرّه كان حُجّة قائمة بنفسه ".

2 ـ أمّا حديث: "إذا جاءكم الحديث عنّي فاعرضوه على كتاب الله فإنْ وافقه فخذوه.. " فهو حديث باطل لا أصل له. وقد قال عنه يحيى بن معين: وضعه الزنادقة.

3 ـ من يدعو إلى الاكتفاء بالقرآن والتخلّي عن السنة إمّا أنَّهُ جاهل بوظيفة السنة التي لولاها ما فهم أحد القرآن، ولا تجلّت له معالم الدين، وإمّا أنه عدوّ للإسلام والمسلمين يريد إفساد الدين وتعطيل الشريعة.

4 ـ الإغراق في الترف يبلّد ذهن صاحبه ويفسد ملكة تفكيره، ويسدّ عليه منافذ الحِكْمَةِ، فلا يعيش ما يجري حواليه، ويدخل في قطيعة مع واقعه المعيش، ولهذا دعا الرسول ﷺ المسلمين إلى الاخشوشان، والعيش مع الجماعة والتفاعل معها.

5 ـ السنةُ اِستَقَلَّتْ بتشريع أحكام عديدة تناولت مختلف مجالات الحياة، مثل:

ـ توريث الجدّة السدس.

ـ زيادة التغريب على الجلد في حدّ الزاني البكر فقال ﷺ: "البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام".

ـ رجم الثيّب الزاني، فقال لا يحلّ دم امرىء مسلم إلا بإحدى ثلاث: الثيّب الزاني. والنفس بالنفس. والتارك لدينه المفارق للجماعة.

ـ تحريم الجمع بين المرأة وعمّتها، والمرأة وخالتها.

ـ حرّم القرآن الأمّ والأخت من الرضاعة، فألحقت السنّة بهما سائر القرابات بالرضاعة ممّن يحرُمْنَ بالنسب كالعمّة والخالة وبنت الأخ وبنت الأخت فقال ﷺ: "إنّ الله حرّم من الرضاع ما حرّم من النسب".

ـ تحريم لبس الذهب والحرير على ذكور الأمّة الإسلاميّة.

ـ وتحريم الأكل والشرب في آنية الذهب.

ـ تحريم التوارث بين المسلم والكافر.

ـ منع القطع، قطع يد السارق، في الثمر وفي الكثر [وهو الجُمّار].

ـ تشريع المسح على الخفّين بشروطه المقرّرة في كتب الفقه.

* * *

الحديث السابع:

باب ما يكره من الشعر

قال الإمام البخاريّ رحمه الله تعالى: حدّثنا قُتَيْبَةُ قال: حدَّثنا جَرِير، عن الأعمش، عن عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ عن يوسُفَ بْنِ مَاهِكٍ، عن عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ، **عن عائشةَ رضي الله عنها، عن النبيّ ﷺ قال: "إنّ أعظمَ الناسِ جُرْمًا إنسان شاعِر يهجو القبيلةَ من أَسْرِهَا، ورجُل تَنَفّى مِنْ أبيه"** [1].

شرح الترجمة:

باب: خبر لمبتدإ محذوف تقديره هذا، باب: مضاف، والجملة: "ما يكره من الشعر"، في محل جرّ مضاف إليه.

و **المعنى**: يقول الإمام البخاريّ: هذا باب سأذكر فيه الأحاديث التي تتناول ما يُكره من الشعر ممّا يتنافى مع مكارم الأخلاق والقيم الكريمة، وما لا يُكره منه ممّا هو مرغوب فيه كالشعر الملتزم الذي يدعو إلى الفضيلة ويبشّع الرذيلة وينصر العقيدة ويحارب الكفر والشرك والإلحاد.

المعنى العام للحديث:

ينعى النبيّ ﷺ في هذا الحديث على أولئك الشعراء الذين يصدرون فيما يقولونه من الشعر عن الهوى وشهوة الانتقام والتشفّي فيقعون في أعراض الأبرياء، وقد يطال شرّهم هذا، القبيلة بأسرها من أجل فرد من أفرادها قد هاجاه. كما يشنّع على أولئك الذين يتنكّرون لأصولهم وأسرهم فينتفون من آبائهن وينكرون انتسابهم إليهم.

وإذا كانت الفعلة الأولى جريمة عظمى فإنّ الثانية قد تؤدّي بصاحبها إلى الكفر والارتطام في النار.

---

(1) البخاري ـ الأدب المفرد ـ 381 حديث عدد 874.

الترجمة بإيجاز لرجال السند:

1 ـ (ع) **قتيبة بن سعيد بن جميل بن طَرِيفِ بْنِ عبد الله أبو رجاء الثقفي مولاهم البَغْلانِيُّ البَلْخِيُّ** [ت 240 هـ]:

روى عن مالك بن أنس، وسفيان بن عيينة، والليث بن سعد، وعبد العزيز ابن أبي حازم وإسماعيل بن عُلَيَّةَ، وأبي معاوية الأنصاري..

وروى عنه: البخاري والجماعة..

وثّقه ابنُ مَعِينٍ، وأبو حاتم الرازيّ(1).

2 ـ (ع) **جَرِيرُ بْنُ عبد الحميد الضَّبِّيُّ الرازيُّ،** أصله من الكوفة وأمّه رازيّة [ت 187 هـ]:

روى عن منصور بن المعتمر، وسليمان الأعمش، ومُغيرة بن عبد الرحمن الحِزَامِيّ المدنيّ..

روى عنه: قتيبة بن سعيد، وعليّ بن المدينيّ، وعثمان بن محمد بن أبي شيبة، ويحيى بن يحيى بن بُكَيْرٍ..

وثّقه أبو حاتم الرازي، وقال عنه أبو زرعة الرازي: صَدُوق.. (2)

3 ـ (ع) **الأعمش سُليمان بن مِهْرَانَ أبو محمد، الكَاهِلِيّ مولاهم الكوفيّ** [61 ـ 148 هـ]:

روى عن: سعيد بن جُبَيْرٍ وقد سمع منه أربعة أحاديث، والشعبيِّ عامر بن شراحيل، وإبراهيم النَّخَعِيِّ، ومجاهد بن جَبْرٍ، وأبي صالح ذَكْوَانَ السَّمّان الزيّات، وأبي وائل شَقِيقِ بْنِ سَلَمَةَ الذي أدرك النبيَّ ﷺ لكنّه لم يره ولم يسمع منه، ورأى الأعمشُ أنسَ بْنَ مالكٍ رضي الله عنه ولم يسمع منه..

---

(1) التعديل والتجريح للباجي 3/1072 عدد 1260 ـ تهذيب التهذيب 8/358 عدد 639.

(2) التعديل والتجريح 1/460 عدد 199 ـ تهذيب التهذيب 2/75 عدد 116.

روى عنه: شُعْبَةُ بْنُ الحجّاج، وسفيان الثوريّ، وسفيان بن عيينة، وأبوعَوَانَةَ وَضَّاح اليَشْكُرِيُّ، وحفصُ بن غِيَاثٍ، ووكيع بن الجرَّاح، وجريرُ بْنُ عبد الحميد، ومحمد بن كثير..

قال الأعمش: "أنا ممّن رفعه الله بالقرآن، ولولا ذلك لكان على رقبتي دَنُّ صَحْنَاةٍ [إدام يتّخذ من السمك الصغار مصلح للمعدة] أبيعُهُ". قال أبو نعيم: هو أحد الأئمَّةِ في الحديث، الحفّاظ الأثبات. وقال أبوداود: "الأعمش والزهريّ، وقتادة لا يقاس بهم أحد"[1].

4 ـ (ع) **عَمْرُو بْنُ مُرّةَ أبو عبد الله الحنفيّ، ويقال: المُرَادِيّ الجمليّ، الكوفيّ الأعمى** [ت 116 هـ]:

روى عن عبد الله بن أبي أوفى، وأبي وائل شقيق بن سلمة، وعبد الرحمن ابن أبي ليلى، وسعيد بن جبير..

وروى عنه: الأعمش سليمان بن مهران، وشعبة بن الحجاج..

قال عنه أبو حاتم محمد بن إدريس الرازيّ: هو ثقة صدوق، يرى الإرجاء. وقال عنه شعبة: لا يدلّس الحديث، ما رأيت عمرو بن مُرّة في صلاة إلا ظننتُ أنّه لا ينفتلُ حتى يُسْتَجَابَ له[2].

5 ـ (ع) **يوسُفُ بْنُ مَاهِكٍ الفَارِسِيُّ**، نزل مكة [ت 113 هـ]:

روى عن: عائشة، وعبد الله بن عمرو..

وروى عنه: عبد الملك بن جُرَيْجٍ، وأبو بشر جعفر بن إياس..

وثّقه ابن معين، والنسائيّ. وقال ابن خَرَاشٍ: ثقة عدل. وقال ابن سعد: ثقة قليل الحديث[3].

---

(1) التعديل والتجريح 3/1116 عدد 1320 وفي تهذيب التهذيب 4/222 عدد 376.

(2) التعديل والتجريح 3/975 عدد 1103 و تهذيب التهذيب 8/102 عدد 163.

(3) التعديل والتجريح للباجي 3/1238 عدد 1513، تهذيب التهذيب 11/421 عدد 821.

6 ـ (ع) **عبيد بن عُمير بن قتادة بن سعيد أبو عاصم الليثيّ المكّيّ القاصّ**، وكان ابن عمر يجلس إليه، وهو من كبار التابعين، وكان قاضي أهل مكّة في زمانه. [توفّي قبل ابن عمر]:

روى عن: عائشة، وأبي موسى الأشعري..

وروى عنه: عطاء بن أبي رباح..

وثّقه أبو زرعة الرازي. والحافظ أبو صالح أحمد بن عبد الله العِجْلِيّ[1].

7 ـ **عائشة أمّ المؤمنين رضي الله عنها**: تقدّمت ترجمتها في الحديث الأول.

تخريج الحديث:

ـ **تابع** شيبانُ بْنُ عبد الرحمن النحويّ، جريرَ بْنَ عبد الحميد الضبّيّ في رواية الحديث معه عن الأعمش سليمان بن مهران به. رواه ابن ماجه: قال: حدّثنا أبوبكر بن أبي شيبة: حدّثنا عبيد الله بن موسى القيسي: حدثنا شيبان بن عبد الرحمان النحويّ عن الأعمش، به بلفظه مع زيادة عبارة " وزنّـى أمّه "[2].

ـ كما أنّ **للحديث شواهد** من حديث:

1 ـ **سعد بن أبي وقاص**:

أ ـ رواه البخاري في الصحيح ـ كتاب الفرائض ـ باب من ادعى إلى غير أبيه[3].

ب ـ ورواه ابن ماجَهْ في السنن ـ الأدب ـ باب ما كره من الشعر[4].

2 ـ **أبي هريرة**:

ـ رواه البخاري في الجامع ـ الفرائض ـ باب من ادعى إلى غير أبيه[5].

---

(1) التعديل والتجريح 2/925 عدد 1006 ـ وتاريخ الثقات للعجلي 321 عدد 1082.

(2) السنن ـ الأدب ـ باب ما كره من الشعر ـ 2/1237 حديث عدد 375.

(3) متن فتح الباري 12/54 حديث عدد 6766.

(4) 2/1237 حديث عدد 376.

(5) متن فتح الباري 12/55 حديث عدد 6768.

3 ـ أبي ذَرٍّ الغِفَارِيِّ: رواه البخاريّ في الصحيح ـ المناقب ـ باب حدثنا. .[1].

شرح الحديث:

إن أعظم الناس جُرْمًا: جاء في رواية ابن ماجه من هذا الوجه بلفظ: "أعظم الناس فِرْيَةً، رجل هاجى رجلا، فهجا القبيلةَ بأسرها"، وصحّحه ابن حبان. وجاء في رواية البخاري في شأن انتفاء الرجلِ من أبيه: "إنّ من أعظم الفِرَى".

فالجرم: هنا هو الذنب، والإثم، والكذب، والافتراء، والبهتان. **والفرى** [بكسر الفاء وفتح الراء]: جمع فِرْيَةٍ، وهي الكذب، والبُهْتُ، نقول: فرى يفري فلان كذا، وافترى بمعنى اختلق.

يهجو القبيلةَ من أسرها: يهجو: نقول هجا يهجو هَجْوًا وهِجاء وتَهْجَاءً فلانا إذا ذمّه وعدّد معايبه وذكر مثالبه وشتمه. **بأسرها:** بكاملها، جميعها وبرمّتها. فالقبيلة تَضُمُّ الصالحَ والطالح، وفيها التقيُّ كما فيها الفاسقُ، فليس من الصواب ولا العدل أن يسوق هذا الشاعرُ الهاجي أفرادَ القبيلة كلّهم مساقا واحدا، فيهجوهم جميعا بهجاء فرد واحد. فالشاعر كثيرا ما يحتكم إلى عاطفته، وشهوته فيغيب عنه عقله، ويَسُدّ عليه جُمُوحُهُ مَنَافِذَ الحِكْمَةِ فيغرق في متاهات الضلالة.

تنفّى: فعل ثلاثي مزيد بحرفين [نفى، تنفّى] أي بالغ في النفي، بمعنى نفى وأنكر أن يكون أبوه الحقيقيّ أبًا له. أي أنّه تنكّر لأبيه ونفى نسبته إليه وادّعى لغيره.

ما حكم الانتفاء من النسب ؟

لقد نهى الإسلامُ الرجلَ عن الانتفاء من نسبه، وادّعاء غير أبيه. يقول النبيُّ ﷺ: "إنّ من أعظم الفرى أن يدّعي الرجلُ إلى غير أبيه، أو يُرِيَ عَيْنَهُ ما لم تر، أو يقول عن رسول الله ﷺ ما لم يقل". وجاء في حديث أبي ذرٍّ الغِفَاريّ رضي الله عنه: "أنّه سمع النبيّ ﷺ يقول: ليس من رجل ادّعى لغير أبيه، وهو يعلمه، إلا كفر بالله، ومن ادّعى قوما ليس له فيهم نسب، فليتبوّأ مقعده من النار". وجاء

(1) متن فتح الباري 6/623 حديث عدد 3508.

في حديث سعد بن أبي وقَّاصٍ الذي رواه البخاريّ، قال: "سمعت النبيّ ﷺ يقول: من ادّعى لغير أبيه وهو يعلم أنّه غير أبيه، فالجنّة عليه حرام "(1) وقد ذكر هذا الحديث أبو عثمان النهديّ راويه عن سعد بن أبي وقّاص، لأبي بكرة نفيع بن الحارث فقال: "وأنا سَمِعَتْهُ أذناي، ووعاه قلبي من رسول الله ﷺ. وجاء في حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: " لا ترغبوا عن آبائكم، فمن رغب عن أبيه فهو كفر "، وجاء في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه الذي رواه ضياء الدين المقدسي [567 ـ 643 هـ] في المختارة قال: "إنّي لَتَحْتَ ناقة رسول الله ﷺ يسيل عليّ لُعَابُهَا، سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: إنّ الله جعل لكلّ ذي حقّ حقّه، ألا لا وصيّة لوارث، والولد للفراش وللعاهر الحَجَرُ، ألا لا يتولّينّ رجل غيرَ مواليه، ولا يدّعي إلى غير أبيه، فمن فعل ذلك فعليه لعنة الله متتابعة إلى يوم القيامة، ولا تنفق امرأة من بيت زوجها إلاّ بإذن زوجها. فقال رجل: ومن الطعام يارسول الله ؟ قال: وهل أفضلُ أموالنا إلاّ الطعام !؟ ألا إنّ العارية مؤدّاة، والمنحة مردودة، والدَّيْنَ مَقْضِيّ، والزعيمَ غارم "(2).

فهذه الأحاديث الصحيحة صريحة في " تحريم الانتفاء من النسب المعروف، والادّعاء إلى غيره "، " وقُيّدت الحرمةُ بالعلم، ولا بدّ منه في الحالين إثباتا ونفيا، لأن الإثم إنّما يترتّب على العالِمِ بالشيْءِ المتعمّد له ". ويُستفاد من قوله ﷺ: " أو يري عينه ما لم تر "، تحريمُ الدعوى بشيء ليس هو للمدّعي، فيدخل فيه الدعاوى الباطلة كلّها: مالا، وعلما، وتعلّما، ونسبا، وحالا، وصلاحا، ونعمة، وولاء، وغير ذلك، ويزداد التحريم بزيادة المفسدة المترتّبة على ذلك، يقول النبي ﷺ في هذا المضمار: " المتشبّع بما لم يعط كلابس ثوبَيْ زورٍ".

جاء في فتح الباري(3) أنّ أباعثمان النهدي أنكر ما جرى من ادّعاء معاوية بن أبي سفيان لزياد ابن أبيه ونسبته إلى أبي سفيان لمخالفته قول النبي ﷺ: " الولد

(1) كتاب الفرائض ـ باب من ادعى إلى غير أبيه ـ متن فتح الباري 12/54 حديث 6766.
(2) 6/149 عدد 2144.
(3) 12/55.

للفراش وللعاهر الحجر "، وكان زياد أخا أبي بكرة نُفَيْع بْنِ الحارث لأمّه، وكان يُدْعَى زيادَ بْنَ سُميّة، وقيل زياد بن عُبيد، وسُميّة " أمّه، كانت أمَةً للحارث بن كَلَدَةَ، زوّجها لمولى له [لعلّه عبيد]، فأتت بزياد على فراشه، وهُمْ بالطائف قبل أن يُسْلِمَ أهلُ الطائف، فلمّا كان في خلافة عمر بن الخطاب سمع أبو سفيان بن حرب كلامَ زياد عند عُمر، وكان بليغا فأعجبه، فقال: إني لأعرفُ من وضعه في أمّه ! ولو شئتُ لسمّيته، ولكن أخافُ من عمر، فلمّا وُلّيَ معاويةُ الخلافةَ، كان زياد على فارِسَ من قِبَلِ عليّ، فأراد مداراته، فأطمعه في أن يُلحقه بأبي سفيان فأصغى زياد إلى ذلك، فجرت خطوب، إلى أن ادّعاه معاويةُ وأمّره على البصرة ثم على الكوفة وأكرمه، وسار زياد سيرته المشهورة وسياسته المذكورة، فكان كثير من الصحابة ينكرون ذلك على معاوية محتجّين بحديث " الولد للفراش " . "[1]

هل يستفاد من الحديث ذمّ الشعر ؟

رأينا موقفَ الإسلام من الشعر، فهو يُحسّن حسنه، ويقبّح قبيحه، بل فإن الإسلام يشجّع الشاعرَ الملتزمَ الذي ينصر الشرع ويذود عن حياض العقيدة وينصر الفضيلة ويرفع راياتِ الأخلاق عالية ويُهَجِّنُ الكفر والفسوق واللّهْوَ والعبث وأهله. وقد أذن الرسول ﷺ لحسّان بن ثابت في هجاء المشركين، وعدّ ذلك سابقة خير ويدا بيضاء تذكر له بالشكر والثناء، حتى أنّ عروة بن الزبير حينما عزم على النيل منه لِمَا نسب إليه من القول في الإفك منعته عائشة رضي الله عنها قائلة له: " لا تسبّه فإنَّهُ كان ينافحُ عن رسول الله ﷺ " . بل فإنّ الرسولَ ﷺ دعا له قائلا: " يا حسّانُ أجب عن رسول الله ﷺ، اللهم أيِّدْهُ بروح القُدُس" .

فوائد الحديث:

1 ـ الشعر منه ماهو مرغوب فيه ومنه ماهو مرغوب عنه، فحسنه حسن وقبيحه قبيح.

2 ـ لا يجوز هجو البريء، ومن مآخذ الشعراء هجوهم للقبيلة أو للقوم قاطبة بهجو شخص منهم للهاجي.

---

(1) ينظر كذلك نيل الأوطار 5/194 ـ سنن أبي داود: صحيح السنن 3/963 عدد 4265.

3 ـ الإسلام يدعو إلى الحفاظ على الأنساب:

أ ـ فشرع العدّة للمرأة المطلّقة أو المتوفّى عنها زوجُها، فلا تتزوّج حتى تتبيّن براءة رحمها.

ب ـ حرّم الزنا وشدّد في عقوبته فتراوحت بين جلد مائة وتغريب عام للبكر والرجم للمحصن.

ج ـ كما حرّم التبنّي بصريح قوله تعالى: ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ * ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ ۚ﴾ [33 الأحزاب 4، 5].

4 ـ حرمة الانتفاء من النسب، والادّعاء لغير الأب، وقد نسب الرسول ﷺ من يتعمّد ذلك إلى الكفر.

5 ـ يحرم أن يدّعِيَ المرءُ ما لا يملك وما ليس له وما لم يره سواءً كان ذلك في اليقظة أو في المنام.

* * *

الحديث الثامن:

قال الإمام البخاريّ رحمه الله تعالى: حدّثنا محمدُ بْنُ الحَكَمِ قال: أخبرنا النَّضِرُ قال: حدثنا إسرائيلُ قال: أخبرنا مَيْسَرَةُ بْنُ حَبِيبٍ قال: أخبرني المنهالُ بْنُ عَمْرٍو قال: حدثتني عائشة بنت طَلْحَةَ، **عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: " ما رأيتُ أحدا من الناس كان أشبهَ بالنبيِّ ﷺ كلاما ولا حديثا ولا جِلْسَةً من فاطمةَ. قالت: وكان النبيُّ ﷺ إذا رآها قد أقبلت رحّب بها، ثم قام إليها فقبّلها، ثم أخذ بيدها فجاء بها حتى يُجْلِسَهَا في مكانه. وكانت إذا أتاها النبيُّ ﷺ رحّبت به، ثم قامت إليه فقبّلَتْهُ.**

وإنّها دخلتْ على النبيّ ﷺ في مرضه الذي قُبِضَ فيه، فرحّب بها وقبّلها وأسرّ إليها، فبكت، ثم أسرّ إليها فضحكت. فقلتُ للنساء: إنْ كنت لأرى أنَّ لهذه

المرأةِ فضلا على النساء، فإذا هي من النساء. بينما هي تبكي إذا هي تضحكُ. فسألتُهَا: ما قال لك ؟ قالت: إنّي إذًا لَبَذِرَة !. فلمّا قُبِضَ النبيّ ﷺ فقالت: أسرّ إليّ فقال: إنّي ميّت، فبكيتُ. ثم أسرّ إليّ فقال: إنّك أوّلُ أهلي بِي لَحُوقًا، فسُرِرْتُ بذلك وأعجبني »[1].

المعنى العام للحديث:

يبيّن الحديثُ المكانةَ الرفيعةَ التي كانت تحتلّها السيّدة فاطمة رضي الله عنها في نفس الرسول ﷺ، وما كانت تتحلّى به من المناقب والخصال المرضيّة العالية، وكيف كانت أشبهَ الناس برسول الله دَلاً وسَمْتًا. وقد خصّها الرسولُ عليه الصلاة والسلام بسرّ خبر قُرْبِ أجله، فحزنت حُزْنًا مريرا وبكت بكاء شديدا وأسرّ إليها بِبُشْرَى لَحَاقِهَا به الأولى من آل بيته، تخفيفا وتهوينا عليها، فسُرّت بذلك وضحكت. وكانت السيدةُ عائشة رضي الله عنها تعرِفُ للسيِّدة فاطمة عليها السلام رفيعَ قَدْرِهَا وجلال مكانتها بين النساء.

تخريج الحديث:

- لقد تابع عثمانُ بْنُ عمر، النضِرَ بْنَ شُمَيْلٍ في رواية الحديث عن إسرائيل بن يونس به بلفظ مقارب، خرّجه الترمذي في سننه[2].
- وله شاهد من حديث **أمّ سلمة أمّ المؤمنين رضي الله عنها**، إلاّ أنّها قالت: إنّ رسول الله ﷺ دعا فاطمة يوم الفتح فناجاها فبكت.. رواه الترمذي في السنن[3].

الترجمة بإيجاز لرجال السند:

1 ـ (ع) محمدُ بْنُ الحَكَمِ أبوعبد الله الأحول المَرْوَزِيُّ [ت 223 هـ]:

روى عن النضر بن شميل.

(1) البخاري ـ الأدب المفرد ـ ص 414 ـ حديث عدد 974.
(2) كتاب المناقب، باب فضل فاطمة بنت محمد ﷺ 5/700 حديث عدد 3872.
(3) كتاب المناقب ـ باب فضل فاطمة بنت محمد ﷺ 5/701 حديث عدد 3873.

وروى عنه البخاريُّ أربعة أحاديث، وقال الذهبيُّ: ما علمتُ روى عنه غير البخاري.

قال أبو حاتم الرازي: مجهول، وقال ابن حِبَّانَ في الثقات: محمد بن الحكم ابن سالم المروزيّ، روى عن أحمد بن خالد المروزيّ. قال ابن حجر: ذكره أبو يعلى الفراء في كتاب الطبقات، ونقل عن الخلال أنَّهُ قال: لا أعلم أحدا أشدّ فَهْمًا من محمد بن الحكم الأحول، فيما سُئِلَ بمناظرة، واحتجاج، ومعرفة وحفظ(1).

2 ـ (ع) **النضر بن شميل بن خَرَشَةَ المازنيُّ أبو الحسن النحويّ البصريّ**، نزيل مَرْو، له ابن يقال له: الحسن. [توفي في أوَّلِ ذي الحجَّةِ سنة 203هـ وقال البخاريُّ سنة 204 هـ]:

روى عن صخرِ بن جُوَيْرِيَةَ، وحُمَيْدٍ الطويل، وعبد الله بن عون، وهشام بن عروة، وعبد الملك بن جريج، وعَوْفِ بْنِ أبي جميل وبَهْزِ بْنِ حكيم، وإسرائيل ابن يونس، وشعبة بن الحجّاج، وحمَّاد بن سلمة وسعيد بن أبي عَرُوبَةَ..

روى عنه إسحاقُ بْنَ راهويه، وإسحاق بن منصورالكَوْسَجُ، ومحمد بن مقاتل، ويحيى بن مَعِينٍ، وعليّ بن المديني، وأحمد بن سعيد الدارمي..

كان النضر إماما في العربية والحديث، وهو أوّل من أظهر السنة بمرو وجميع خراسان، وكان أروى الناس عن شعبة. وثّقه عليّ بن المديني، وابن معين، والنسائي. وقال أبو حاتم محمد بن إدريس الرازي: ثقة صاحب سنّة. وسئل عنه ابن المبارك فقال: درّة بين مروين [كورة مرو وكورة مرو الروذ] ضائعة(2).

3 ـ (ع) **إسرائيل بن يونس بن أبي إسحاق أبو يوسف السَّبِيعِيُّ الكوفيُّ**، أخو عيسى ابن يونس [100 ـ161هـ]:

---

(1) التعديل والتجريح 2/629 عدد 476 ـ تهذيب التهذيب 9/124عدد 173.

(2) التعديل والتجريح 2/773 عدد 730 ـ تهذيب التهذيب 10/437.

روى عن جدّه أبي إسحاق السبيعي وهو أثبتُ الناس في حديثه، وزيد بن جبير، وعاصم الأحول، وعاصم بن بهدلة بن أبي النجود، وسِمَاك بن حرب، وسليمان بن مهران الأعمش، وهشام بن عروة. .

روى عنه ابنه مهدي، وعبيد الله بن موسى، والنضر بن شميل، ووكيع بن الجرَّاح، وأبو داود الطيالِسِيُّ، وعبد الرزاق الصنعانيُّ، ويحيى بن آدم. .

قال أبوحاتم الرازي: إسرائيل ثقة، متقن، من أتقن أصحاب أبي إسحاق. وكان إسرائيل يقول: كنت أحفظ حديث أبي إسحاق كما أحفظ سورة من القرآن. وثّقه يحيى بن معين، وابن سعد. وقال العجليّ في الثقات: كوفيّ ثقة. وكان أحمد بن حنبل يتعجّب من حفظ إسرائيل، ويقول عنه: كان شيخا ثقة، ثبت الحديث[1].

4 ـ (بخ، د، ت، س) مَيْسَرَةُ بن حبيب النهدي أبو حازم الكوفي.

روى عن المنهال بن عمرو، وأبي إسحاق السَّبِيعِيِّ، وأبي صالح الحنفي، وعَدِيّ بن ثابت الأنصاري. .

روى عنه إسرائيل بن يونس، وشعبة بن الحجاج، وسفيان الثوري، وفضيل ابن مرزوق. .

وثّقه أحمد وابن معين، والعجلي والنسائي. وقال أبو داود: معروف. وذكره ابن حبان في الثقات. وقال أبو حاتم الرازي: لا بأس به[2].

5 ـ (خ، 4) المنهال بن عمرو الأسدي مولًى لبني عمرو بن أسد بن خزيمة الكوفي.

روى عن سعيد بن جبير. وروى عنه منصور بن المعتمر.

وثّقه ابن معين والنسائيّ والعجليّ وابن شاهين. وقال الدارقطني: صدوق. قال أحمد بن حنبل: ترك شعبةُ المنهالَ بْنَ عَمْرٍو على عَمْدٍ لأنّه سمع

(1) التعديل والتجريح 1/402 عدد 118 ـ تهذيب التهذيب1/261 عدد 496.

(2) تهذيب التهذيب 10/386 عدد 691.

من داره قراءة القرآن بالتطريب(1).

6 ـ (ع) **عائشة بنت طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم:**

روت عن عائشة أمّ المؤمنين..

روى عنها حبيب بن أبي عمرة، ومعاوية بن إسحاق..

وثّقها ابن معين، وقال عنها حجّة. وقال عنها العجليّ: مدنية تابعية ثقة. وقال أبو زرعة الدمشقي: حدّث عنها الناس لفضلها وأدبها(2).

7 ـ **عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها:** تقدَّمت ترجمتها في الحديث الأول.

شرح الحديث:

ما رأيت أحدا من الناس كان أشبه بالنبي ﷺ كلاما ولا حديثا ولا جلسة من فاطمة:

جاء في رواية أبي داود، والترمذي، والنسائي، وابن حبّان والحاكم من طريق عائشة رضي الله عنهاقالت: " ما رأيتُ أحدا أشبه سمتا، وهديا، ودلاّ برسول الله ﷺ بقيامها وقعودها من فاطمة، وكانت إذا دخلت على النبي ﷺ قام إليها وقبّلها وأجلسها في مجلسه، وكان إذا دخل عليها فعلت ذلك " أي قامت من مجلسها فقبلته وأجلسته في مجلسها(3).

والمراد **بالسمت** الهيئة وتستعمل لأهل الخير والصلاح، أمّا **الهدي** فهو السيرة والطريقة، يقال: ما أحسن هديه ! أي سيرته. وهدى هديه: أي سار سيرته. أما **الدلّ** فهو سكينة النفس وطمأنينتها مع حسن السيرة، وهو قريب المعنى من الهدي.

وفي حديث آخر رواه البخاري: " أقبلت فاطمة،عليها السلام، تمشي كأنّ

---

(1) التعديل والتجريح 2/760 عدد 708 ـ تاريخ الثقات لابن شاهين 313 عدد 1349ـ تاريخ الثقات للعجلي 442 عدد 1643 ـ تهذيب التهذيب 10/319 عدد 555.

(2) التعديل والتجريح3/1292 عدد 1722 ـ تهذيب التهذيب 12/436 عدد 2844.

(3) فتح الباري 7/742.

مِشيتها مَشْيُ النبيِّ ﷺ "[1]. وفي رواية: " ولا والله ما تخفى مِشيتها من مِشية رسول الله ﷺ "[2].

كان النبي ﷺ إذا رآها قد أقبلت رحّب بها ثم قام إليها فقبّلَهَا: وفي رواية: فقال النبي ﷺ: "مرحبا يا ابنتي " أو " مرحبا بابنتي "[3].

حتى يُجلسها في مكانه: وفي رواية، ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله، وكلّ هذه العبارات تدلّ على إعزاز الرسول ﷺ السيدة فاطمة، وما يكنّه لها من محبّة وإكبار.

وأنها دخلت على النبي ﷺ في مرضه الذي قبض فيه: وجاء في رواية أخرى أنّ النبي ﷺ دعا فاطمة ابنته في شكواه التي قبض فيها. والشكاة بمعنى الشكوى: ما يشتكى منه، من علّة ومرض ونحو ذلك وهي تؤنث وتذكر ولهذا وردت رواية تقول شكواه الذي قبض فيه.

فرحّب بها وقبّلها: وجاء في رواية: " فلمّا مرض دخلت عليه فأكبّت عليه تقبّله "[4].

وأسرّ إليها فبكت: وفي رواية " ثم أسرّ إليها حديثا فبكت "وفي رواية: "فبكت بكاء شديدا "[5]، والفعل: سارّه: أي كلّمه بسرّ و **أسرّ إليه بشيء**: أي حدّثه به سرّا، وقد يكون حدّثه به في أذنه. والذي أسرّه إليها بيّنته إحدى الروايات: "أسرّ إليّ أن جبريل كان يعارضني القرآن كلّ سنة مرّة، وأَنّهُ عارضني العام مرّتين، ولا أراه إلا حضر أجلي " أو " ولا أرى إلا أجلي قد اقترب: أو "أحسب أنّي ميّت في عامي هذا "، وأسرّ إليها كذلك: " وإنّه لم تُرْزَأْ امرأة

---

(1) الجامع الصحيح ـ المناقب ـ باب علامات النبوة في الإسلام ـ متن فتح الباري 6/726 حديث 3623.

(2) فتح الباري11/82.

(3) متن فتح الباري 11/82 حديث رقم6285.

(4) فتح الباري 7/742.

(5) متن فتح الباري 7/82 حديث عدد 6285.

من نساء العالَمِينَ مثل ما رُزِئْتِ، فلا تكوني دون امرأةٍ منهنّ صبرًا " . وجاء في رواية أخرى: " فاتّقي الله واصبري، فإنّي نعم السلفُ لكِ ". " فقالت السيدة فاطمة: فبكيتُ "[1].

ثم أسرّ إليها فضحِكَتْ: وفي رواية: " ثم أسرّ إليها حديثا فضحكت " وفي رواية ثالثة: " فسارّها بشيء فضحكت ". والذي أسرّ به عليه الصلاة والسلام إلى السيّدة فاطمة رضي الله عنها فسرّها وأعجبها ندركه بالوقوف على مختلف الروايات:

1 ـ "فأخبرني أنّي أوّلُ أهل بيته أتبعه" وفي رواية "يتبعه"[2]. وفي رواية "وأنّك أوّل أهل بيتي لحاقا بي"[3].

2 ـ "فقال: أمَا ترضين أن تكوني سيّدةَ نساء أهل الجنَّةِ أو نساء المؤمنين" وفي رواية "أو سيّدة نساء هذه الأمّة"[4].

فقلتُ للنساء: إن كنتُ لأرى أن لهذه المرأة فضلا على النساء، فإذا هي من النساء، بينما هي تبكي إذا هي تضحكُ: وجاء في رواية الترمذيّ: " إن كنتُ لأظنّ أنّ هذه من أعقل نسائنا، فإذا هي من النساء ". أي كسائر النساء في شبوب العاطفة وتغلّبها على العقل فقد تبكي ثم سريعا ما تضحك دون ظهور أسباب وجيهة ! فعائشة رضي الله عنها تُكْبِرُ السيدة فاطمة عليها السلام، وتعرف فضلها، فالذي حيّرها هو بكاؤها ثم ضحكُهَا مباشرةً بعد البكاء، وعائشة قالت ما قالته لأنّها لم تعرف بعدُ سرّ البكاء والضحك لأنّ السيدة فاطمة أبت أن تُخْبِرَهَا بسرّ والدها عليه الصلاة والسلام.

فسألتها: ما قال لك؟ وفي رواية: "سألتها عمّ قال؟ "وفي رواية " فقلت لها: لم

---

(1) انظر: فتح الباري 7/82 ـ 7/132.

(2) متن فتح الباري 7/89 حديث عدد 3716.

(3) متن فتح الباريّ 6/726 حديث 3624.

(4) متن فتح الباري 11/82 حديث رقم 6285.

تبكين؟ " وفي رواية: "عزمتُ عليك بما لي عليك من الحقِّ لما أخبرتني! "[1].

قالت: إنّي إذا لبذرة: البَذِر والبَذِير والبَذُور [بفتح الباء وضم الذال] صفة مشبهة باسم الفاعل من الفعل بَذُرَ [بضم الذال] بذارة، وهو الذي يُفْشِي السرّ ولا يكتمه ويذيع ما يسمعه. يقال: بذرت الكلام بين الناس كما تبذر الحبوب أي أفشيته وفرّقته، ويجمع البَذُور على بُذُرٍ كصَبُورٍ وصُبُرٍ. وجاء في حديث عليّ كرّم الله وجهه في صفة الأولياء " ليسوا بالمذاييع البذر ". وجاء في رواية أخرى: " **فقالت:** ما كنت لأفشي سرّ رسول الله ﷺ "[2].

فلما قُبِضَ النبيُّ ﷺ فقالت: وفي رواية: "حتّى قبض النبي ﷺ فسألتها " فقالت: " أمّا الآن فنعم! "[3].

فسررت بذلك وأعجبني: والذي أسرّ السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام وأعجبها فضحكت هو:

1 ـ إعلام النبي ﷺ لها أنها أوّل أهله لحوقا به.

2 ـ إعلامه لها أنّها سيّدةُ نساء أهل الجنة، أو سيّدة نساء المؤمنين.

ممّا ورد في حبّ الرسول ﷺ لفاطمة عليها السلام:

لقد وردت أحاديثُ عديدة تبرز حبّ الرسول ﷺ لفاطمة رضي الله عنها وحدبه الشديد عليها، من ذلك ما رواه الترمذيُّ في المناقب باب فضل فاطمة، من قوله عليه الصلاة والسلام: " إنّما فاطمةُ بِضْعَة منّي، يؤذيني ما آذاها، وينصبني ما أنصبها ". وفي رواية: " فإنّها بضعة مني يريبني ما رابها ويؤذيني ما آذاها "[4]. كما روى أنّها من أصحاب الكِسَاءِ، فقد جاء عن أمّ سلمة رضي الله عنها أنّ

---

(1) متن فتح الباري 6/726 عدد 3623. متن فتح الباري 11/726 حديث عدد 6285.

(2) متن فتح الباري 6/726 حديث عدد 3623.

(3) متن فتح الباري 11/82 حديث عدد 6285.

(4) 5/698 حديث عدد 3867 وعدد 3869.

النبيَّ ﷺ جلّل على الحسن والحسين وعليّ وفاطمة كساءً، ثم قال: " اللهم هؤلاء أهلُ بيتي وخاصّتي، أذهِبْ عنهم الرجسَ وطهّرهم تطهيرًا " . فقالت أمّ سلمة: وأنا معهم يا رسول الله ! فقال: "إنك إلى خير" .

قال الترمذيّ: " هذا حديث حسن، وهو أحسن شيء في هذا الباب " .[1]

فوائد الحديث:

1 ـ يبيّن الحديث مكانة السيدة فاطمة رضي الله عنها عند رسول الله ﷺ. وقد قال عليه الصلاة والسلام: "فاطمة بضعة منِّي، فمن أغضبها أغضبني" كما يبيّن حبّه عليه الصلاة والسلام فاطمة واحتفاءه الشديد بها.

2 ـ كما يبيّن جانبا من أدب السيدة فاطمة الرفيع ومناقبها العالية، وقد أخبر ﷺ أنها سيِّدَةُ نساء أهل الجنة إلا مريم عليهما السلام.

3 ـ فاطمة رضي الله عنها الوحيدة من بناته ﷺ " رُزِئَتْ بالنبي عليه الصلاة والسلام، فإنّهُنَّ مُتْنَ في حياته فكُنّ في صحيفته، ومات هو في حياتها فكان في صحيفتها.

4 ـ السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام وهبها الله من الأحوال السنيّة والكمالات، ما لم يشاركها فيه أحد من نساء هذه الأمّة مطلقا.

5 ـ الرسول ﷺ يخبر بما سيقع من المغيبات فيقع كما يخبر به، فقد اتفق العلماء على أنَّ السيدة فاطمة عليها السلام كانت أوَّلَ من مات بعده من أهل بيته.

6 ـ أدب النبوة في علاقة الأب بابنته، والبنت بأبيها.

7 ـ لا ينبغي إفشاء السرّ إذا كان في إفشائه مضرّة على المُسِرّ، وجواز إفشائه إذا زال ما يترتّب على إفشائه من المضرّة لأن الأصل في السرّ الكتمان وإلا فما فائدته؟ .

---

(1) سنن الترمذيّ 5/699 حديث عدد 3871.

الحديث التاسع:

باب اللعب بالبنات

قال أبو داود رحمه الله تعالى: حدّثنا مُسَدّد: أخبرنا حَمّاد عن هِشَام عن أبيه عن عائشةَ رضي الله عنها قالت: **" كنتُ أَلْعَبُ بِالبناتِ فَرُبّمَا دخل عَلَيّ رسولُ الله ﷺ وعندي الجَواري، فإذا دخل خرجن، وإذا خرج دخلن "**[1].

شرح الترجمة:

يقول أبو داود ـ رحمه الله ـ: هذا باب ضَمّنّاه الأحاديثَ التي تتناول حكم لعب الصبية باللُّعَبِ، وهي أحاديثُ تدلّ على جواز اتّخاذ العرائس والدُّمى من أجل لعب البنات بها. وخُصّ ذلك من عموم النَّهْيِ عن اتخاذ التماثيل والصور التي فيها رُوح، وقد جَزَمَ القاضي عِيَاض ونقله عن الجمهور أنَّ بَيْعَ اللعب للبنات لتدريبهن من صغرهنّ على أمر بيوتهن وأولادهنّ جائز.

المعنى العام للحديث:

تتحدّث السيِّدَةُ عائشةَ أمّ المؤمنين رضي الله عنها في هذا الحديث عن لَعِبِهَا بالعرائس والتماثيل الصغيرة في صِبَاها بمعيّة صُوَيْحِبَاتها، وكان الرسولُ ﷺ لا يَمْنَعُهَا من ذلك بل فقد كان عليه الصلاة والسلام يُسَرِّبُ إليها صديقاتِهَا من الجواري لِيُلاعِبْنَهَا ولتتسلّى مَعَهُنَّ.

الترجمة بإيجاز لرجال السند:

1 ـ (خ، د، ت، س) مُسَدَّد بْنُ مُسَرْهَدِ بْنِ مُسَرْبَلِ بْنِ مُغَرْبَلِ بْنِ لامِكِ بْنِ مَاهِكٍ البصريُّ الأسديُّ، أبو الحسن الأزديُّ الحافظُ [ت 228 هـ]:

روى عن حَمَّاد بْنِ زَيْدٍ، وأبي عَوَانَةَ، وعبد الله بن يحيى بن أبي كَثِيرٍ، وإسماعيلَ بْنِ عُليّة، وخالد بن عبد الله، ويزيد بن زُرَيْعٍ، ويحيى بن سعيدٍ

(1) أبوداود ـ السنن ـ الأدب 4/ 283 الحديث عدد 4931 ـ عون المعبود 13/ 278 الحديث عدد 4910.

القطان، وبِشْرِ بْنِ المُفَضّلِ، وهُشَيْمِ بْنِ بشير، وعبد الوارث بن سعيد، ومُعْتَمِرِ ابْنِ سُليمان. .

وروى عنه البخاريُّ، وأبو زُرْعَةَ وأبوحاتم الرازيان. .

مسدّد أوَّلُ من ألَّفَ المسند بالبصرة. قال عنه يحيى بن معين: ثقة، ثقة. وقال أبوحاتم الرازي و النسائي والعجلي: ثقة[1].

2 ـ (ع) **حمَّادُ بْنُ زيد بن دِرْهَمٍ الأَزْدِيُّ مولى آل جَرِير بن حازم الجَهْضَمِيّ أبو إسماعيل البصري**، أخو سعيد، كان ضريرا [98 ـ179هـ]:

روى عن هشام بن عروة، وثابت البُنَانيِّ، وأنس بن سِيرِينَ، وعاصم الأحول، وأيُّوب السختياني، ويونس بن عبيد بن دينار وغيرهم من التابعين فمن بعدهم. .

روى عنه سليمان بن حرب، وحجّاج بن منهال، وقتيبة بن سعيد البغلاني، وعبد الله بن المبارك، وعبد الرحمان بن مهدي، وعبد الله بن وهب، ويحيى ابن سعيد القطان، وسفيان بن عيينة، وسفيان الثوري، ومسدّد بن مسرهد. .

كان من أعلم الناس في عصره وأفقههم، قال عنه أحمد بن حنبل: حماد من أئمة المسلمين. سئل أبو زرعة الرازي عن حماد بن زيد وحماد بن سلمة ؟ فقال: حماد بن زيد أثبت من حماد بن سلمة بكثير، وأصحّ حديثا، وأتقن. وسئل عنهما يحيى بن معين فقال: حماد بن زيد أحفظ، وحماد بن سلمة ثقة. وقال عبد الرحمان بن مهدي: "ما رأيتُ بالبصرة أفقه من حماد بن زيد". وقال النسائي: "حمّاد بن زيد ثبت ثقة". قال يزيد بن زُرَيْعٍ ـ يوم مات حماد ـ: اليوم مات سيّدُ المسلمين[2].

3 ـ (ع) **هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ بْنِ الزبير بْنِ العوّام الأسديّ، أمّه خراسانية، اسمها صافية، أبو المنذر، ويقال أبو بكر القرشي** [ولد سنة 61 وتوفّي سنة 146 هـ ببغداد ودفن في مقابر الخيزران]:

---

(1) التعديل والتجريح 2/758 عدد 704 ـ تهذيب التهذيب 10/107 عدد 202.

(2) التعديل والتجريح 2/521 عدد 281 ـ تهذيب التهذيب 3/9 عدد 13.

روى عن أبيه، وعمّه عبد الله بن الزبير، وامرأته فاطمة بنت المنذر بن الزبير وهي ابنة عمه.

روى عنه أيوب السختياني، ومعمر بن راشد، وعبد الملك بن عبد العزيز بن جُرَيْجٍ، وعبد الله بن المبارك، ويحيى بن سعيد القطان، ومحمد بن إسحاق، وشعبة بن الحجاج، ومالك بن أنس، والسفيانان، والحمّادان..

رأى عبد الله بن عُمَرَ، وهو في سنّ الخامسة أو نحوها، ومسح رأسه ودعا له. كما رأى جَابِرَ بْنَ عبد الله، وأنسَ بْنَ مالك. وثّقه محمد بن سعد وأحمد بن عبد الله العجلي. وقال أبو حاتم الرازي: ثقة إمام في الحديث. وقال يعقوب بن شيبة: ثقة ثبت لم ينكر عليه شيء إلا بعد ما صار إلى العراق فإنّه انبسط في الرواية عن أبيه[1].

4 ـ (ع) **عروة بن الزبير**: (تقدَّمت ترجمتُهُ في الحديث الأوّل).

5 ـ (ع) **عائشة أمُّ المؤمنين**: (تقدَّمت ترجمتها في الحديث الأوّل).

تخريج الحديث:

ـ تابع كلّ من: 1 ـ أبي معاوية، 2 ـ وحماد بن أسامة الهاشمي أبي أسامة، 3 ـ وجرير بن عبد الحميد الضبي الرازي، 4 ـ ومحمد بن بشر بن الفرافصة، 5 ـ وعبد العزيز بن محمد الدراوردي، 6 ـ ويحيى بن سعيد بن أَبَانَ القرشي الأمويّ مولاهم، 7 ـ وسفيان الثوري، 8 ـ ومعمر بن راشد، 9 ـ وعبدة بن سليمان واسمه عبد الرحمن إلا أن لقبه عبدة غلب عليه، 10 ـ وعُمَرَ بْنِ حبيب القاضي، 11 ـ وابن نُمَيْرٍ، 12 ـ وعليِّ بْنِ مِسْهَرٍ أبي الحسن الكوفي، 13 ـ وجعفر بن سليمان وغيرهم، كلّهم تابعوا حمادَ بْنَ زَيْدٍ في رواية الحديث عن هشام بن عروة ابن الزبير به بمعناه أو بلفظٍ مُقَارِبٍ:

1 ـ أمّا متابعة أبي معاوية فرواها البخاري في الجامع الصحيح ـ الأدب ـ باب

---

(1) التعديل والتجريح 3/1171 عدد 1401 ـ تهذيب التهذيب 11/48 عدد 8.

الانبساط إلى الناس: حدثنا محمد بن سلام البيكندي أخبرنا أبو معاوية[1].

ـ وأمّا متابعة كلّ من 2 ـ أبي أسامة حماد بن أسامة الهاشمي. و 3 ـ جرير ابن عبد الحميد الضبي الرازي. و4 ـ محمد بن بشر بن الفرافصة. و 5 ـ عبد العزيز بن محمد الدراوردي فرواها مسلم في الجامع الصحيح:

2 ـ حدثنا أبو كريب: ثنا أبو أسامة حماد بن أسامة الهاشمي.

3 ـ ح وحدثنا زهير بن حرب: ثنا جرير بن عبد الحميد الضبي الرازي.

4 ـ ح وحدثنا ابن نمير: ثنا محمد بن بشر بن الفرافصة.

5 ـ وحدثنا يحيى بن يحيى بن بكير: أخبرنا عبد العزيز بن محمد الدراوردي[2].

كما أنّ متابعة محمد بن بشر بن الفرافصة رواها أحمد في المسند:

4 ـ حدثنا عبد الله: ثني أبي: ثنا محمد بن الفرافصة[3].

6 ـ أمّا متابعة يحيى بن سعيد بن أبان القرشي الأموي الكوفي فرواها كلّ من:

ـ أحمد في المسند: حدثنا عبد الله: حدثني أبي: حدثنا يحيى بن سعيد الأمويّ[4].

ـ وابن حبّان في صحيحه: أخبرنا أبو يعلى: حدثنا سريج بن يونس: حدثنا يحيى بن سعيد[5].

7 ـ وأمّا متابعة سفيان الثوري فرواها كلّ من:

ـ ابن حبان في صحيحه: أخبرنا الحسن بن محمد بن أبي معشر بحرّان: حدثنا كثير بن عبيد: حدثنا محمد بن حمير عن سفيان الثوري[6].

---

(1) متن فتح الباري 5/2270 حديث عدد 6130.
(2) كتاب.. باب.. 4/1891 حديث عدد 2440.
(3) 6/233.
(4) 6/234.
(5) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان 13/173.
(6) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان 13/175 حديث عدد 5865.

ـ وأبو القاسم سليمان بن محمد الطبراني في المعجم الأوسط: حدثنا أحمد: حدثنا كثير بن عبد الحذاء: حدثنا محمد بن حميد: حدثنا سفيان الثوري[1].

8 ـ أمّا متابعة معمر بن راشد فرواها أحمد في المسند: حدثنا عبد الله: حدثني أبي: حدثنا عبد الرزاق: حدثنا معمر بن راشد[2].

9 ـ وأمّا متابعة عبدة بن سليمان واسمه عبد الرحمن ويلقب عبدة فغلب عليه، فرواها النسائي: أخبرنا محمد بن آدم عن عبدة بن سليمان[3].

10 ـ وأمّا متابعة عمر بن حبيب القاضي فرواها ابن ماجه: حدثنا حفص بن عمرو قال: حدثنا عمر بن حبيب القاضي [4].

11 ـ وأمّا متابعة ابن نمير فرواها أحمد في المسند: حدثنا عبد الله: حدثني أبي: حدثنا ابن نمير[5].

12 ـ وأمّا متابعة علي بن مسهر أبي الحسن الكوفي فرواها أبو بكر البيهقي في السنن الكبرى: أخبرنا علي بن حجر: أخبرنا علي بن مسهر[6].

13 ـ أمّا متابعة جعفر بن سليمان فرواها البيهقي كذلك في السنن الكبرى: أخبرنا محمد بن النضر بن مساور المروزي: أخبرنا جعفر بن سليمان[7].

كلّهم رووا الحديث عن هشام بن عروة به بمعناه أو بلفظ مقارب.

---

(1) 1/384 حديث عدد 669.
(2) 6/166.
(3) الجتبى 6 / 131.
(4) 1/637.
(5) 5/57.
(6) 5/305.
(7) 5/306.

شرح الحديث:

اللّعب: مصدر الفعل الثلاثي المجرّد لَعِبَ ـ بكسر العين ـ يَلْعَبُ ـ بفتح العين ـ لَعِبًا ـ بفتح اللام وكسر العين ـ ولَعْبًا ـ بكسر اللام وفتحها وسكون العين ـ: بمعنى تلهّى، ضد جدّ.

بالبنات: المراد بالبنات هنا اللُّعَبُ، كالعرائس والتماثيل الصغيرة. جاء في روايةٍ أنَّ الرسول ﷺ دخل على عائشة ذات يوم فسألها: " ما هذا يا عائشة ؟ قالت: بناتي. . ورأى ﷺ فرسا مربوطا له جناحان، فقال: ما هذا ؟ قالت: فرس. قال: فرس له جناحان؟! قالت: ألم تسمع أنَّهُ كان لسليمانَ خيل لها أجْنِحَة! فَضَحِكَ " .

الجواري: جَمْعُ جارية، وهي الصَّبِيَّةُ، وسُمَيْت في الأصل بالجارية لخفّتها وكثرة جَرْيِهَا. وجاء في رواية البخاري في الصحيح: "وكان لي صواحبُ يلعبن معي" ، أي من أقرانها.

خرجن: أي غادرن المكان، والخروج ضدّ الدخول. وكان خروجُهُنَّ هَيْبَةً من رسول الله ﷺ وحياءً منه. وفي رواية البخاري: يتقمّعن أي يتغيّبن ويدخُلْنَ وراء الستار.

وإذا خرج دخلن: وفي رواية البخاري: " فَيُسَرِّبُهُنَّ إليّ فيلعبن معي " أي يرسلهن إليّ دون أن أشعُرَ أنَّهُ يفعلُ ذلك.

من فهم الحديث على غير وجهه الصحيح:

إنّ معنى حرف الجرّ **"الباء"** في قول السيّدة عائشة رضي الله عنها: "كنتُ ألعب بالبنات "**للاستعانة إلا أنّ** بعض الشراح ذهب إلى أنَّهُ يفيد **المعيّة والمُصَاحَبَة** أي هو بمعنى **"مع"** ويصبح المعنى: كنت ألعب مع البنات أي الجواري صُوَيْحِبَاتي، وهو فهم ردّه بعض النقاد، قال الحافظ ابن حجر: "ويردّه ما أخرجه ابنُ عيينة في الجامع: "وكنّ جواري يأتين فيلعبن بها معي" . بل وجاء تفسير معنى البنات صريحا في رواية جرير بن حازم عن هشام بن عروة: "كنت ألعب بالبنات وهنّ اللّعب" .

الإسلام توعّد مصوّري ما فيه روح بالنار فكيف تفسّر سَمَاحَةُ باتخاذ تماثيلِ العرائسِ؟

جاء في الحديث الصحيح أنَّ الله حرّم تصويرَ ما فيه روح أو نَقْشَهُ سواءً كان ذلك على الورق أو القُمَاشِ أو المَعْدَنِ أو غيره، كما حرّم نَحْتَ التماثيل والأصنام سواءً كان ذلك من الحجارة أو الخشب أو المعدن أو غيره:

1 ـ جاء في صحيح البخاري قول النبي ﷺ: "من صوّر صورة في الدنيا كُلّفَ يوم القيامة أن ينفُخَ فيها الروحَ وليس بنافخٍ "(1).

2 ـ وروى البخاريُّ في نفس الكتاب، باب من لعن المُصَوِّرَ، بسنده إلى أبي جُحَيْفَةَ السُّوَائِي" أنّ النبيَّ ﷺ نهى عن ثمن الدم، وثمن الكلب، وكَسْبِ الْبَغِيّ، ولَعَنَ آكِلَ الرِّبَا ومُوكِلَهُ، والواشمة والمستوشمة و**المصوّرَ**"(2).

3 ـ كما روى عن عائشة أمّ المؤمنين أنّ النبيّ ﷺ قال: "مِنْ أشدّ الناس عذابا يوم القيامة الذين يُصَوِّرُوَن هذه الصُّوَرَ"(3).

4 ـ وجاء في صحيحي البخاري و مسلم عن سعيد بن أبي الحسن واسمه يسار أخي الحسن البصري مولى زيد بن ثابت قال: جاء رجل إلى ابن عباس فقال: إنّي رجل أصوّر هذه الصورَ فأفتني فيها ؟. . فقال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: "كلُّ مصوّر في النار، يَجْعَلُ له بكلّ صورة صوّرها نَفْسًا فتعذّبه في جهنّم"وقال: "إنْ أَبَيْتَ إلا أن تصنع فعليكَ بهذا الشجرِ، كلّ شيءٍ ليس فيه روح" وفي رواية: "إن كنتَ لا بدّ فاعلا فاصنَعِ الشجَرَ وما لا نفس فيه. "(4).

---

(1) كتاب اللباس ـ باب من صوّر صورة في الدنيا كلّف يوم القيامة أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ ـ متن فتح الباري 10/407 حديث 5963.

(2) كتاب اللباس ـ باب من صوّر صورة في الدنيا كلّف يوم القيامة أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ ـ متن فتح الباري 10/407 حديث 5962.

(3) كتاب الأدب ـ باب ما يجوز من الغضب ـ متن فتح الباري 10/533 حديث رقم 6109.

(4) صحيح البخاري ـ البيوع ـ باب بيع التصاوير التي ليس فيها روح، متن فتح الباري 4/485 ـ 486 حديث رقم 2225. صحيح مسلم اللباس والزينة ـ باب تحريم تصوير صور الحيوان. . 3/1670 حديث رقم2110.

5 ـ كما جاء في نفس الكتاب ونفس الباب من صحيح مسلم حديث لأبي هريرة يرفعه إلى النبي ﷺ: "لا تدخلُ الملائكةُ بيتًا فيه تماثيلُ أو تصاويرُ"(1).

وهي نصوص تمنع صراحةً تصويرَ ما فيه روح أو نقشَهُ أو نَحْتَهُ سواءً كان ذلك باليد أو بالآلة.

إلاّ أنّ عموم المنع والتحريم خُصّ بما فيه مصلحة أو ما كان ذريعةً لحصول مصلحة مثل الذي يتناوَلُهُ حديثنا هذا من اتِّخَاذِ العرائس والدُّمَى للعب البنات، وقد قاسُوا عليه وسائِلَ الإيضاح التعليميّة في المدارس والمخابر ونحوها، وكذلك ما أصبح ضروريًا كالصّور التعريفيّة التي يتوجّبُ وَضْعُهَا على الأوراق الثبوتية كجوازات السفر ورُخَصِ السياقة وبطاقات العلاج والاستشفاء وغيرذلك.

فوائد الحديث:

1 ـ حرّم الإسلام تصويرَ ما فيه روح أو نقشَهُ أو نحتَهُ إلا أنَّ عموم هذا التحريم خصّ بما فيه مصلحة أو ما كان ذريعة لحصول مصلحة فأجاز صنع الصور واللعب والعرائس وبيعَهَا واتّخاذَهَا من أجل لعب البنات الصغيرات بها. كما جوّز اتخاذَ الصور فيما هو ضروريّ كالأوراق الثبوتية.

2 ـ لطف النبي ﷺ وحُسْنُ معاملته للنّاس كبارًا كانوا أو صغارًا. وعنايته بالصغير، فقد كان لا يتبرّم بِلِعْبِ عائشة مع قريناتها، بل فإنّهُ يُسرّبهن إليها ليشاركنها ألعابها، حتى تتسلّى معهنّ.

3 ـ الإسلام لا يعتبر الأعمالَ المنافية للتعاليم الشرعيّة كالتماثيل والأصنام فنّا ولا لونا من ألوان الزينة، ولذلك لا نرى في ساحات البلاد التي تراعي تعاليم الشرع العزيز وفي شوارعها وميادينها وحدائقها التماثيلَ والأصنامَ. كما لا نجد في بيوت المسلمين الأتقياء من الزينة ما يتنافى مع الشريعة(2).

---

(1) 1672/3 حديث رقم 2112.

(2) انظر شرح الحديث في عون المعبود 13/278 ـ فتح الباري 10 / 543 ـ 544.

الحديث العاشر:

بابُ الأمَانَةِ.

قال الإمام البخاريّ رحمه الله تعالى: حدَّثنا أبو نُعَيْمٍ، قال: حدَّثنا سُلَيْمَانُ، عن ثابِتٍ عن أنسٍ: "**خدمتُ رسولَ الله ﷺ يومًا، حتَّى إذا رأيتُ أنّي فَرَغْتُ من خدمته، قلتُ: يَقِيلُ النبيُّ ﷺ! . فخرج مَنْ عِنْدَهُ. فإذا غِلْمَة يَلْعَبُونَ، فَقُمْتُ أنظر إليهم، إلى لَعِبِهِمْ. فجاء النبيُّ ﷺ فانتهى إليهم، فسلّم عليهم. ثم دعاني، فبعثني إلى حاجَةٍ. فكان في فَيْءٍ حتى أتيتُهُ. وأبطأتُ على أمِّي. فقالت: ما حبسك؟ قلتُ: بعثني النبيُّ ﷺ إلى حاجَةٍ. قالت: ما هي؟ قلتُ: إنَّهُ سِرّ للنبيِّ ﷺ. فقالت: اِحْفَظْ على رسول الله ﷺ سرَّهِ. فَمَا حدّثتُ بتلك الحاجة أَحَدًا مِنَ الْخَلْقِ، فلو كنتُ مُحَدِّثًا حَدَّثْتُكَ بِهَا**"[1].

شرح الترجمة:

يقول الإمام البخاري رحمه الله: هذا باب أذكر فيه حديثا أو أكثر، يتناول موضوع الأمانة، ووجوبَ حفظها، وتأكيدَ الإسلام على أداء الأمَانَةِ على وجهها الصحيح.

وقد ترجم رحمه الله لحفظ السرّ هنا بالأمانة، وفي الجامع الصحيح ترجم لحفظ السرّ بقوله: "بابُ حِفْظِ السِّرّ" فالسرّ أمانة والأمانةُ ضِدّ الخيانة وهي ما يؤتمن عليه من مال ونحوه كالسّر، فعلى المؤتَمَنِ عليه أن يحفظه كما تُحْفَظُ الأماناتُ، فَالْبَوْحُ بالسِّرِّ كالتفريط في الأمانة وكلُّها تُعَدُّ من الخيانات التي تَشِينُ صاحِبَهَا.

أمّا الأمانَةُ الواردةُ في قول النبيِّ ﷺ: " إنَّ الأمانةَ نَزَلَتْ فِي جِذْرِ قُلُوبِ الرجال" ، فالمُرَادُ بهَا " التكليف " ، وهو المراد من قوله تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [33 الأحزاب 72].

---

(1) الأدب المفرد ـ 507 حديث عدد 1154.

المعنى الإجمالي للحديث:

يتناولُ الحديثُ بالبيان نجابةَ سيِّدِنَا أَنَسٍ رضي الله عنه، وحُبَّهُ الرسولَ ﷺ، وأمانته وحفاظه على أسرار النبيّ ﷺ وخصوصيّاته، كما يتحدّثُ عن أدب السيّدة أمّ سُلَيْمٍ والِدَةِ أَنَسٍ، وحُبّهَا الرسولَ عليه الصلاة والسلام وحِرْصِهَا على تأديب ابنها وتشجيعه على الحفاظ على الأمانة.

الترجمة بإيجاز لرجال السند:

1 ـ (ع) **أبو نُعَيْمٍ: الفَضْلُ بْنُ دُكَيْنٍ واسم دُكَيْنٍ: عَمْرُو بْنُ حمّادٍ بْنِ زُهَيْرٍ، المَلَائِيُّ الكوفيُّ التيميّ مولاهم، مولى آل طلحة بن عبيد الله:** [ولد سنة 130 ـ وتوفي في آخر يوم من شعبان سنة 219 هـ]:

روى عن الأعمش سليمان بن مهران، و مِسْعَرِ بْنِ كِدَامٍ أبي سَلَمَةَ الهلالي، وسفيان الثوري، وشيبان بن عبد الرحمان أبي معاوية النحويِّ، ومالك بن أنس، وسفيان بن عيينة، وهشام الدُّسْتُوَائِيّ، وزكرياء بن أبي زائدة، وغيرهم..

روى عنه البخاري وأحمد بن حنبل، وإبراهيم بن إسحاق الحربي، وغيرهم..

شارك سفيان الثوري في الرواية عن ثَلَاثَةَ عشَرَ ومائَةِ شَيْخٍ من شيوخه. قال عنه يعقوبُ بْنُ شَيْبَةَ: ثقة صدوق، أجمع العلماءُ على إتقانه وثقته، فهو حُجّة. وقال أبو حاتم الرازي عنه: ثِقَة، وكان حافظا متقنا. وسئل أبو زرعة الرازي عنه وعن قَبِيصَةَ بْنِ عُقْبَةَ السُّوَائِيِّ؟ فقال: أبو نعيم أتقن الرجلين(1).

2 ـ **سليمان بن مهران الأعمش:** تقدّمت ترجمته قي الحديث السابع.

3 ـ **ثابت بن أسلم أبو محمد البُنَانِيُّ البصريّ:** تقدّمت ترجمته في الحديث الثالث

4 ـ **أنس بن مالك:** تقدّمت ترجمتُهُ في الحديث الثالث.

---

(1) التعديل والتجريح 3/1047عدد 1222ـ تهذيب التهذيب8/270عدد 504.

شرح الحديث:

فَرَغْتُ من خدمته: أي أنهيتُ خدمة النبيِّ ﷺ وأتْمَمْتُهَا بأداء ما طلبه منِّي من أعمال وخدمات.

يقيل النبيُّ: ينام في القيلولة، أو يغفو في القيلولة. مِنْ " قال يقيل فهو قائل"، ومنه" القائلة"، والاسم المقيل، أي الموضع الذي يقيل فيه. ونادى أنس: "**يقيل** النبي ﷺ " ليخرج من كان عند النبي ﷺ من الزوّار، حتى يأخذ النبيّ قسطا من الراحة.

غِلْمَة: وغِلْمَان جمع غلام، ويُصَغَّرُ على غُلَيْمٍ، ويُجمع على أُغَيْلِمَةٍ وهم الأطفال.

فسلّم عليهم: من حُسن أخلاق النبيِّ ﷺ أنَّهُ بدأ الأطفالَ بالسلام، ليعلِّمَهُمُ الأدبَ وحسن السلوك بالقدوةِ، حتى ينشؤوا على مكارم الأخلاق.

ثم دعاني فبعثني إلى حاجة: وفي رواية " فبعثني في حاجة " وفي أخرى " فأرسلني في رسالة " وفي الصحيح للبخاري: " فأسرّ إليّ النبيُّ ﷺ سرّا "، نقول أسررت إلى فلان حديثا أيْ أفضيتُ إليه به خُفْيَةً، والسرّ هو الحديث المكتّم في النفس، وسارّه: إذا أوصاه بأن يسرّه. وتسارّ القومُ تكاتموا السرّ.

فِي فَيْءٍ: في ظلٍّ، ونقول تـفيّأ الشجرةَ أي استظلَّ بها. والفيْءُ جمع أفياءٍ وفُيُوءٍ وهوما كان شمسا فيزيله الظلُّ وينسخُهُ.

وأبطأتُ على أمّي: نقول: بَطُؤَ يَبْطُؤُ بُطْءًا وبِطَاءً وبُطُوءًا، وأَبْطَأَ: ضدّ أَسْرَعَ، أي تأخّرتُ عليها.

فقالت: ما حَبَسَكَ ؟: أي ما الذي منعك من الوصول في موعدك.

قالت: ماهي؟: وفي رواية فسألتني أمُّ سُلَيْمٍ: ما حاجته ؟

اِحْفَظْ على رسول الله ﷺ سِرَّهُ: وفي رواية: لا تُخْبِرْ بسرّ رسول الله ﷺ أحدا.

حدثتك بها: وفي رواية: والله لو حدّثتُ أَحَدًا لحدّثتك يا ثابتُ. فضمير الخطاب "ك" يعود على ثابت بن أسلم البناني. أمّا " الهاء" في "بها" فيعود على الحاجة.

ـ ما هذه الحاجة ؟ وإذا كان هذا السرّ من العلم هل يجوز كتمانه ؟

ـ قال بعض العلماء جوابا عن هذا السؤال: " كأنَّ هذا السِّرَّ يختصّ بنساء النبيِّ ﷺ، وإلا فلو كان من العلم ما وَسِعَ أَنَسًا أن يكتمه "، ذلك أنّ النبيّ ﷺ حذّر من كتم العلم فقال: " من كتم علما ألجمه الله بلجام من النار " .

ـ ما حكم إذاعة السرّ بعد وفاة صاحب السرّ ؟

ـ قال ابنُ بَطَّالٍ: " الذي عليه أهل العلم أن السرّ لا يباح به إذا كان على صاحبه منه مَضَرّة، وأكثرُهم يقول: إنَّهُ إذا مات لا يلزم من كتمانه ما كان يلزم في حياته إلا أن يكون عليه فيه غضاضة " .

وقال ابن حجر: " الذي يظهر انقسامُ ذلك بعد الموت:

1 ـ **إلى ما يباح**، وقد يستحبّ ذكرُهُ، ولو كرهه صاحبُ السرّ، كأن يكون فيه تزكية له من كرامة أو من منقبة أو نحو ذلك.

2 ـ **وإلى ما يُكْرَهُ مطلقا**، وقد يحرم، وهو الذي أشار إليه ابن بطال.

3 ـ **وقد يجب ذكرُ السرّ** إذا كان فيه ما يجب ذكره كحقٍّ عليه، كان يُعْذَرُ بترك القيام به في حياته، فَيُرْجَى بعده إذا ذكر لمن يقوم به عنه، أن يفعل ذلك " .

ـ جملة من الأحاديث النبويّة تدعو إلى حفظ السِّرِّ ؟

ـ من الأحاديث الواردة في حفظ السرّ:

1 ـ حديث أنس رضي الله عنه: " احفظ سرّي تكن مؤمنا " .

2 ـ وحديث: "إنّما يتجالس المتجالسان بالأمانة، فلا يَحِلّ لأحد أن يفشي على صاحبه ما يكره " .

3 ـ وحديث عليّ مرفوعا: " المجالس بالأمانة " .

4 ـ وحديث جابر مرفوعا: " المجالس بالأمانة إلا ثلاثة مجالس:

ـ ما سفك فيه دم حرام. ـ أو انتهك فيه فرج حرام ـ أو اقتطع فيه مال بغير حقّ " .

5 ـ وحديث جابر يرفعه: " إذا حدّث الرجل بالحديث ثم التفت فهي أمانة " .

تخريج الحديث:

1 ـ تابع حمادُ بْنُ زَيْدِ بْنِ دِرْهَمٍ، سليمانَ الأعمش في رواية الحديث عن ثابت بن أسلم البنانيِّ به دون ذكر الجزء الأوّل الذي يتحدّث فيه أنس عن خدمته رسولَ الله ﷺ. رواها مسلم في الصحيح قال: حدّثنا أبو بكر بن نافع: حدّثنا بَهْز: حدّثنا حمّاد: أخبرنا ثابت به[1].

2 ـ وتابع سليمانُ بْنُ طَرْخَانَ التيمِيُّ ثابتا البنانيَّ في رواية الحديث عن أنسٍ مكتفيا بالقسم الذي يتحدّث فيه عن حاجة رسول الله ﷺ وسرّه، رواها البخاري في الصحيح قال: حدّثنا عبد الله بن الصبّاح: حدّثنا معتمر بن سليمان قال: سمعت أبي قال: سمعت أنس بن مالك به[2].

فوائد الحديث:

1 ـ أدب الرسول ﷺ الرفيع، ورحمَتُهُ بالأطفال، وسعيه لتأديبهم بالأسوة الحسنة والقدوة العالية لا بالتنظير وحده، حيث بدأهم بالسلام.

2 ـ أمانةُ أنسٍ وتَعَلّقُهُ برسول الله ﷺ.

3 ـ أمّ سُلَيْمٍ أمّ بارّة عاقلة حَصِيفَة، شجّعتْ ابنها على حفظ سرّ رسول الله ﷺ، وهي تحبّ رسولَ الله وتعمل على خدمته وحفظ خصوصيّاته.

4 ـ السرّ أمانة لا يجوزُ البَوْحُ بِهِ إلا لأسباب شرعيّة، أو يكون متعلّقا بمسألة علميّة، فقد حذّر الرسولُ من كتم العلم فقال: "من كتم علما ألجمه الله يوم القيامة بلجام من النار".

* * *

(1) كتاب فضائل الصحابة ـ باب من فضائل أنس بن مالك 4/1929 حديث عدد 2482.

(2) كتاب الاستئذان ـ باب حفظ السرّ متن فتح الباري 11/84 حديث عدد 6289.

الحديث الحادي عشر:

قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: حدَّثنا عبدُ الله: حَدَّثَنِي أبي: ثنا حَجَّاج: حدَّثنا لَيْث: حدثني سعيدُ بْنُ أَبِي سَعِيدٍ، عن شَرِيكِ بْنِ عبد الله بْنِ أَبِي نَمِرٍ أنه سمع أنسَ بْنَ مالكٍ رضي الله عنه يقول: **" بينما نحن مع رسول الله ﷺ جلوسا في المسجد، دخل رجل على جَمَلٍ فأناخَهُ في المسجد، فَعَقَلَهُ ثم قال: أيّكم محمّد رسولُ الله ﷺ ؟ - ورسولُ الله ﷺ مُتَكِىء بين ظَهْرَانَيْهِمْ - قال: فقلنا هذا الرجلُ الأبيضُ الْمُتَكِىءُ. فقال الرجلُ: يا ابنَ عَبْدِ المُطَّلِبِ، فقال له رسولُ الله ﷺ: " قد أجبتك " فقال الرجلُ: إنِّي يا محمّدُ سائِلُكَ فَمُشَدّد عليك في المسألةِ فلا تَجِدْ عَلَيّ في نفسِكَ. فقال: " سَلْ مَا بَدَا لَكَ " ! فقال الرجلُ: نَشَدْتُكَ بِرَبِّكَ وربِّ من كان قبلك آلله أرسلك إلى الناسِ كُلِّهِمْ؟ فقال رسولُ الله ﷺ: "اللهمَّ نَعَمْ ". قال: فَأَنْشُدُكَ الله آلله أمرك أنْ تصلّي الصلواتِ الخَمْسَ في اليوم والليلةِ؟ قال: "اللهم نعم" قال: فَأَنْشُدُكَ الله آلله أمرك أن تَصُومَ هذا الشهرَ مِنَ السَّنَةِ ؟ قال رسولُ الله ﷺ: "اللهمَّ نَعَمْ" . قال: أنشدك الله آلله أمرك أن تأخُذَ هذه الصَّدَقَةَ مِنْ أَغْنِيَائِنَا فَتَقْسِمَهَا على فقرائنا ؟قال رسولُ الله ﷺ: "اللهم نعم" .**

قال الرجلُ: آمنتُ بما جئتَ به، وأنا رسولُ مَنْ وَرَائِي مِنْ قَوْمِي. قال: وَأَنَا ضِمَامُ بْنُ ثَعْلَبَةَ أَخُو بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ[1].

المعنى العام للحديث:

يبيّن الحديث ما كان يَحْرِصُ عليه بعضُ العرب ممّن شرح الله صدورَهُمْ للإسلام من الرحلة في طلبِ العلمِ وأَخْذِ الإسلام منْ وِرْدِهِ الطَّهُورِ، فهذا ضِمَامُ بْنُ ثعلبةَ جاء النبيّ ﷺ ليتثبّتَ من صدق رسولِ رسولِ الله عليه الصلاة والسلام إليهم فيما أخبر به عن الإسلام، حتى إذا ما وثّق له الرسولُ ﷺ ما عنده من العلم أعلن إيمانَهُ بالرسول ﷺ وبما جاء به من قواعد الإسلام. والحديث ولئن صوّرَ بَدَاوَةَ ضِمَامٍ وما اتّسم به من جَفَاءِ الأعرابِ، إلا أنّه صَوّرَ وَفْرَةَ عَقْلِهِ كذلك، حيث قدّم

(1) مسند أحمد بن حنبل 3/168.

الاعتذارَ بين يدي مسألته لظنهِ أنّه لا يصِلُ إلى مقصوده إلا بتلك المُخَاطَبَةِ. وممّا يدلّ على حُسْنِ تصرّفه قَسَمُهُ على النبيِّ ﷺ أن يَصْدُقَهُ عمّا يسأل عنه وكرّر القَسَمَ في كلّ مسألة تأكيدًا وتقريرًا للأمر، ثم أخيرا صرّح بالتصديق. وقد وصف عُمَرُ عَقْلَ ضمام وحُسْنَ تصرّفه بقوله: "ما رأيتُ أحدا أحسنَ مسألةً ولا أَوْجَزَ مِنْ ضِمَامٍ".

تخريج الحديث:

المتابعات: تابع كلّ من: 1 ـ عبد الله بن يوسف التِّنِيسِي و 2 ـ عيسى بن حمّاد المصريّ الحجّاجَ بْنَ مِنْهَالٍ البُرْسَانِيَّ في رواية الحديث عن الليثِ بْنِ سَعْدٍ به بلفظه تقريبا، كما تابع 3 ـ ثابتُ بْنُ أسلم البُنَانِيُّ شَرِيكَ بْنَ عبد الله بن أبي نَمِرٍ في رواية الحديث عن أنس بن مالك به بلفظه تقريبا أيضا:

1 ـ أمّا متابعة عبد الله بن يوسف التنيسي فرواها البخاريُّ في جامعه الصحيح قال: حدثنا عبد الله بن يوسف: حدثنا الليث به(1).

2 ـ وأمّا متابعة عيسى بن حماد المصري فرواها:

أ ـ النسائيُّ في سننه قال: أخبرني عيسى بنُ حمادٍ عن الليثِ به(2).

ب ـ وابنُ ماجَهْ في سننه قال: حدثنا عيسى بْنُ حمادٍ قال: أنبأنا الليثُ به(3).

3 ـ وأمّا متابعة ثابت البناني فرواها الدارميُّ في سننه: قال: أخبرنا عليُّ بْنُ عَبْدِ الحميد، عن سليمانَ بْنِ المغيرةَ عن ثابتِ البُنَانِيِّ عن شَرِيكِ بْنِ عبد الله به(4).

الشواهد: وللحديث شاهد من حديث أبي هريرة رواه النسائيّ في سننه(5).

---

(1) العلم ـ باب ما جاء في العلم ـ متن فتح الباري 1/179، الحديث رقم 179.
(2) الصيام ـ باب وجوب الصيام 4/122، الحديث رقم 2090.
(3) كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ـ باب ما جاء في فرض الصلوات الخمس والمحافظة عليها 1/449 الحديث رقم 1402.
(4) كتاب الوضوء ـ باب فرض الوضوء والصلاة 1/130 حديث رقم 656.
(5) كتاب الصيام ـ باب وجوب الصيام 4/122 حديث رقم 2092.

الترجمة بإيجاز لرجال السند:

1 ـ عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل، أبو عبد الرحمان: [213 ـ 290 هـ]

الإمام الحافظ الحجّة ابن إمام العلماء أبي عبد الله أحمد بن حنبل.

سمع من أبيه فأكثر، ومن يحيى بن عَبْدَوَيْهِ صاحبِ شعبةَ، والهيثم بن خارِجَةَ، ومحمد بن أبي بكر المُقَدَّمِيِّ، وشَيْبَانَ بْنِ فَرُّوخٍ وطبقتهم. وكان والده الإمام أحمد قد منعه من السماع من الحافظ الثبت عليّ بن الجعد [134 ـ 230هـ] رغم علمه ونُبْلِهِ وعبادته حتّى أنّه مكث ستين سنة يصوم يوما ويفطر يوما، لِمَا شابته من مِسْحَةِ ابتداعٍ، إذ نال من بعض الصحابة وكان يقولُ: من قال: القرآن مخلوق لم أعنّفه. ولعلّ هذا السبب هو الذي حمل الإمامَ مسلمًا على عدم التخريج له كذلك في جامعه الصحيح.

وحدّث عنه النسائيُّ وابْنُ صاعدٍ، وأبو بكر النَّجَّادُ، ودَعْلَج، وأبو عليٍّ بن الصواف، وأبو بكر الشافعيّ، وأبو بكر القَطِيعِيُّ وغيرُهُمْ.

قال الخطيب البغدادي: "كان ثقة ثبتا فَهِمًا". وقال أحمد بن المنادي في تاريخه: "لم يكن أحد أروى في الدنيا عن أبيه من عبد الله بن أحمد لأنّهُ سمع منه المسندَ وهو ثلاثون ألفا، والتفسيرَ وهو مائة وعشرون ألفا سمع ثلثيه والباقي وِجَادَةً، وسمع منه التاريخَ والناسخَ والمنسوخَ، وحديثَ شعبة، والمقدّم والمؤخّر من كتاب الله، وجواباتِ القرآن، والمناسكَ الكبيرَ، وغيرَهَا. وكان أكابرُ الشيوخ يشهدون لعبد الله بمعرفة الرجال، وعلل الحديث، والأسماء، مع المواظبة على الطلب. وكان والده يشهَدُ له كذلك بالتقدّم في العلم حتى قال لعبّاس الدوري: "يا عبّاس! قد وعى عبد الله علما كثيرا". توفّي في سنّ أبيه عن سبعٍ وسبعين سنة في شهر جمادى الآخرة سنة 290 هـ وكانت جنازته مشهودة[1].

2 ـ أبي: أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الذهلي، أبوعبد الله المروزي

(1) تذكرة الحفاظ 2/665 عدد الترجمة 685.

ثم البغدادي: [ولد سنة 164 ـ وتُوُفِّيَ إلى رضوان الله تعالى يوم الجمعة ثاني عشر ربيع الأول سنة241هـ عن 77 سنة]:

شيخ الإسلام وسيّد المسلمين في عصره الحافظ الحجّة، كان أبوه جنديّا من أبناء الدعوة، توفّي شابّا، فنشأ في حضن أمّه يتيما.

سمع هُشَيْمَ بْنَ أبي حازم وإبراهيمَ بن سعدٍ، وسفيان بن عيينة، وعَبَّادَ بْنَ عَبَّادٍ، ويحيى بن أبي زائدة وطبقتهم.

وروى عنه البخاري ومسلم وأبوداود وأبو زرعة، ومُطَيّن، وابنه عبد الله وأبو القاسم البَغَوِيُّ وخلق كثير.

قال إبراهيم الحَرْبِيُّ: رأيت أحمد، وكأنّ الله قد جمع له علم الأوّلين والآخرين. قال الشافعي: خرجت من بغداد فما خلّفتُ فيها رجلا أفضل ولا أعلم، ولا أفقه من أحمد بن حنبل. وقال عليّ بن المديني: إنَّ الله أيّد هذا الدين بأبي بكر يوم الردّة وبأحمد يوم المحنة. وقال أبو همّام السّكوني: ما رأى أحمدُ مِثْلَ نفسه.

قال الذهبيُّ: سيرة أبي عبد الله قد أفردها البيهقيُّ في مجلّد، وأفردها ابن الجوزي في مجلّد، وأفردها شيخ الإسلام الأنصاريّ في مجلّد لطيف(1).

3 ـ (ع) **حَجّاجُ بْنُ مِنْهَالٍ أبو محمد الأنماطيّ البُرْسَانِيُّ أخو محمد بن منهال**: [توفي في شوال 217 هـ]:

روى عن شعبة، وسفيان بن عيينة وقُرّةَ بْنِ خالدٍ، ويزيدَ بْنِ إبراهيم، وهمّام ابن مُنَبِّهٍ، وعبد العزيز بن المَاجِشُونَ وطائفة.

وروى عنه البخاريّ وأحمد بن حنبل وأحمد بن الفُرَاتِ والدارِميّ وإسماعيل القاضي وأبو مسلم الكجّي وخلق.

كان رحمه الله صاحب سنّة يظهرها. قال عنه أبو حاتم الرازي: ثقة فاضل.

(1) التعديل والتجريح 1/320 عدد الترجمة 10 ـ تذكرة الحفاظ 2/431 عدد 438ـ تهذيب التهذيب 1/72 عدد 126.

وقال أحمد بن عبد الله العجلي: ثقة، رجل صالح، وكان سمسارا يأخذ عن كلّ دينار حبّة(1).

4 ـ (ع) **اللَّيثُ بن سعدِ بْنِ عبد الرحمن بْنِ عُقْبَةَ، أبو الحارث، مولى الوليد بن رِفَاعَةَ الفَهْمِيُّ، ولذلك نسب إليه ولاءً فقيل " الفهميُّ "، الإصفهاني الأصل المصريّ: [94 ـ 175 هـ]**

روى عن الزهريّ، وكان قد لقيه بمكّة سنة 125 هـ وهو ابن 29 سنة. كما روى عن نافع مولى ابن عمر، ويحيى بن سعيد الأنصاريِّ، ويزيد بن أبي حبيب، وسعيد بن أبي سعيد المَقْبُرِيِّ وعقيل بن خالد وغيرهم.

وروى عنه قتيبة بن سعيد وعبد الله بن المبارك وعبد الله بن يوسف التّنيسي، ويحيى بن يحيى بن بُكَيْرٍ، وسعيد بن شرحبيل وغيرهم.

والليث هو الإمام الحافظ شيخ الديار المصرية، وثّقه يحيى بن معين والعجليّ وقال عنه أبو زرعة: هو ثقة يحتجّ بحديثه(2).

5 ـ **سعيد بن أبي سعيد واسمه كيسان أبو سعيد المَقْبُرِيّ الليثي، مولاهم المدنيّ:** [توفي سنة 123 هـ في أواخر خلافة هشام بن عبد الملك بن مروان (105 ـ 125) الخليفة الأمويّ العاشر]:

روى عن أبي هريرة وسمع منه الكثير، كما سمع من أبيه عن أبي هريرة، وهذا دالّ على تثبّت سعيد وتحرّيه، وروى عن أبي شُرَيْحٍ الْكَعْبِيِّ، وأبي سلمة ابن عبد الرحمن، وشَرِيكِ بْنِ أبي نَمِرٍ وغيرهم.

روى عنه: مالك بن أنس، والليث بن سعد، وعبيد الله بن عمر بن حفص ابن عاصم بن عمر بن الخطاب، وابن أبي ذئب، وعمرو بن أبي عمرو ميسرة المخزومي وغيرهم.

---

(1) التعديل والتجريح 2/519 عدد 278 ـ تاريخ الثقات للعجلي 109 عدد 255 ـ تذكرة الحفاظ 1/403 عدد 405 ـ تهذيب التهذيب 2/206 عدد 383.

(2) التعديل والتجريح للباجي 2/615 عدد 448 ـ تهذيب التهذيب 8/459 عدد 832 ـ تاريخ الثقات للعجلي 399 عدد 1430.

قال عنه أبو حاتم محمد بن إدريس الرازي: ثقة صدوق. وقال أحمد: ليس به بأس. ووثّقه ابن المديني وابن سعد، والعجلي، وأبوزرعة والنسائي. وقال ابن خراش: ثقة جليل أثبت الناس فيه الليث بن سعد. يقال إنَّهُ اختلط قبل وفاته بأربع سنين(1).

6 ـ (خ، م، د، س، ق، تم:[أي الترمذي في الشمائل]) **شَرِيكُ بْنُ عبد الله بن أبي نَمِرٍ أبو عبد الله المدنيّ القرشيّ** وقال الواقدي: الليثي وقال غيره: الكناني. جدّه أبو نمر شهد أحدا مع المشركين ثم هداه الله إلى الإسلام بعد ذلك: [ت 144 هـ].

روى عن أنس بن مالك، وعطاء بن يسار، وسعيد بن المسيب، وكُرَيْبِ بْنِ أبي مسلم أبي رُشْدِين مولى عبد الله بن عباس وغيرهم.

روى عنه سعيد المقبري، ومالك بن أنس، وسليمان بن بلال، ومحمد بن أبي جعفر بن أبي كثير وغيرهم.

قال عنه ابن معين والنسائي: ليس به بأس. وقال ابن سعد: كان ثقة كثير الحديث. وقال أبو داود: ثقة. وقال العجليّ: تابعيّ ثقة(2).

7 ـ **أنس بن مالك**: تقدمت ترجمته في الحديث الثالث.

شرح الحديث:

في المسجد: "الـ" للعهد، أي مسجد رسول الله ﷺ المعروف، المعهود.

دخل: وفي رواية: "إذ دخل" و"إذ" حرف يفيد الفجاءة، إذا وقع بعد بينما أو بينا، ويصحّ أن تعرب" إذ " زائدة.

---

(1) التعديل والتجريح 3/1079 عدد 1269 ـ تهذيب التهذيب 4/38 عدد 616 ـ تاريخ الثقات للعجلي 184 عدد 545 ـ تاريخ أسماء الثقات ممّن نقل عنه العلم لابن شاهين 145 عدد 427.

(2) التعديل والتجريح للباجي3/1163 عدد 1392 ـ تهذيب التهذيب 4/337 عدد 578 ـ ثقات العجلي 217 عدد 663.

فأناخه في المسجد: **أناخ الجملَ** أو البعير إناخة أي أبركه فبرك. واستنبط ابن بطال وغيرُه من إناخة البعير في المسجد: طهارة أبوال الإبل وأرواثها، إذ لا يؤمَنُ ذلك من البعير مدّة مكوث ضمام بالمسجد، ولم ينكره النبي ﷺ. لكن تدفع هذه الرواية رواية أبي نعيم الإصفهاني: "أقبل على بعير له حتى أتى المسجد فأناخه، ثم عقله، فدخل المسجد". فهذا السياق يدلُّ على أنَّهُ ما دخل المسجدَ. وأصرحُ منه رواية ابن عباس عند أحمد، والحاكم، ولفظها: " فأناخ بعيره على باب المسجد فعقله ثم دخل". ففي قوله: "**فأناخه في المسجد**" مجاز محذوف تقديره: فأناخه في ساحة المسجد، أو نحو ذلك.

فعقله: شدّ حبلا على ساق البعير بعد أن ثنى ركبته.

ورسول الله ﷺ متكىء بين ظهرانيهم: واتكاء الرسول عليه الصلاة والسلام بين صحابته دليل على تواضُعِهِ. وعبارة **ظهرانيهم تعني بينهم**، فالرسول ﷺ محفوف بصحابته من كلِّ الجوانب. و **الألف والنون في** ظهرانيهم للتأكيد.

الأبيض: أي أبيض مُشْرَب بحُمْرَةٍ، فلم يكن النبيُّ ﷺ أبيضَ أَمْهَقَ ولا آدم، وإنَّما كان أزهر اللون.

ابْنَ عبد المطلب: ابن منادى مضاف منصوب. وقد نسبه إلى جدّه وهذا جائز إذا كان الجدّ أشهر من الأب، حيث مات والدُ الرسول شابًّا ورسول الله ﷺ ما يزال في بطن أمّه.

قد أجبتُكَ: أي سمعتك، وقيل: إنّما لم يقل له النبي ﷺ: نعم ! لأنَّهُ لم يخاطبه بما يليق بمنزلته من التعظيم لاسيما وقد قال الله تعالى: "لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا" ـ 24 النور 63 ـ ويعذر، إذا قدم مسلما، أنَّهُ لم يبلغه النهيُ، وكانت فيه بَقِيَّة من جفاءِ الأعرابِ. وقد ظهر جفاؤه في قوله: "فمشدّد عليك في المسألة" وفي قوله: "وزعم رسولُكَ أنك تَزْعُمُ ".

فلا تَجِدْ: أي لا تغضب. من الفعل وجد بفتح الجيم يجد بكسرها وجدا وجدة وموجدة ووجدانا عليه: غضب.

نشدتك بربك: من نشد بفتح الشين ينشُد بضمها في المضارع، أي رفع صوته. والمعنى سألتك بربّك رافعا نشيدتي أي صوتي، ومنه النشد وهو رفع الصوت، هذا هو الأصل ثم استعمل في كلِّ مطلوب مؤكّد ولو لم يكن هناك رفعُ صَوْتٍ.

آ لله: الهمزة الأولى "أ" همزة اِستفهام، أدغمت في همزة الوصل "الله" فأصبحت آلله؟ بمعنى: هل الله هو الذي أرسلك للعالمين؟

اللهم نعم: الجواب حصل بنعم، وإنّما ذكر اللهم تبرُّكا بها، وكأنه استشهد بالله في ذلك تأكيدا لصدقه.

أن تُصَلِّيَ: بتاء الخطاب، وفي رواية: أن نصلّي بنون المتكلِّمين، وفي رواية: "إنَّ علينا خمسَ صلواتٍ في يومنا وليلتنا".

هذه الصَّدَقَة: المراد بها الزكاة، لأنَّ الصدقةَ تشمُلُ الفَرْضَ والنفل معًا.

فتَقْسِمَهَا على فقرائنا: لفظ الفقراء خرج مخرج الأغلب لأنَهُمْ معظمُ أهل الصدقة، وإلا فمخارج الزكاة حدّدتها الآية الكريمة: ﴿ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴾ [9 التوبة 60].

آمنتُ بما جئتَ به: يحتمل أن تكون هذه الجملة إخبارا، ويحتمل أن تكون إنشاء.

والمعلوم أن **الخبر** عند أهل البلاغة " ما يصحّ أن يقال لقائله إنّه صادق أَوْ كاذب بحسب مطابقته للواقع كقول أبي إسحاق الغُزّيِّ: "لولا المتنبّي ما ذاعت شهرة سيف الدولة الحَمْدَانيّ " فهذا القول يحتمل صدق الغزّيّ كما يحتمل كذبهُ. أمّا **الإنشاء** عندهم فهو " ما لا يصحّ أن يقال لقائله إنّه صادق فيه أو كاذب كقول عبدالله بن عبّاس رضي الله عنه: "لا تتكلّمْ بما لا يعنيك، ودع الكلام في الكثير ممّا يعنيك حتّى تجد له موضعا." فهذه النصيحةُ لا يصحّ أن يقال عن قائلها إنّه صادق أو كاذب.

والمراد بالخبر في حديثنا هو إعلام ضمامِ الرسولَ بأنه كان مؤمنا قبل

مجيئه إليه، والإنشاء هو إبداء إيمانه وإنشائه لأوّل مرّة بعدما سمع ما سمع من النبيّ ﷺ فاقتنع وآمن:

1 ـ **فالذي يذهب إلى كونها إخبارا:** يرى أنَّ ضِمَامًا أخبر الرسول ﷺ بأنه مؤمن، وأنّه حضر بعد إسلامه مستثبتا من الرسول ﷺ ممّا أخبرهم به رسولُهُ عليه الصلاة والسلام إليهم. إذ قد جاء في روايات أخرى: " فإنّ رسولك زعم ! "و" أتتنا كتبك وأتتنا رسلك ".

ويميل ابن حجر إلى أنّ جملة " آمنتُ بما جئتَ به " هي إخبار، لأن ضماما لم يسأل عن دليل التوحيد ؟ وإنّمَا سأل عن عموم الرسالة وعن شرائع الإسلام، ولو كان الأمرُ إنشاءَ لطلب معجزةً، توجب له التصديقَ.

2 ـ **والذي يذهب إلى أنّهَا إنشاء:** يرى أنَّ ضماما إنّما آمن بعد أن استمع جوابَ الرسول عن حقائق الإسلام، ولم يكن قبل ذلك قد آمن، ورجّح هذا الرأي القرطبيُّ بدليل قول ضمام في بعض الروايات الأخرى: "زعم " والزعم القول الذي لا يوثق به. ! وقد عارض ابنُ حجر هذا التعليلَ قائلا: " وفيه نظر ! لأن الزعم يُطلق على القول المحقّق أيضا. . وقد أكثر سيبويه من قوله: " زعم الخليل" في مقام الاحتجاج. "

وأنا رسولُ من ورائي: "من" اسم موصول، فهو رسول قومه إلى الرسول ﷺ.

أخو بني سَعد بن بكر: جاء في حديث ابن عباس عند الطبراني: " جاء رجل من بني سعد بن بكر إلى رسول الله ﷺ ـ وكان الرسولُ عليه الصلاة والسلام مسترضعا فيهم ـ فقال: "أنا وافد قومي ورسولُهُمْ " . كما روى أحمد والحاكم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: " بعثت بنو سعد بن بكر ضمامَ بْنَ ثعلبةَ وافدا إلى رسول الله ﷺ فقدم علينا " .

وقد استنبط بعضُ العلماء من قول ابن عباس: " فقدم علينا " تأخّر وفادة ضمام لأنَّ ابن عباس إنّما قدم المدينة بعد الفتح.

فوائد الحديث:

1 ـ حرص القبائل العربية على إرسال وفودها للتثبُّتِ من صحّة الرسالة وصدقها، ولمزيد العلم بالدين الجديد عقيدةً وشريعةً وآدابًا وأخلاقا وسلوكا.

2 ـ الرسول ﷺ يستقبل تلك الوفودَ ويُحسن إليها ويعلّمها ويجيب عن أسئلتها.

3 ـ العمل بخبر الواحد، فضمام بعثته قبيلته واحدا، ورجع إليها بمفرده وأخبرها فصدّقته وآمنتْ بما أخبرها به من صدق الرسالة، والرسول ﷺ مقرّ لكلٍّ ذلك.

4 ـ جواز نسبة الشخص إلى جدّه إذا كان أشهرَ من أبيه، وقد قال النبي ﷺ: أنا ابن عبد المطلب أنا النبيّ لا كذب.

5 ـ جواز الاستحلاف على الأمر المحقّق لزيادة التأكد.

6 ـ تواضع النبيّ عليه الصلاة والسلام وحسن معاملته صَحَابَتَهُ.

7 ـ رجاحةُ عقل ضمام وحسن تصرّفه ودقّة أسئلته التي وجّهها للرّسول ﷺ.

* * *

الحديث الثاني عشر:

كتابُ الْمَلاحِمِ

بَابُ مَا يُذْكَرُ فِي قَرْنِ الْمِائَةِ

قال أبو داود رحمه الله تعالى: حدَّثنا سليمانُ بْنُ داودَ المهْرِيُّ: أخبرنا ابنُ وَهْبٍ: أخبرني سعيدُ بْنُ أَبِي أَيُّوبَ عن شراحيلَ بْنِ يَزِيدَ المُعَافِرِيِّ عن أبي عَلْقَمَةَ **عن أبي هريرة ـ فيما أعلم ـ عن رسولِ الله ﷺ قال: " إنّ الله يبعثُ لهذه الأمّة على رأسِ كُلّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّد لها دِينَهَا "**.

قال أبو داود: [رواه] عبد الرحمن بن شُرَيْحٍ الإسكندرانيُّ لم يَجُزْ به شَرَاحِيلَ.(1)

(1) أبو داود ـ السنن ـ أول كتاب الملاحم 4/480 حديث عدد 4291. وانظر شرح الحديث في=

كتاب الملاحم:

يقول أبو داود هذا كتاب سأذكر فيه جملةً من الأبواب التي تتناول قضايا تتعلّق بالمستقبل وما سيقع فيه من أحداث جسام ووقائع مؤثّرة في حياة البشريّة، ممّا تنبّأ بوقوعه الرسولُ ﷺ، وعبّرعنها أبو داود السجستاني رحمه الله بالملاحم وهي المعارك الكبرى التي يسقط فيها الكثير من القتلى لأنّها الأخطر من تلك الأحداث.

باب ما يذكر في قرن المائة:

يقول أبو داود هذا باب سأذكرُ فيه حديثا أو أكثر تنبّأ فيها الرسولُ ﷺ ببعض ما سيقع من الأحداث البارزة والهامّة في كلِّ قرنٍ من الزمن.

المعنى العام للحديث:

اقتضت حكمةُ الله وسُنّتُهُ التي لا تتبدّلُ في خلقه أنّ لِتَوَالِي السنين ومُرُورِ الأزمان أثرًا بعيدًا في المخلوقاتِ جميعًا، من ذلك مثلا:

1 ـ أنّها تُوَهِّن الأجسادَ وتُضْعِفُهَا بالعلل والأسقام، فيتدارك الطبُّ ما يتدارك منها بالحِمْيَةِ والعلاج، فتستردّ عافيتها إلى حين.

2 ـ وتُضْعِفُ وَهَجَ الأنساقِ الفكريّة والحضاريّة، وتحجُبُ صفاءها، وتقلّل من فاعليّتها أو تجعلها تنحرفُ جرّاءَ ظهورِ الأهواء المضلّة والفتن المهلكة، ولمّا كان الدين هو روحُ هذه الأنساق الفكرية ومُحَرّكُهَا، وهوعَطَاء ربّانيّ رحمةً بالإنسان، اقتضت حكمتُهُ تعالى أن يبعث رُسُلا بين الفترة والأخرى يحيون الدين ويقيمون صرحه ويصحّحون ما اعتراه من انحراف وفساد ويتمّمون نواقصه.

ولمّا اكتمل صرحُ النبوّة بمبعثِ محمد بن عبد الله ﷺ خاتم الرسل للبشريّة

= عون المعبود لمحمد شمس الحقّ العظيم آبادي: أوّل كتاب الملاحم ـ باب ما يذكر في قرن المائة 11/385 ـ 397 حديث 4270.

عامّة، اقتضت حكمةُ الله تعالى أن يبعثَ من علماء هذه الأمّة بين الحين والحين من يُجدّد هذا الدين ويَنْفِي عنه طوارىَ القرون وعواديَ الزمن، فكان علماءُ الأمة المجدّدون لدينها كأنبياء بني إسرائيل. وقد أخبرَ الرسولُ ﷺ ببعث مجدّد لهذا الدين على رأس كلِّ مائةِ سنةٍ، وهي بشرى لأمّة الإسلام ببقاء دينها صحيحًا غير مدخول، إلى قيام الساعة.

الترجمة بإيجاز لرجال السند:

1 ـ (خ، م، د، س) **سليمان بن داود أبو الربيع الزَّهْرَانِيُّ البصريُّ**: [توفي آخرسنة 234هـ]:

روى عن إسماعيل بن جعفر، وإسماعيل بن زكرياء، وفُلَيْحِ بن موسى وغيرهم.

روى عنه: البخاريُّ ومسلم وأبوداود والنسائيُّ وغيرُهُمْ.

وثقه ابن معين وأبو زرعة وأبو حاتم الرازيان، وقال مسلمة بن قاسم: بصري ثقة. وذكره ابن حِبَّانَ في الثقات(1).

2 ـ (ع) **عبد الله بن وهب بن مسلم أبو محمد مولى ابن رمانة ويقال مولى بني فِهْرٍ القرشيُّ المصريُّ**: [ولد سنة 125هـ وتوفي لخمس بقين من شعبان 197 هـ]:

روى عن: مالك بن أنس، وعبد الملك بن جريج، وسفيان الثوري، ويونس ابن حبيب ويعقوب بن عبد الرحمان الزهري وعمرو بن الحارث وغيرهم.

روى عنه: سعيد بن أبي مريم، وسعيد بن عفير وعثمان بن صالح، ويحيى ابن سليمان وأحمد بن صالح، وأحمد بن عيسى وغيرهم.

وثّقه ابن معين. وكان أبو حاتم الرازي يقدّم عبد الله بن وهب عن عبد الله بن نافع. وكان يقول عنه: صالح الحديث صدوق، وهو أحبّ إليّ من الوليد بن مسلم وأصحّ حديثا منه بكثير. أما أبو زرعة الرازي فكان يقول: نظرت في

---

(1) التعديل والتجريح 3/1114 عدد 1317 ـ تهذيب التهذيب 4/190 عدد 322.

نحو ثمانين ألفا من حديث ابن وهب بمصر وغير مصر ما أعلم أني رأيت حديثا له لا أصل له، وهو ثقة. وقال عنه يحيى بن بكير: ابن وهب أفقه من عبد الرحمان بن القاسم(1).

3 ـ (ع) **سعيد بن أبي أيوب، أبو يحيى الخُزَاعيُّ المصريُّ** [ت149 هـ]:

روى عن جعفر بن ربيعة، ويزيد بن أبي حبيب، وأبي الأسود ظالم بن عمرو الديلي، وأبي عقيل بشير بن عقبة الدورقي وغيرهم.

روى عنه: عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج، وعبد الله بن وهب، وأبو عبد الرحمان عبد الله بن يزيد المقّري، وغيرهم.

وثّقه يحيى بن معين، والنسائي ويحيى بن يحيى بن بكير. وقال أحمد: لا بأس به. وقال ابن سعد: كان ثقة ثبتا. وقال النسائي: صدوق. وذكره ابن حبان في الثقات(2).

4 ـ (عخ [البخاري في خلق أفعال العباد]، مق [مسلم في مقدمة صحيحه]، م، د،) **شراحيل بن يزيد المُعَافِريُّ المِصْرِيُّ** [مات بعد 120 هـ]:

روى عن: أبي عبد الرحمان الحُبَلِيِّ، وأبي عثمان مسلم بن يسار الطنبذي، وأبي علقمة المصري الهاشمي، ومحمد بن هُدْبَةَ الصَّدَفِيِّ، وغيرهم.

روى عنه: أبو شُرَيْحٍ عبدُ الرحمان بن شريح الإسكندراني، وسعيد بن أبي أيُّوبَ، وابنُ لهيعة وغيرهم.

ذكره ابن حبان في الثقات(3).

5 ـ (ز [البخاري في جزء القراءة خلف الإمام]، م، 4) **أبو علقمة المصريُّ مولى بني هاشم فينسب إليهم ولاء فيقال: "الهاشمي"، ويقال: حليفهم، ويقال: حليف الأنصار.** ونسبه العجلي لفارس فقال: **الفارسيُّ**.

---

(1) التعديل والتجريح2/850 عدد 864 ـ تهذيب التهذيب 6/71 عدد 140.
(2) التعديل والتجريح 3/1088 عدد 1278 ـ تهذيب التهذيب 4/7 عدد 9.
(3) تهذيب التهذيب 4/320 عدد 550.

روى عن: عثمان بن عفان، وعبد الله بن مسعود، وأبي سعيد الخدري، وأبي هريرة، وعبد الله بن عمر، ويسار بن نُمَيْرٍ، مولى ابن عمر، وعون بن عبد الله بن عقبة، وهو أكبر منه. وغيرهم.

روى عنه: أبو الزبير محمد بن مسلم بن تَدْرُسَ، وأبو الخليل صالح بن أبي مريم، وعطاء العامري، وشراحيل بن يزيد المُعَافري، وعبد الله بن عبيد بن عُمَيْرٍ، وآخرون.

قال أبو حاتم الرازي: أحاديثه صحاح. وذكره ابن حبان في الثقات، وقال ابن يونس: أبو علقمة الفارسي مولى ابن عباس كان على قضاء إفريقية، وكان أحدَ الفقهاء الموالي الذين ذكرهم يزيد بن أبي حبيب. وقال العجلي: " مصري تابعي ثقة[1].

6 ـ **أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث الرابع.**

فيما أعلم: قائل هذه العبارة أبو علقمة المصري الهاشمي، وهو يريد بها أنَّ أباهريرة حدّثه هذا الحديث مرفوعا إلى رسول الله ﷺ لا موقوفا على أبي هريرة. وهذا الخبر نظرا إلى أنّه يتحدّث عن قضيّة غيبيّة تعبُّدِيَّةٍ يتوقّف علمنا بها على إخبار الشارع، فهو من قبيل الحديث الحُكْمِيِّ، وهو ما رواه الصحابي ممّا لا دخل للرأي فيه، فلا يضير وقفه.

تخريج الحديث:

تابع كلّ من 1 ـ الربيع بن سليمان بن كامل المُرادي، 2 ـ وأبي طاهر الخولاني، سليمانَ بْنَ داود المهري في رواية الحديث عن عبد الله بن وهب به بلفظه تقريبا، روى المتابعتين الحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين:

1 ـ أمّا **متابعة الربيع المرادي** فساقها كالتالي: حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب قال: حدثنا الربيع بن سليمان بن كامل المرادي عن عبد الله بن وهب به. .[2]

---

(1) تهذيب التهذيب 12/173 عدد 817 ـ الثقات للعجلي 506 عدد 2005.

(2) كتاب الفتن والملاحم 4/567 حديث رقم 8592.

2 ـ أما متابعة **أبي طاهر الخولاني** فقد ساقها ضمن قصة طويلة عن أبي العباس بن شريح قال: حدثنا أبو طاهر الخولاني قال: حدثنا عبد الله بن وهب به بلفظه مع زيادة. .[1]

درجة حديث أبي هريرة:

ذهب الإمام السيوطي في " مرقاة الصعود "، و تلميذه الشيخ شمس الدين محمد بن العلقمي ت 929 هـ في شرحه لكتاب شيخه " الجامع الصغير" والموسوم "بالكوكب المنير"، ومحمد عبد الرؤوف المناوي الشافعي في" فيض القدير بشرح الجامع الصغير" : "إلى أنَّ الحفاظ اتفقوا على أنَّ حديثَ أبي هريرة حديث صحيح، وممّن نصّ على صحّته:

ـ من **المتقدّمين**: 1 ـ الحاكم النيسابوري في المستدرك.

2 ـ وأبو بكر البيهقي في المدخل.

ـ ومن **المتأخِّرين**: 1 ـ أبو الفضل زين الدين العراقي.

2 ـ والحافظ ابن حجر العسقلاني.

قال الزين العراقي وغيره: سنده صحيح.

ألفاظ الحديث:

الملاحم: جمع ملحمة وهي المقتلة أو هي الواقعة العظيمة، وهي مأخوذة من اشتباك الناس واختلاطهم فيها كاشتباك لُحْمَةِ الثوب بالسَّدَى، وقيل مأخوذة من اللحم لكثرة لحوم القتلى فيها.

ويُكَنَّى بها في لغة الأدب عن عمل شعري طويل، يتألّف من أناشيد عديدة نظمت في وصف حرب من الحروب ووصف جيوشها وأبطالها والأمكنة التي دارت فيها ومن أشهر الملاحم الأدبية التاريخية إلياذة هوميروس Homeros الشاعر الملحمي اليوناني الذي عاش في القرن 9 ق. م وهي ملحمة تقوم على

(1) كتاب الفتن والملاحم 4/568 حديث 8593.

الأساطير والخرافات حيث يجعل الآلهة تشترك في وقائعها.

القرن: هو مائة سنة، كما أنّ القرن هو الجيل الذي عاش زمنا واحدا، قيل مأخوذ من الاقتران فكأنه المقدار الذي يقترن فيه أهل ذلك الزمن في أعمارهم وأحوالهم. ومنه قول الرسول ﷺ: " خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم " ومعناه في ترجمة الباب مائة سنة لقوله ﷺ: على رأس كلّ مائة سنة ".

يبعث: يرسل. ومعنى إرسال العالم المجدّد تأهيله للتّصدّي لنفع الأنام وانتصابه لنشر الأحكام.

الأمّة: هي كلّ جماعة يجمَعُهُمْ أمر ما، إمّا دين واحد، أو زمان واحد، أو مكان واحد، سواءً كان ذلك:

- **تَسْخِيرًا**: كأمم الحيوانات، قال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ [6 الأنعام 38] فكلّ نوع منها أمّة تجمعها طبيعة واحدة سخّرها الله عليها.

- أو **اختيارا**: كالأمَّةِ الإسلاميّة التي وحّدها الإسلامُ، أو الأمّة الفرنسيّة، أو الأمّة الإنقليزيّة التي جمعها وطن واحد..

والأمَّةُ الإسلامية وُلِدَتْ مع بزوغ شمس الإسلام ونزول أوّل تباشير الوحي على الرسول محمد ﷺ، وقد ذكرها القرآنُ في أكثر من آية وأكّد على وحدتها وتماسكها وترابطها، تجمَعُهَا العقيدةُ الواحدة والشريعة الواحدة والتصوّرُ الواحد لعالَمَيْ الغيبِ والشهادةِ، والأخلاقُ الواحدة والثقافة الواحدة، والآمال الواحدة.. يقول تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ﴾ [21 الأنبياء 92] ويقول الرسول ﷺ في كتاب الموادعة الذي كتبه غَدَاةَ هجرته إلى المدينة المنوّرة بين المهاجرين والأنصار من جهة وبين مُتَسَاكني المدينة من الطوائف الأخرى من جهة ثانية: " بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من محمّد النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار من قريش

ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم **إِنَّهُمْ أمّة واحدة من دون الناس**. . "

على رأس: ـ نقول: رأس الشهر، أو رأس السنة أي **أوّل يوم في الشهر أو في السنة**.

ـ كما نقول رأس الشيء ونعني **آخره وطرفه**، ونقول رأس الآية أي آخرها، قال الطيبي: الرأس مجاز عن آخر السنة، وتسميته رأسا باعتبار أنَّهُ مبدأ لسنة أخرى، وعلى هذا المعنى يُحْمَلُ حديثُ أنس عن رسول الله ﷺ: " بعثه الله على رأس أربعين سنة. . " فيراد به نهاية الأربعين. وعلى هذا المعنى أيضا يُحْمَلُ قولُهُ عليه الصلاة والسلام في حديث عبد الله بن عمر: " أرأيتكم ليلتكم هذه فإنَّ على رأس مائة سنة منها لا يبقى ممّن هو على ظهر الأرض أحد. . "ـ أخرجه الشيخان(1). وقيل إنَّ أبا الطفيل مات سنة عشر ومائة، وهي رأس مائة سنة من مقالة النبي ﷺ، فظهر من كلّ هذا أنَّ المراد برأس المائة في هذا الحديث هو آخر المائة وانتهاؤها.

وممّا يؤيّد ذلك أنّ الإمام الزهريّ والإمام أحمد بن حنبل، وغيْرَهُمَا من الأئمة المتقدّمين اتّفقوا على أن المجدّد على رأس المائة الأولى هو عمر بن عبد العزيز وقد توفّي رحمه الله سنة 101هـ، وعلى رأس المائة الثانية الإمام الشافعي رحمه الله، وقد توفّي سنة 204هـ، فلو لم يكن المراد من رأس المائة آخرها ما عدّوهما من المجدّدين، و تاريخ ولادتيهما يؤكّد هذا المعنى، ذلك أنّ ولادة عمر بن عبد العزيزكانت سنة 61هـ فكيف يكون مجدّدا لأوّلِهَا، وكذلك القول بالنسبة للإمام الشافعي فقد ولد في منتصف المائة الثانية سنة150هـ فكيف يصحّ أن يكون مجدّدا لأوّلها؟!.

---

(1) صحيح البخاري: كتاب العلم ـ باب السمر في العلم: متن فتح الباري 1/255 حديث 116 ـ المواقيت: باب ذكر العشاء والعتمة متن فتح الباري 2/54 حديث 564 ـ باب السمر في الفقه متن فتح الباري 2/88 حديث 601 ـ صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة ـ باب قوله: " لا تأتي مائة سنة وعلى الأرض نفس منفوسة: 4/1965 ـ 1967 حديث 2537.

ثم إنّ بعض العلماء كابن الأثير والطيبيّ والسيوطيّ وغيرِهِم ذهبوا إلى أنَّ المجدّد هو الذي انقضت المائةُ وهو حيّ مشهور يُشَارُ إليه بالعلم والفضل ونصرة الدين وقمع أعدائه، فجعلوا من بقاء المجدّد حيّا بعد انقضاء المائة شرطا لتحقّق صفة التجديد عليه، وهو شرط لا يستند إلى دليل، فَعَرِيَ عن الوجاهة.

من: اسم موصول بمعنى الذي. ويُعرب مفعولا به للفعل " يبعث "، ويستعمل في الواحد فأكثر.

يجدّد: يجدّد الشيء يصيّره جديدا. والمراد بتجديد الدين:

1 ـ تبيين السنة من البدعة.

2 ـ تصحيح بعض المفاهيم الخاطئة التي ألصقها المبتدعة والملاحدة والجهلة بالدين.

3 ـ إحياء ما اندرس من معالم الإسلام بالعمل بالكتاب والسنة والأمر والنهي بمقتضاهما.

4 ـ حلّ المشكلات المستجدّة بوضع أحكام شرعيّة لها، مستمدّة من كتاب الله وسنّة نبيّهﷺ.

5 ـ نشر العلم وبعث الحميّة الدينيّة وإعزاز أهل الدين وكسر أهل البدع والضلال وإذلالهم، فكأنَّ الدينَ عاد إلى جدّته الأولى وكأنَّ الرسولَ ﷺ قائم بين ظَهْرَانَيْ الأمّة.

لها: الضمير المجرور باللام يعود على الأمة.

دينها: **من معاني الدين في اللغة**:

1 ـ **الجزاء والمكافأة**، ومن هنا قيل: " كما تدين تدان " أي كما تجازِي تجازى بفعلك وبحسب ما عملت. قال تعالى: ﴿ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ﴾ [37 الصافات 53] أي مجزيّون على أعمالنا في الدنيا. وقال تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [1 الفاتحة 4] أي يوم الجزاء والحساب.

2 ـ **والعبادة لله والطاعة له والذلّ له سبحانه**: نقول دنته ودنت له أي أطعته وانقدت إليه، وخضعت واستسلمت وأسلمت، وبهذا الاعتبار سمّيت الشريعة دينا.

والدين شرعا: هو ما شرّعه الله تعالى لعباده على لسان أنبيائه ليتوصّلوا إلى جواره. وهو **الملّة** أيضا إلا أنَّ هناك فرقًا بين الملّة والدين، وهو أنَّ الملّة لا تضاف إلا إلى النبيّ الذي تسند إليه: نحو: ﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُواْۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [2 البقرة 135] بينما الدين يضاف إلى الله تعالى وإلى غيره فيقال دين الله، ودين المجوس مثلا.

والدين عند الله هو الإسلام، من أوّل الخليقة إلى قيام الساعة، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُۗ﴾ [3 آل عمران 19] وقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [9 التوبة 33] وقال عزّ وجلّ: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [3 آل عمران 85].

ويعبّر عن الدين بالإيمان والإسلام:

ويعرّف **الإيمان**: بأنّه تصديق الرسول ﷺ فيما جاء به عن ربّه، **والإسلام**: بِأَنَّهُ الإتيان بالأركان التي حدّدها القرآن وبيّنتها السنة، وإنّ حديث جبريل عليه السلام المتّفق عليه يوضّح أنَّ عبارة الدين تنتظم الإيمانَ والإسلامَ معًا، حيث سأل النبيَّ ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان، وبعد انصرافه سأل رسولُ الله ﷺ الصحابةَ عن السائل ؟ فقالوا: الله ورسوله أعلم. فقال: إِنَّهُ جبريلُ جاء يعلّمكم أمور دينكم.

والدين **في الإسلام هو الدنيا والآخرة**، لارتباطهما العضويّ ببعضهما، فهو يشمل كلّ ما يتعلّق بالحياة الدنيا وكلّ ما يتعلّق بالحياة الأخرى، فلا مجال في الإسلام لمقولة " ما لقيصر لقيصر وما لله لله "، فكلّ شيء في الدنيا وفي الآخرة لله تعالى، ففي مجال العلوم مثلا ليس هناك علوم دينية وعلوم دنيوية، فكلّ العلوم

يعنى بها الإسلام فهي دينيّة، والاختلاف بينها ينحصر في حكم تعلّمها فمنها ما هو فرض عين كتعلّم الصلاة، ومنها ما هو فرض كفاية كتعلّم الطبّ، ومنها ما هو حرام كتعلّم صناعة الخمر والمخدّرات، وإنتاج الأفلام الخليعة ونحو ذلك من المفاسد. فإبعاد الإسلام عن صلب الحياة وحصره في بعض العبادات هو طمس لحقيقة الإسلام وظلم للمسلمين ورِدّة توجب العقوبةَ والردعَ.

والملاحظ أنّه ليس في الإسلام رجال دين كما هو الحال في الديانات الأخرى، وإنّما يوجد علماء دين يتخصّصون في بعض علوم العقيدة والشريعة ويتبحّرون في الإلمام بفنونها الواسعة، ويكونون مرجع الأمّة.

عبد الرحمن بن شريح الإسكندراني: قال المنذري: "ثقة اتّفق البخاريّ ومسلم على الاحتجاج بحديثه، وقد عَضَلَ الحديثَ ". **والحديث المعضل** هو الحديث الذي سقط من آخر إسناده أو وسطه راويان فأكثر على التوالي، وقد أسقط هنا كلا من أبي علقمة وأبي هريرة وهما متواليان، وهذا هو المراد من قول أبي داود رحمه الله:

لم يجز به شراحيل: أي أنّ عبد الرحمن بن شريح الإسكندرانيّ روى الحديث إلى شراحيل بن يزيد المعافري موقوفا عليه مسقطا كلا من أبي علقمة وأبي هريرة. والمعضل ضعيف مردود كما هو مقرّر عند العلماء.

لم كان بعث المجدّد في رأس كل مائة سنة ؟

ـ كان بعث المجدّد على رأس كلّ مائة سنة، لأنَّ رأس المائة مَظِنّة تضاؤل العلم وقلّته بموت العلماء فيكثر الجهلُ ويَضْمُرُ دور السنة لاندراسها، وتنتشر البدع. وهي بيئة مظنّة لظهور الدجّالين والمشعوذين والملاحدة والدعاة إلى أفكار هدّامة ودعوات تتنافى مع الإسلام وتناهض مبادئه الفطريّةَ الواضحة وتعادي كتابَ الله وسنّةَ رسوله وتهوّن على الناس الخروجَ عن هديهما الذي ينجي وحده من الفوضى والانحراف والفساد والضعف، وتزيّن لهم التعلّق بفلسفات وافدة تفسد على الناس حياتهم بما تنشره من ميوعة وانحلال وتزرعه من انحراف وفساد.

متى يبدأ حساب القرن؟

يقول الشيخ محمد عبد الرؤوف المناويّ [ت 1030هـ] في مقدّمة " فيض القدير بشرح الجامع الصغير للإمام السيوطي: " اختلف في رأس المائة:

1 ـ هل يعتبر من المولد النبويّ ؟ 2 ـ أو من البعثة ؟ 3 ـ أو الهجرة ؟ 4 ـ أو وفاة الرسول ﷺ؟ " . وهو يميل إلى بدء الحساب من البعثة، حيث يقول: "إنّ بداية الحساب من البعثة لا يبعد عن الصواب" . إلا أنّ السُّبْكِيَّ وغيره ذهبوا إلى أنّ الحساب إنّما يبدأ من الوفاة وانقطاع الوحي. وهو رأي أوجه حيث تحتاج الأمّة بانقطاع الوحي إلى من يجدّد لها دينها، فيُحْيِي سنة نبيّها ويبطل البدع ويشيع العلم. .

هل قيد الرأس في قوله ﷺ: "على رأس كل مائة سنة" هو قيد اتّفاقيّ أو قيد احترازيّ؟ :

1 ـ ذهب العديدُ من العلماء إلى أنَّ القيد بالرأس هو **قيد اتّفاقيّ**، أي ذكر رأس المائة اتفاقا لا قصدا، ولا علاقة له بتحديد زمن معيّن من القرن ولا بتحديد الفترة التي يبعث فيها المجدّد، والمرادُ هو أنّ الله يبعث في كلّ قرن مجدّدا أو أكثر سواءً كان ذلك في أوّل القرن أو وسطه أو آخره. فالمجدّدون قد ينتشرون عبر عقود القرن وسِنِيّهِ، واعتبر هذا الفريقُ من العلماء حصرَ بعث المجدّد في رأس المائة من الأوهام إذ قد يكون في أثناء المائة من هو مجدّد بل قد يكون أفضل من المبعوث على رأس القرن.

2 ـ وذهب فريق آخر من العلماء إلى أنَّ قيد الرأس هو **قيد احترازيّ** أي هو قيد يُحترز به عن دخول غيره فيه، فلا يدخل فيه أوّل القرن ولا وسطه، ولذلك لم يُعَدّ كثيرمن الأكابرالذين عاشوا في وسط المائة من المجدّدين، حتى وإن كان بعضُهُمْ أفضل من المجدّد الذي يكون على رأس المائة.

جاء في مرقاة الصعود للإمام السيوطي رحمه الله: " قد يكون في أثناء المائة من هو أفضلُ من المجدّد على رأسها. " . ويحصر الكرمانيّ المراد

بالمجدّد فيمن يُبْعَثُ على رأس المائة فيرى أنّ القيدَ احترازيّ حيث يقول: يوجد " قبيل رأس المائة من يصحّح ويقوم بأمر الدين، وإنّما المراد بالمجدّد من انقضت المائة وهو حيّ عالم يشار إليه " .

نعم لو ثبت أنّ قيد " الرأس " اتّفاقيّ بدليل صحيح لكانت دائرة المجدّديّة أوسع، ولدخل كثير من الأكابر المشهورين المستجمعين لصفات التجديد، في المجدّدين، كالإمام مالك بن أنس والإمام أحمد بن حنبل، ومحمد بن إسماعيل البخاريّ، ومسلم بن الحجاج وأبي داود السجستانيّ وغيرهم من أئمة الهدى.

ما هي مواصفات المجدّد وسماته ؟ وكيف يعرف ؟

نظراً لأهميّة هذه الوظيفة السامية وهي تجديد الدين فإنّ العلماء استقرؤوا صفاتِ المجدّدين في القرون الخوالي واستنبطوا من كمالاتهم وأخلاقهم وجهادهم جملةً من الصفات النبيلة التي ينبغي أن تتحقّق فيمن يُكْرِمُهُ الله بأداء هذه المهمّة الإسلاميّة الرفيعة، ومن هذه الصفات:

1 ـ أن يكون عِلْمُ المجدّد جامعا لكِلِّ فنّ متبحّرا في العلوم الشرعية، بلغ رتبة الاجتهاد المطلق.

2 ـ أن يكون همّه وعزمه آناء الليل وأطراف النهار إحياء السنن ونشرها ونصر أهلها وقمع البدع وإماتة محدثات الأمور وكسر أهلها باليد ـ إن كان من ذوي السلطان ـ وباللسان، والتدريس والتعليم والكتابة والنشر. إذا لم يكن من أهل السلطة التنفيذية.

3 ـ أن يعمّ علمه وإرشاده وهديه أهل زمانه.

4 ـ أن يقوم بالجهاد ويحكم بالعدل إن كان إماما أكبر.

5 ـ وزاد بعضهم أن يكون من آل البيت: ينسب هذا الشرط للإمام أحمد فهو يروي عن النبي ﷺ قوله: " إنَّ الله يمنّ على أهل دينه في رأس كلِّ مائة سنة برجل من أهل بيتي، يبيّن لهم أمر دينهم " قال أحمد رحمه الله: " وإنّي نظرتُ في

مائة سنة فإذا هو رجل من آل رسول الله ﷺ وهو عمر بن عبد العزيز، وفي رأس المائة الثانية فإذا هو محمد بن إدريس الشافعي. [وهو من آل الرسول ﷺ]".

6 ـ وأن يكون فردا على المشهور.

7 ـ وأن تنقضي المائة وهو حيّ عالم مشهور بين الناس، مرجع لهم، مشار إليه بالعلم ونصر الإسلام وقمع أعدائه. أي أن يبقى المجدّدُ بعد انقضاء المائة التالية حيّا فمن مات قبلها ولو بزمن قصير لا يعدّ مجدّدا. وهو شرط لا يدعمه دليل وجيه، رغم تمسّك بعض العلماء به: يقول الإمام السيوطي في أرجوزته: " تحفة المهتدين بأخبار المجدّدين ":

والشرط في ذلك أن تمضي المائة وهو على حياته بين الفئة
يشار بالعلم إلى مقامه وينشر السّنّة في كلامه

أمّا كيف يُعْرَفُ ؟

فالمجدّد لا يُعلم إلا بغلبة الظن ممّن عاصره من العلماء بقرائن أحواله والانتفاع بعلمه، وأثره الواضح في الأمَّةِ.

هل يكون على رأس كل مائة سنة مجدّد واحد فقط؟

يذهب ابن حجر العسقلاني في " توالي التأسيس بمعالي ابن إدريس " إلى أنَّ بعض الأيمة حمل اسم الموصول " مَنْ " الوارد في الحديث على أكثر من واحد، وهو ممكن بالنسبة للفظ الحديث بروايته هذه، إلا أنَّ روايةً أخرى لأحمد وردت بلفظ " رجل " وهو أصرح في بيان أنَّ المجدّد واحد، من رواية "من" التي تصلح للتعبير بها عن الواحد فما فوقه. إلا أنَّ ابن حجر يميل إلى حمل "من" على الواحد فأكثر لأنَّ المجدّد يكون تجديدُهُ عامّا في جميع أهل ذلك العصر، وهذا ممكن في عمر بن عبد العزيز، وفي الشافعي، أمّا من جاء بعد ذلك فلا يُعْدَمُ من يشاركه في ذلك. ويُعَبِّرُ عن رأيه هذا بأكثر وضوحا في فتح الباري حينما يقول: " حَمْلُ الحديث على أكثر من واحد متّجه، فإنَّ الصفاتِ المحتاجَ إليها في المجدّد لا تنحصر في نوع من أنواع الخير، ولا يلزم أن جميع خصال الخير تجتمع

كلّها في شخص واحد إلا أن يدّعى ذلك في عمر بن عبد العزيز، فإنّه كان القائم بالأمر على رأس المائة الأولى باتّصافه بجميع صفات الخير وتقدّمه فيها، ومن ثمّ أطلق أحمد بن حنبل رحمه الله أنّهم كانوا يحملون الحديث عليه، وأمّا من جاء بعده فقد تتقاصر هذه الإمكاناتُ عنده فالشافعيّ مثلا وإن كان من العلماء الْكُمّلِ إلا أنّه لم يكن القائم بأمر الجهاد والحكم بالعدل، فعلى هذا عدّ كل من كان متّصفا بشيء من ذلك عند رأس المائة مجدّدا سواء تعدّد أم لا " .

من هم مجدّدو القرون الماضية:

لقد حاول بعض العلماء تحديدَ أسماء المجدّدين وبيان أشخاصهم عبر القرون، حتى أنّ الإمام السيوطيّ ألّف أرجوزةً سمّاها "تحفة المهتدين بأخبار المجدّدين" ذكر فيها أسماء مجدّدي القرون الثمانية الأولى ورجا رحمه الله أن يكون هو مجتهد القرن التاسع ومجدّده. وممّا ذكره في ذلك العلامة أبو الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي في شرحه لسنن أبي داود "عون المعبود " ما يلي:

مجدّد **المائة الأولى**: الخليفة الأمويّ الثامن الذي يلحق بالخلفاء الراشدين **عمر بن عبدالعزيز** [61 ـ101هـ]، وزاد بعض العلماء ممّن يرى أنَّ المجدّد قد يكون أكثر من واحد، محمّد بن شهاب الزهري ت 124هـ، والعالم العامل القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق إمام الحديث والفقه ت 106هـ، وسالم بن عبدالله بن عمر بن الخطاب ت 106 هـ ومحمد بن سيرين أبا بكر البصري ت 110 هـ والإمام الحسن بن أبي الحسن أبا سعيد البصري توفي سنة 110 هـ قبل ابن سيرين بمائة يوم.

ومجدّد **المائة الثانية**: **الإمام محمد بن إدريس الشافعي** ت 204 هـ وزاد بعض العلماء الإمام الربَّانِيَّ يحيى بن معين بن عون أبا زكرياء البغدادي إمام الجرح والتعديل والمجمع على علمه وصلاحه ت 233 هـ.

مجدّد المائة الثالثة: **الإمام الحافظ الثقة شيخ الإسلام أبو العباس محمد بن إسحاق بن إبراهيم السراج** [218 ـ 313هـ] وزاد بعضهم شيخ الإسلام الإمام أبا عبد الرحمان أحمد بن علي بن شعيب النسائي القاضي صاحب السنن ت 303 هـ.

والإمام أبا الحسن علي بن إسحاق الأشعري [260 ـ 324 هـ] مؤسّس مذهب الأشاعرة من نسل الصحابي الجليل أبي موسى الأشعري.

مجدّد المائة الرابعة: أبو بكر الباقلاني محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر [338 ـ 403 هـ] وهو أحد كبارعلماء عصره انتهت إليه رئاسة المذهب الأشعري، له تآليف مهمَّة ذائعة الصيت. أو **أبو الطيب سهل بن محمد بن سليمان بن محمد بن سليمان الصُعْلُوكي النيسابوري** [توفي في المحرّم سنة 387هـ وقيل أول سنة 402هـ] مفتي نيسابور وابن مفتيها، وكان في وقته يقال له الإمام وهو متّفق عليه عديم النظير في علمه وديانته، قيل إنَّهُ وُضع له في المجلس أكثر من خمسمائة محبرة، وجمع رئاسة الدنيا والآخرة.

مجدّد المائة الخامسة: حجّة الإسلام الإمام **أبو حامد محمّد بن محمّد بن محمّد الغزالي الطوسي** [توفي بطوس سنة 505هـ] الفقيه المتكلّم المتصوّف تلميذ أبي المعالي الجويني، صاحب "إحياء علوم الدين" و "المنقذ من الضلال" و "الاقتصاد في الاعتقاد" و "تهافت الفلاسفة" و "مقاصد الفلاسفة" و "الأسماء الحسنى" وغيرها.

مجدّد القرن السادس: الإمام فخرالدين محمّد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري الرازي أوحد زمانه في المنقول والمعقول وعلوم الأوائل، وهو قرشي النسب [544 ـ 606هـ] **أو عبد الكريم بن محمّد بن عبد الكريم أبو القاسم الرافعي القزويني** [557 ـ623هـ] ينسب إلى الصحابي الجليل رافع بن خديج.

مجدّد القرن السابع: ابن دقيق العيد محمد بن علي بن وهب بن مطيع أبو الفتح تقي الدين القشيري [625 ـ 702هـ] العالم المجتهد صاحب المصنّفات المفيدة ولي قضاء مصر سنة 695هـ.

مجدّد القرن الثامن العالم الحَبْرُالحافظ المجتهد عمر بن رسلان بن نصير بن صالح الكناني البُلْقِيني المصري الشافعي أبو حفص سراج الدين [724 ـ805هـ]. أو حافظ الأنام البحّاثة زين الدين العراقي عبد الرحيم بن الحسن بن عبد الرحمن أبو الفضل [725 ـ 806 هـ] له " المغني عن الأسفار في الأسفار في تخريج

أحـاديث إحياء علوم الديـن " لحجّة الإسلام الغزالي، وعشرات من الكتب النافعة.

مجدّد المائة التاسعة: العالم الحافظ المؤرخ **الإمام السيوطيّ عبد الرحمان بن أبي بكر بن محمد بن سابق الخضيري جلال الدين** [849 ـ 911هـ] صاحب نحو ستمائة مصنّف.

مجدّد القرن العاشر: **شمس الدين الرملي محمّد بن أحمد بن حمزة الملقّب بالشافعي الصغير**، فقيه الديار المصريّة في عصره ومرجعها في الفتوى، قال المحبّي في" خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر" في ترجمته: ذهب جماعة من العلماء إلى أنّهُ مجدّد القرن العاشر.

مجدّد القرن الحادي عشر: **إبراهيم بن حسن بن شهاب الدين الشهراني الشهرُزُورِيُّ الكردي الكوراني برهان الدين** [1025 ـ 1101 هـ / 1616 ـ 1690م] مجتهد من فقهاء الشافعية، خاتمة المحقّقين وعمدة المسندين، تنيف مصنّفاته على الثمانين، منها " إتحاف الخلف بتحقيق مذهب السلف" و " إمداد ذوي الاستعداد لسلوك مسلك السداد " . نزيل المدينة، ومات بها ودفن في البقيع.

مجدّد القرن الثاني عشر: **صالح بن محمد بن نوح بن عبد الله العمري المعروف بالفلاّني** ـ نسبة إلى فلاّنة من قبائل السودان [1166 ـ 1218 هـ/ 1753 ـ 1803 م] وقد ولد ونشأ بها، مجتهد، عالم بالحديث من فقهاء المالكية، وكان قد طوّف في بلاد كثيرة في طلب العلم فقرأ ببلده.. بشنقيط، ومراكش، وتونس، ومصر ثم استقرّ في المدينة، وتوفّي بها. من أبرز مصنّفاته " إيقاظ همم أولي الأبصار للاقتداء بسيّد المهاجرين والأنصار" . و **السيد المرتضي الحسيني الزبيدي، محمّد ابن محمّد بن محمّد بن عبد الرزاق، أبو الفيض الملقّب بمرتضى** [1145ـ1205هـ/ 1732 ـ 1790م]، علامة باللغة والحديث والرجال والأنساب، من كبار المصنّفين، من مؤلفاته: " تاج العروس في شرح القاموس" و" إتحاف السادة المتّقين في شرح إحياء علوم الدين" و "كشف اللثام عن آداب الإيمان والإسلام" ، أقام بمصر فاشتهر فضله وعظم اعتقاد الناس في صلاحه.

مجدّد القرن الثالث عشر: محمّد صدّيق خان بن حسن بن عليّ بن لطف الله الحسيني البخاري الْقِنَوْجِيّ، أبو الطيب [1248ـ1307 هـ/ 1832ـ1890هـ] من رجال النهضة الإسلامية المجدّدين، ولد ونشأ في قِنَّوْج بالهند، سافر إلى "بَهُوبَال" وتزوّج ملكتها. له نيّف وستون مؤلفا بالعربيّة والفارسيّة والهنديّة، ومن أشهرها بالعربيّة "أبجد العلوم"، "فتح البيان في مقاصد القرآن"، "العبرة ممّا جاء في الغزو والشهادة والهجرة"، ومن المجدّدين كذلك **السيد نذير حسين. وحسين محمد الأنصاري الخزرجي السعديّ اليمانيّ**. وممّن طبّقت شهرته الآفاق: **جمال الدين الأفغاني محمّد بن صفدر الحسيني** [1254 ـ 1315 هـ/ 1838 ـ 1897 م]: فيلسوف الإسلام في عصره وأحد الأفذاذ الذين قامت على سواعدهم نهضة المسلمين الحاضرة. وتلميذه **الشيخ محمّد عبده بن حسن خير الله من آل التركماني** [1266 ـ 1323 هـ/ 1849 ـ 1905م]، مفتي الديار المصريّة، من كبار رجال الإصلاح والتجديد في الإسلام.

أمّا القرن الرابع عشر: فعرف عددا من العلماء الذين عملوا على تجديد الدين والنهوض بالمسلمين وكان من ثمار جهودهم الخيِّرَة هذه الصحوة الإسلاميّة العارمة المباركة التي تبشّر بانبلاج فجر للإسلام جديد، ومن هؤلاء العلماء الشيخ **أبو الحسن الندويّ، ومصطفى السباعيّ** [ت1964م]، و **مالك بن نبيّ** و **محمد الغزالي**، و **محمد متولي الشعراوي**. . رحمهم الله جميعا وطيّب ثراهم.

وآخر المجدّدين **عيسى بن مريم عليه السلام** الذي ينزل في آخر الزمن ويكسر الصليب، ويقضي على كلِّ الملل ويدعو إلى الإسلام ويحكم بشريعته.

إذا كان القرآنُ محفوظا بحفظ الله والسنة ـ وهي بيانه ـ محفوظةً بحفظ القرآن فما الحاجة إلى المجدّد؟

لقد سبق أنْ بيّنّا أن سنّة الله اقتضت أن يفعل الزمن فعله في المخلوقات جميعا بما فيها الأنساق الفكرية، فبمرور الزمن وموت العلماء ينتشر الجهل وتظهر البدع وتبرز التفسيراتُ الخاطئة والأفهام المنحرفة، كما أنَّ المجتمعات البشرية عرضة لظهور أصحاب الملل والنحل والدعوات الضالة مثل الخوارج والمرجئة

والرافضة والشعوبيّة وغيرها قديما ومثل العَلْمَانِيَّةِ والشيوعية والماسونيّة، والصهيونيّة وتيارات الإلحاد على اختلافها ودعاة التغريب، والفرنكفونية، والتنصيروالاستشراق وتلاميذه المفتونين به وغيرها من الجمعيات والتنظيمات المريبة في العصر الحديث، فاقتضت سنة الله أن يبعث من يحفظ دينه، ويحميه من هذه التيارات الهدميّة، يجدّدون الدين وينشرون العلوم ويقمعون البدع ويحيون السنن ويصحّحون الأفهام.

وقد بشّر الرسول ﷺ أمّته ببعث من يجدّد لها دينها على رأس كلِّ مائة سنة، لاسيما وللحقّ أعداء وخصوم كثيرون عملوا ويعملون على نشر الباطل وتعطيل الشريعة وإفساد الفطرة بدعاوى زائفة متمحّلة ضاعف من سطوتها ضعفُ الأمّة وتخاذل قادتها، وطغيان أعدائها وتفوّقهم عليها ماديّا، ومن هنا كانت الحاجة ماسّة إلى هذا المجدّد أو المجدّدين لنصرة الشريعة وتصحيح فهمها وتفعيل دورها في حياة المسلمين.

مهامّ المجدّد:

1 ـ الحفاظ على ربّانية الإسلام وإلاهيّته وهو من أهمّ مهامّ المجدّد ذلك أنَّ الشريعة الإسلامية سواء منها ما يتعلّق بالاعتقاديات أو العبادات أو المعاملات كلّها من عند الله فلا يجوز التفريق بين جانب وآخر، وهي في نظامها ودقّتها جزء لا يتجزّأ من نظام الكون وناموسه، وكما أنّ أيّ انخرام لهذا النظام يُفْسِدُ الكون ويُرْبِكُ تَوَازُنَهُ، فإنَّ أيّ انحراف عن شرع الله أو تعطيل له أو تغيير لأحكامه بفعل الأهواء التي قد تلبس لبوس العصرية أو المرونة أو التطوّر ونحوها من الدعاوى التي ظاهرها فيه الرحمة وباطنها من قبله العذاب، فإنَّهُ يفسد حياة الناس ويغرقهم في لجة من الشقاء والمتاعب التي لا أوّل لها ولا آخر.

2 ـ والمجدّد يصدّ الغارات الظالمة التي يشنّها الملاحدة والصليبيون والجهلة على الإسلام ويبيّن للناس بجلاء كمال الشريعة وسماحتها ومرونتها ووسطيّتها، وقدرتها على تحقيق مصالحهم والوفاء بحاجاتهم، مع مراعاة فطرتهم وأحوالهم الطارئة والمتغيّرة، وأهليّتها لإيجاد الحلول المناسبة لكل المستجدّات

والمستحدثات التي تجدّ في حياتهم على مختلف الأصعدة، وذلك بالاجتهاد المحمود القائم على احترام أصول الشريعة وأحكامها السمحة العادلة.

3 ـ كما يعرِّي المجدّد ويكشف ألوان الاجتهاد التبريري الذي يحاول إصدار سند شرعي لأعمال صدر فيها أصحابها عن أهوائهم وشهواتهم لأنَّ الأصل خضوعُ الناس للشريعة لا تطويع الشريعة لرغباتهم المتقلّبة وإخضاعها لشهواتهم المتفلّتة. كما يدين الاجتهاد الذي يستكين إلى الحلول المستوردة التي تتنكّب عن الشريعة وتعاديها، كما يرفض الاجتهاد الذي يُخْضِعُ النصّ القرآنيّ والنبويّ لتصوّرات القارىء وقراءاته المتفلِّتة !! التي يحتكم فيها إلى مزاجه وشهوته وهواه فينتهي إلى التفصي من أحكام الدين بدعوى تاريخيّة تلك النصوص التي تجاوزها الزمن أو بدعوى ارتباط أحكامها بأسباب نزول هي في نظرهم مؤقّتة ومحلّيّة وخاصّة ينتهي مفعولها بانتهاء تلك الأسباب مُتَنَكِّبًا عن ضوابط اللغة، متجاهلا قواعد الفقه والأصول متناسيًا ثوابت الإسلام وحقائقه.

4 ـ كما يميت البدع ويحيي السنن وينشر العلم ويوقظ الهمم ويصحّح فهم حقائق الدين.

5 ـ ويستنبط الأحكام الشرعيّة للمستجدّات والمستحدثات تلك الأحكام التي تحقّق مصالح الناس وتوثّق علاقتهم بربّهم وتوفّر لهم الأمن النفسي والاطمئنان إلى أنَّهُمْ يعيشون في دائرة طاعة الله والعمل بشريعته.

فائدة: لِمَ لَمْ يجز تغييرُ القرآن كتاب الإسلام وجاز تغيير كتاب اليهود؟

سئل القاضي أبو إسحاق إسماعيل بن إسحاق: " لم جاز التبديل على أهل التوراة ولم يجز على أهل القرآن ؟ ". فقال القاضي: " قال الله عزّ وجلّ في أهل التوراة: ﴿ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَـٰبِ ٱللَّهِ ﴾ [5 المائدة 44] فوكل الحفظ إليهم فجاز التبديل عليهم. وقال في القرآن: ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴾ [15 الحجر9] فلم يجز التبديل عليهم "[1].

---

(1) الموافقات في أصول الشريعة لأبي إسحاق الشاطبيّ 2/369. بط3 ـ 1417هـ/ 1997م دار المعرفة ت بيروت ـ لبنان.

فوائد الحديث:

1 ـ الإسلام دين ربّاني إلهيّ محفوظ بحفظ الله، وسيبقى قائما نقيّا متجدّدا بالعلماء المجتهدين المجدّدين على مرّ الزمن.

2 ـ مِنْ معجزات النبيّ تنبّؤه ببعض الأحداث الغيبية المستقبلية، وقد تحقّق حتى الآن الكثيرُ منه ممّا يدلّ على صدقهﷺ.

3 ـ الأمّة الإسلاميّة ستبقى غنيّة بعلمائها ومجدّديها، وستبقى فيها طائفة خيّرة تقيم الدين على الوجه الصحيح لا يضرّهم من خالفهم من المنافقين والهدميّين وأتباع التيارات الدخيلة المُغِيرَةِ على أصالة الأمة ومقوّماتها.

4 ـ العلم والعمل والأخذ بأسباب التقدّم والقوّة هي الطريق الأوحد لنصرة الإسلام وتجديد معالمه بالقضاء على البدع وإحياء السنن وحلّ المشكلات المستجدّة حلولا إسلامية تُرْضِي الله وتصدّ الزيف والعدوان على الأمّة ومقدّساتها.

5 ـ لمرور الزمن وتوالي السنين أثر واضح في توهين قوة الأجساد وإضعاف وهج الأنساق الفكرية، وإذا كان الطبيب يعالج وهن الأجساد إلى حين، فإنَّ المجدّد يُصلح ما أفسده تقادم الزمن فيدحر البدع ويدحضها، ويزيل ما علا الفهم الصحيح للدّين من شوائب وأعلاق، ويحفظ للدّين يسره وقدرته على تحقيق مصالح البشر الحقيقيّة الدنيويّة والأخرويّة.

6 ـ على المسلمين مقاومة الجهل وتطبيق فريضة التعلّم، لأنّ الجهل مطيّة انتشارالبدع وإفساد الدين وطريق التخلّف والتدلّي. كما عليهم الاحتراس من مدارس الرهبان ومدارس الإرساليّات الأجنبيّة التي تحاول تغريب المسلمين ونشر الشبه بينهم، وتسريب الأكاذيب عن الإسلام وشريعته وحضارته.

7 ـ تعيش أمّة الإسلام في هذا العصر ـ رغم قوّة التحدّيات وتمالُىء الخصوم من صليبيّين ومادّيّين وملاحدة ـ صحوةً رائدةً، وإذا كتب الله لها التغلّب على مناوئيها ستنهض بالدنيا وتخدم الآخرة وتعود بالأمّة إلى موقع الريادة والسيادة.

الحديث الثالث عشر:

بابُ ما جاء فِي مَثَلِ ابنِ آدَمَ وأَجَلِهِ وأَمَلِه.

قال أبو عيسى الترمذيّ رحمه الله تعالى: حدّثنا الحسنُ بْنُ عليّ الخلّال، وغيرُ واحدٍ، قالوا: أخبرنا عبدُ الرزّاقِ: أخبرنا مَعْمَر، عن الزهريّ، عن سالمٍ عن ابنِ عُمَرَ قال: قال رسولُ الله ﷺ: " إِنَّمَا الناسُ كإبلٍ مِائَةٍ، لا يَجِدُ الرَّجُلُ فِيهَا رَاحِلَةً " .

قال أبو عيسى الترمذي: هذا حديث حسن صحيح[1].

شرح ترجمة الباب:

يقول أبو عيسى الترمذيُّ: هذا باب أُورِدُ فيه أحاديثَ تتناولُ ما يُضْرَبُ من الأمثال ويصاغ من التشابيه التي تُقَرِّبُ فَهْمَ الحقائق المتعلّقة بالإنسان وأخلاقه وطبائعه، وما تتلاعبُ به من آمال جَمُوحَةٍ، وطموحات قد تشرَدُ به بعيدا، إلا أنَّ قِصَرَ الأجَلِ كثيرا ما يطفىء جَذْوَتَهَا.. فالعاقلُ من يضع هذه الحقيقةَ نُصْبَ عينيه ويسعى لعملٍ يلقى به الله وهو عنه راضٍ، وكأنّه سيموتُ لحظتَهُ الراهنة.

المعنى العام للحديث:

إنّ الأغلبيّة الساحقةَ من الناس حين يضعف فيهم الوازِعُ الدينيُّ، ويَخْفُتُ بين جنباتهم صوتُ الإيمان، يتحوّلون إلى شبه قُطْعَانٍ تائهة، لا تجد فيهم مؤهّلا لتحمّل مسؤوليّةٍ، أو أداء واجبِ الأمانةِ، ويعسُرُ أن تجدَ قادرا على القيام بأمانة التكليف تحقيقًا لإرادة الله في الأرض بتعميرها ونشر الأَمْنِ والأمان في ربوعها، وإقامة العدل وتعميم الخير.

ـ الترجمة بإيجاز لرجال السند:

1 ـ (خ، م، د، ت، ق) **الحسن بن علي الخلال الهذلي الحلواني**، يكنى أبا علي. وقال أبو عبد الرحمان بن أبي حاتم: يكنى أبا محمد. [ت 242هـ]:

---

(1) سنن الترمذي ـ كتاب الأدب 5/153 عدد 2872 ـ تحفة الأحوذي 8/173 حديث 3032.

روى عن عبدالصمد بن عبدالوارث بن سعيد، وعبد الرزاق الصنعاني وغيرهما.

روى عنه: البخاري ومسلم وأبوداود والترمذي وابن ماجه.

قال عنه أبو حاتم الرازي: هو صدوق[1].

2 ـ (ع) عبد الرزاق بن هَمّامِ بْنِ نافعٍ أبو بكر الحِمْيَرِيُّ مولاهم الصنعانيُّ اليماني [ت 211هـ]:

روى عن مَعْمَرِ بْنِ راشدٍ وقد لزمه ثمانِيَ سنوات، وسفيان الثوري، وعبدالملك بن جريج..

وروى عنه الإمام أحمد وإسحاق ابن راهويه الحنظلي، وإسحاق بن إبراهيم ابن نصرالبخاريّ، وإسحاق بن منصور الكوسج، وعلي بن المديني..

قال أبو حاتم الرازي: يُكتب حديثه، ويُحتجّ به. وقال أبو زرعة: هو أحفظ من هشام بن يوسف[2].

3 ـ (ع) مَعْمَرُ بْنُ أبي عَمْرٍو راشدٍ أبو عُرْوَةَ الأَزْدِيُّ البصري [ت. في رمضان سنة 153 هـ عن 58 سنة]:

روى عن الزُّهْرِيِّ، ويحيى بن أبي كثير الطائيِّ، وهمّام بن مُنَبِّهٍ، وهشام بن عروة بن الزبير..

روى عنه الثوريُّ وابنُ عيينةَ وابنُ المبارك وهُشَيْم بن يوسُفَ ويزيدُ بْنُ زُرَيْعٍ، وعبد الرزاق..

قال مالك: أيّ رجلٍ معمر، لولا أنّهُ يروي تفسير قتادة عن ابن عبّاس. وقال يحيى بن معين: معمر أثبت في الزهريّ من ابن عيينة[3]..

4 ـ (ع) محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث

(1) التعديل والتجريح 2/481 عدد 231 ـ تهذيب التهذيب 2/302 عدد 530 ـ تذكرة الحفاظ 2/522 عدد 539.

(2) التعديل والتجريح2/923 عدد 1002 ـ تهذيب التهذيب 6/310 عدد 608.

(3) التعديل والتجريح2/741 عدد 674 ـ تهذيب التهذيب 10/243 عدد 439.

ابن زُهْرَةَ بْنِ كِلابِ بْنِ مُرَّةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ، أبو بكر المدني الزهري [ت124هـ]:

روى عن سَهْلِ بْنِ سعد الساعدي الأنصاريّ، وعن أنس بن مالك، ومحمد بن الربيع، وسُنَيْن أبي جميلة السُّلَمِيِّ، وثلاثتهم صحابة رضي الله عنهم أجمعين. وعروة بن الزبير، وسعيد بن المسيّب، وأبي سلمة بن عبد الرحمن، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة وسالم بن عبد الله بن عمر، وخارجة بن زيد، وعطاء بن أبي رباح وغيرهم..

روى عنه مالك بن أنس، ومعمر بن راشد، وسفيان بن عيينة وصالح بن كيسان وغيرهم.

قال عنه مالك بن أنس: هو الثبتُ عندي، وكنت أوثر علمَهُ على علم غيره لتقدّمه في هذا الأمر، وعلمه بسُنَنِ رسول الله ﷺ. وقال أيوبُ السختياني: ما رأيت أعلم من الزهري. وقال معمر: قيل للزهري زعموا أنّك لا تحدّث عن الموالي ؟! فقال: إنّي لأحدّث عنهم، ولكن إذا وجدت ابنَ المهاجرين والأنصار أتكىء عليهم فما أصنعُ بغيرهم؟.[1]

5 ـ (ع) **سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب أبو عمر المدني [ت 106هـ وصلّى عليه هشام بن عبد الملك بن مروان الخليفة الأموي العاشر 105 ـ 125]:**

روى عن أبيه عبد الله بن عمر، وأبي هريرة..

روى عنه الزهريّ، ونافع مولى ابن عمر، وموسى بن عقبة، وحنظلة بن أبي سفيان..

وهو أحد الأئمة في الفقه والحديث. عن سعيد بن المسيّب: "كان أشبه ولد عمر بن الخطاب به عبد الله، وأشبه ولد عبد الله به سالم."[2].

6 ـ (ع) **عبد الله بن عمر بن الخطاب بن نُفَيْلِ بْنِ عبد العزّى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عَدِيّ بن لؤيّ بن غالب، أبو عبد الرحمان المدنيّ، فهو يلتقي**

---

(1) التعديل والتجريح2/639 عدد 493 ـ تهذيب التهذيب 9/445 عدد 732.

(2) التعديل3/1123 عدد 1328 ـ تهذيب التهذيب 436 عدد 807.

مع الرسولﷺ في جدّه الثامن لؤيّ بن غالب بن فِهْر [وفهر يلقّب بقريش]. وكان قد أسلم مع أبيه رضي الله عنهما وهو صغيروهاجر معه وهو ابن عشر سنين. [ت 73هـ بمكة عن 84 سنة]:

استصغر في أحد ثم شهد الخندق وبيعة الرضوان و المشاهد بعدها.

روى عن النبي ﷺ و عن أبي بكر الصدّيق وأبيه عمر الفاروق و عمّه زيد بن الخطاب وأخته حفصة وعائشة وعثمان و عليّ و بلال بن أبي رباح و زيد بن ثابت و صُهَيْب و ابن مسعود و سعد بن أبي وقّاص...

وروى عنه بنوه: حمزة، وزيد، وسالم، وعبيدالله، وعبدالله، ومولاه نافع، وسعيد بن المسيّب، وعروة بن الزبير، وأبو سلمة بن عبد الرحمان، وغيرهم...

قالت حفصةُ: سمعتُ الرسولﷺ يقول: إنَّ عبدالله رجل صالح. وقال ابن مسعود: إنّ من أملك شباب قريش لنفسه عن الدنيا لعبدُ الله بن عمر. قال الزبير بن بكار: هاجر و هو ابن عشر سنين(1).

تخريج الحديث:

1 ـ تابع الإمامُ أحمدُ، ومحمدُ بن رافع وعبدُ بن حميد جميعُهُمْ الحسنَ بْنَ علي الخلّال في رواية الحديث عن عبد الرزاق بن همّام الصنعاني به بلفظه تقريبا:

أ ـ أمّا متابعةُ أحمد فرواها في المسند: حدثنا عبد الله: حدثني أبي " حدثنا عبد الرزاق به بلفظه(2).

ب ـ أمّا متابعة محمد بن رافع وعبد بن حميد فرواها مسلم في الجامع الصحيح: حدثنا محمد بن رافع وعبد بن حميد ثنا عبد الرزاق به بلفظه تقريبا(3).

---

(1) الاستيعاب2/341 ـ الإصابة 2/347 عدد 4834 ـ التعديل والتجريح 2/803 عدد 777 وفي تهذيب التهذيب 5/328 عدد 565.

(2) المسند 2/88.

(3) الجامع الصحيح ـ فضائل الصحابة ـ باب قوله ﷺ الناس كإبل مائة لا تجد فيها راحلة 4/1973 حديث عدد 2745.

2 ـ وتابع شعيبُ بْنُ أبي حَمْزَةَ معمرَ بْنَ راشدٍ في رواية الحديث عن الزهريّ به بلفظه تقريبا، رواها البخاريُّ في الجامع الصحيح قال: حدثنا أبو اليمان: أخبرنا شعيب بن أبي حمزة عن الزهريّ به.

3 ـ وتابع زيدُ بْنُ أسلمَ سالمَ بْنَ عبد الله بن عمر في رواية الحديث عن عبد الله بن عمر به بلفظه تقريبا. رواها ابن ماجه: حدثنا هشام بن عمَّارٍ: حدثنا عبد العزيز ابن محمد الدراوردي: ثنا زيد بن أسلم عن عبد الله بن عمر به[1].

ـ الشرح:

إنّما: إنّ حرف توكيد ونصب، ينصب المبتدأ ويرفع الخبر، إذا دخلت عليه " ما " الكافّة بطل عملُهُ، وتُصْبِحُ إنّما تدلّ على الحصر والاختصاص، أي إثبات الحكم أو المعنى للمذكور بعدها في الجملة وصرفه عمَّا عداه. مثل: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ [9 التوبة 28] أي أنّ النجاسة التامّة إنّما هي حاصلة للمختصّ بالشرك منحصرة فيه. ومثل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [2 البقرة 173]، أي ما حرّم الله إلا ذلك تنبيهًا على أنّ أعظم المحرّمات من المطعومات في أصل الشرع هو هذه المذكورات.

ومعنى " إنّما " في الحديث، للحصر أي حصر صفات الناس وحالاتهم في هذا التمثيل والتشبيه، فهم كمائة من الإبل لا يكاد المرءُ يعثر فيها على جمل نجيب قويّ يصلُحُ للركوب وحمل الأثقال.

الناس: قيل أصله أناس، فحذف فاؤه "أ"، لمّا أدخل عليه الألف واللام فأصبح "الناس" بدل الأناس. وقيل قُلِبَ من نسي وأصله "إنسيان" على وزن "إفعلان". وقيل أصله من " ناسَ، يَنُوسُ: إذا اضطرب "

ولفظ الناس قد يذكر ويراد به الفضلاء منهم، دون من يتناوله اسم الناس تجوّزا، وذلك إذا اعتبر معنى الإنسانيّة وهو وجود العقل والتذكُّرِ وسائر

---

(1) السنن ـ الفتن ـ باب من ترجى له السلامة من الفتن 2/1321 حديث عدد 3990.

الأوصاف الحميدة، وإذا عدمت هذه الصفات يُصبح معنى الناس يشمل كلّ من يتناوله هذا الاسم كاليد التي فَقَدَتِ القدرةَ على الحركة والعمل فيضحى إطلاقُ اسم اليد عليها كإطلاقها على يد السرير ورجله.

فالمراد بالناس في الحديث: جموع البشر الذين ينطبق عليهم هذا الاسم على اختلاف حالاتهم وتبايُنِ صفاتهم بما فيهم من غفلة وعدم تدبّر وتمثّل أهداف وتعلّق بمُثُلٍ عليا. ويشير ابنُ بطّالٍ إلى أنّ المرادَ بالناسِ في الحديث من يأتي بعد القرون الثلاثة الأولى أي بعد أجيالِ الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان، حيث يظهر أقوام يخونون ولا يؤتمنون.

كإبل: كـ (**الكاف**): اسم بمعنى مِثْل، وتُعْرَبُ خبر المبتدإ " الناس ".

إبـلٍ: تعرب مضاف إليه، وفي رواية البخاري: كالإبل بزيادة الألف واللام، واللام هنا للجنس، وليست للعهد ولا للاستغراق. والإبل لفظ يقع على البعران الكثيرة، ولا واحد له من لفظه.

مائة: وفي رواية البخاري: **كالإبل المائة**: فقد عُرّفت المائةُ لأنَّهَا صفة تتبع الموصوف وهو الإبل المعرّفة.

قال أبو سليمان الخطابي: العرب تقول للمائة من الإبل: إبل. أي مائة بعير. ويقولون لفلان إبلان أي مائتا بعير.

فعبارة " مائة " الواردة في رواية: " كإبل مائة " تكون:

أ ـ **تفسيرا** لقوله: " كإبل " أي كمائة بعير.

ب ـ أو **تأكيدا** للرّقم مائة الذي تضمّنته عبارة " إبل ". ذلك أنّ لفظ " إبل " ليس مشهورَ الاستعمالِ في المائة فوضّحه الرسولُ ﷺ ورفع ما يمكن أن يحصل من الالتباس بذكر عبارة " إبل " فقط.

ج ـ أو **تضعيفا**: أي مائة في مائة فيصبح العدد عشرة آلاف بعير.

أمّا الراغب الإصفهاني [ت425هـ] فذهب إلى أنّ قوله ﷺ: كالإبل المائة، يراد به عشرة آلاف بعير لأنّ التقدير كمائة مائة. فهي عمليةُ تضعيف العدد

بضرب مائة في إبل الذي يعني العدد مائة. وتعقَّبَ ابنُ حجر العسقلانيُّ هذا الفهم بقوله: "لا يلزم من قوله، إنّ المرادَ عشرةُ آلافٍ بل المائة الثانية للتأكيد".

راحلـة: ناقة نجيبة شابّة قويّة مرتاضة تصلح للركوب، وهي البعير الكامل الأوصاف الحسن المنظر القويّ على الأحمال والأسفار، حتى إذا كان في جماعة من الإبل عُرِفَ لنجابته. قال أبو منصور الأزهريُّ صاحب "تهذيب اللغة": "الراحلة عند العرب: الذكر النجيب والأنثى النجيبة فالذكر والأنثى فيها سواء. و "الهاء" في الراحلة، للمبالغة كقولنا "طُلَعَة" [بضم الطاء وفتح اللام] شديد الشغف بالاطّلاع، و "رحّالة" أي كثير الترحال. و "نسّابة" واسع الاطلاع على الأنساب.

وسمّيت راحلة لأنّها تُرَحّلُ أي يجعل عليها الرحل فهي "فاعلة" بمعنى "مفعولة" كقولنا: "عيشة راضية" والمراد "مرضية".

كإبل مائة لا تجد فيها راحلة هكذا وردت العبارة في رواية الباب، وهي تحمل النفي المطلق أي نفي وجود راحلة ضمن هذا العدد الكبير من الإبل، وهو نفي على المبالغة وعلى أنّ النادر لا حكم له. وجاء في رواية أخرى: **كالإبل المائة لا تكاد تجد فيها راحلة**. وعبارة تكاد هي مضارع الفعل "كاد" وهو من أفعال المقاربة أي قارب وقوع الفعل ولكنه لم يقع، يعني يعسر ويندر وجودُ هذه الراحلة، ولكن مع ذلك العسر فإنّ هذه الراحلةَ توجد.

ورغم أنّ الروايتين متقاربتا المعنى، فإنّ الرواية التي تثبت فعل المقاربة: "لا تكاد"، أولى من رواية الباب لما فيها من زيادة في المعنى ومطابقة الواقع.

ـ ما معنى الحديث وعلام تأوّله العلماء ؟:

1 ـ قال ابن قتيبة [ت 276هـ]: معنى الحديث أنّ الناس في النسب كالإبل المائة التي لا راحلة فيها فهم متساوون في أنسابهم كتساوي الإبل في عدم وجود راحلة من بينها.

ويخطّىء كلّ من أبي بكر البيهقي [ت458هـ] وأبي منصور الأزهري [ت980م] ما ذهب إليه ابن قتيبة [ت276هـ] فقالا: " والمعنى الذي ذكره ابن قتيبة غلط ". ويريان أنّ المعنى الصحيح للحديث هو: " أنّ الزاهد في الدنيا. الراغب في الآخرة قليل كقلّة الراحلة في الإبل. "ويقول ابن حجر تعليقا على هذا الفهم للحديث: "إنه معنى جيّد إلا أنّ تعميمه بحيث يشمل الزاهد وغيره أولى ".

2 ـ وقال الخطابي [ت388هـ]: تأوّلوا الحديث على وجهين:

أحدهما: أنّ الناس في أحكام الدين سواء لا فضل فيها لشريف على مشروف ولا لرفيع على وضيع كالإبل التي لا يكون فيها راحلة.

والثاني: أنّ أكثر الناس أهلُ نقصٍ، وأمّا أهل الكمال فعددهم قليل جدّا، فهم بمنزلة الراحلة في الإبل الحمولة. ومنه قوله تعالى: ﴿ **وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾ [7 الأعراف 187].

3 ـ وقال ابن بطال [ت449هـ]: "معنى الحديث أنّ الناس كثير والمرضيّ منهم قليل "، وحتّى لا يتعارض هذا الفهم مع صدق ما أخبر به الرسول ﷺ من خيريّة جيله وجيلي التابعين وأتباعهم قال: "إنّ المراد بالناس في الحديث من يأتي بعد القرون الثلاثة " ثم يظهر أقوام يخونون ولا يؤتمنون.

ولعلّ هذا المعنى هو الذي يميل إليه الإمام البخاري وقد أومأ إليه بإدخاله في" باب رفع الأمانة " لأنّ غير المرضيِّ من الناس لا أمانة له فيحسن عدمُ معاشرته.

4 ـ وقال محيي الدين النوويّ [ت 673 هـ]: إنّ ما ذهب إليه البيهقيُّ والأزهريُّ جيّد إلّا أنّ الأجودَ منهما قولُ آخرين: "إنّ المرضيّ الأحوال من الناس الكامل الأوصاف قليل ".

5 ـ وقال أبو العباس أحمد بن عمرالقرطبي [ت656 هـ]: "الذي يناسب التمثيل أنّ الرجل الجواد الذي يحمل أثقال الناس. .ويكشف كربهم عزيزُ الوجود

كالراحلة في الإبل الكثيرة " .

ويتحصّل من كلّ هذا أنّ الناس كثيرون إلا أنّ من يصلح منهم لتحمّل المسؤولية وأداء الأمانة ويُعَوّلُ عليه في القيام بالمهام الجليلة والصمود في المُلِمّاتِ والحفاظ على المبدإ قليل نادر ندرةَ الراحلةِ في الإبل الكثيرة. والرسول ﷺ يحرّض المسلم كي يكون صاحب عقيدة ومبدإ وجهاد وأن يكون نجيبا نجابة الراحلة في الإبل الكثيرة.

<u>هذا حديث حسن صحيح</u>: ما مراد الترمذي بقوله: " حسن صحيح " ؟

ـ هذا التعبير من الترمذيّ مُشكل لأنّ للصحيح تعريفَهُ ومُوَاصَفَاتِهِ، وللحسن تعريفه وشروطه، فلا يجوز الجمع بينهما في عبارة واحدة. فهو يشبه قولنا عن شيء واحد إنّه أبيض وأسود معا، أو إنّه حارّ وبارد معا.

إلا أنّ العلماء حاولوا تفسير قول الترمذيّ بما يزيل هذا الإشكال، فكان مُجمل ما قالوه التالي:

1 ـ قال ذلك باعتبار وجود إسنادين للحديث أحدهما حسن والآخر صحيح، وهذا مردود لقوله أحيانا: " هذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه " .

2 ـ أو هو حسن باعتبار المتن من حيث عذوبةُ لفظه وفصاحتُهُ ومن حيث حلاوةُ معانيه ممّا تَميل إليه النفسُ كالأحاديث التي تتناول الجنة ونعيمَهَا ونحو ذلك وصحيح باعتبار السند. وفي هذا نظر لأنّه قد يصف حديثا في الحدود أوفي صفة جهنم " بحسن صحيح " .

3 ـ أو أنّه يشرّب الحديث الحسن بالصحّة كما يشرّب الحديث الصحيح بالحسن، ويصبح الجمع بينهما في هذه الحالة درجة متوسّطة بين الصحيح والحسن:

أ ـ صحيح. ب ـ حسن صحيح. ج ـ حسن.

وهذا التخريج تحكّم لا دليل عليه.

4 ـ يريد الترمذي بقوله "حسن صحيح " : صحيح و حسن على حذف حرف العطف " **الواو** " أي أنّه استوفى شروط الحسن وزاد تمام الضبط فأصبح صحيحا. ووجود الدرجة العليا وهي الصحّة لا تتعارض مع الدرجة الدنيا وهي الحسن. وفي هذا التخريج نظر كذلك لأنّ الترمذيّ لا يشترط في الصحّة تعدّد الطرق بينما اشترط في الحسن تعدّدها وقد يكون الحديثُ صحيحًا وليس له إلا طريق واحدة، وعليه فليس كلّ صحيح حسنا.

5 ـ أو يريد: صحيح أو حسن على حذف حرف التردّد " أو " ، أي كأنه يقول نظرا لتردّد العلماء فيه فمنهم من صحّحه ومنهم من حسّنه فقلت فيه: صحيح حسن. وهذا التخريج لا يعدو كونه احتمالا لا يدلّ على الجزم بأنّه مراد الترمذيّ.

6 ـ أو: هو صحيح لغيره حسن لذاته. وهذا مردود بقول الترمذي أحيانا: "هذا حديث حسن صحيح غريب "، حيث يجمع بين الصحة والغرابة.

7 ـ أو: هو حسن، وهو أصحّ شيء في بابه. وهذا مجرّد احتمال لأنّ التعبير عن الأصح بالصحيح غير معهود في اللغة.

8 ـ أو: هو بمعنى المقبول المعمول به، كقول مالك في الموطّإ: وعليه العمل ببلدنا. ولعلّ هذا التخريج لعبارة الترمذي هو الأقرب إلى الصواب. (1)

6 ـ **فوائد الحديث**:

1 ـ أهمّيّة الأمثال ودورُهَا التربويّ والتعليميّ في تقريب صورة الأشياء وتشخيص حقائق الناس النفسيّة وأخلاقهم ونوازعهم.

2 ـ وجوب الالتزام بالعقيدة ومتطلّباتها، وأداء المسؤوليّة على وجهها المطلوب، وسلك الطريق الصعب طريق الإصداع بالحقّ ونصرته، والواقع يثبت أنّ قول الحقّ والمناداة بالحريّة والعدالة والمساواة لا يقوى عليه كلّ الناس.

---

(1) انظر: تدريب الراوي 1/161 ـ 154، مقاصد الحديث في القديم والحديث 2/107 ـ 113، الباعث الحثيث 41.

3 ـ معرفة الرسول ﷺ بأحوال الناس وإلمامُهُ بنوازعهم وشهواتهم وما تهواه أنفسهم وما تنفر منه.

4 ـ الرسول ﷺ يعلّم الناسَ الخيرَ ويحضّ المسلم على أن يكون أهلا للأمانة والثقة، جديرا بتحمّل المسؤولية بكفاءة واقتدار، حتى يخدم دينه وأمّته وينفع الإنسانيّة.

5 ـ المسلم يسعى دائما إلى مرضاة الله ورسوله ﷺ بالارتقاء بسلوكه وقدراته وطاقاته الجسميّة والفكريّة والأخلاقيّة والعلميّة، حتى يكون مؤهّلا لأداء المهام الجسام التي كلّفه الله تعالى بأدائها وحتى يكون نجيبا نجابة الراحلة في الإبل المائة.

* * *

الحديث الرابع عشر:

قال الإمامُ البخاريّ رحمه الله تعالى: حَدّثَنَا محمدُ بْنُ سِنَانٍ قال: حدّثنا هُشَيْمُ [بْنُ أَبِي حَازِمِ السُّلَمِيّ] ح قال: **وَحَدّثَنِي سَعِيدُ بْنُ النَّضِرِ قال: أخبرنا هُشَيْم قال: أخبرنا سَيّار قال: حَدَّثنا يَزِيدُ ـ هو ابن صُهَيْبٍ الفَقِيرُ ـ قال: أخبرنا جابِرُ بْنُ عَبْدِ الله رضِيَ الله عنه أنّ النبيَّ ﷺ قال: أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحد قَبْلِي:**

1 ـ نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ

2 ـ وَجُعِلَتْ لِي الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمّتِي أَدْرَكَتْهُ الصلاةُ فَلْيُصَلِّ

3 ـ وَأُحِلّتْ لِي الْمَغَانِمُ وَلَمْ تُحَلّ لأَحَدٍ قَبْلِي

4 ـ وَأُعْطِيتُ الشفاعَةَ.

5 ـ وكان النبيّ يُبْعَثُ إلى قومه خاصّةً وبُعِثْتُ إلى الناسِ عَامّةً[1].

---

(1) صحيح البخاري - كتاب التيمم باب رقم 1 ـ متن فتح الباري 1/435-436 حديث 335.

المعنى العام للحديث:

يتناول هذا الحديثُ بالبيان جملةً من الخصائص التي ميّز الله بها نبيّنا محمّدا ﷺ وهي مزايا تُبرِزُ مكانته عليه الصلاة والسلام عند ربّه عزّ وجلّ، وما منّ به عليه وعلى أمّته من خيراتٍ.

ما سبب قول الحديث ؟ ومتى قاله النبي ﷺ ؟

جاء في إحدى الروايات أنّ الرسول ﷺ قال هذا الحديث في **غزوة تبوك** سنة 9 هـ، وهي آخر غزوات الرسول ﷺ وتعرف بغزوة العُسْرَةِ. وقد خرج فيها الرسول ﷺ في شهر رجب في فصل قيظ لقتال الروم الذين كانوا قد اعتدوا على رسوله الحارث بن عُمَيْرٍ الأزديِّ إلى عظيم بُصْرَى، عدا عليه شُرَحْبِيلُ بْنُ عمرو الغسّاني عامل القيصر على البلقاء من أرض الشام وقتله. فجهّز الرسول ﷺ لهم أوّلا غزوة مؤتة أو سريّة مؤتة في جمادى الأولى من السنة الثامنة للهجرة، وتُعرف بغزوة الأمراء الثلاثة: زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب وعبد الله بن رواحة. وهي غزوة ولئن لم يتمّ فيها أخذُ الثأر من قتلة رسول رسول الله ﷺ إلا أنّها أدخلتِ الرعبَ في قلوب الروم، كما تركت إحساسا عميقا في نفوس العرب في أرجاء الجزيرة، بقوّة المسلمين وإرادتهم الصلبة. ثم خرج لهم ﷺ بنفسه في السنة الموالية في غزوة تبوك السنة 9هـ.

ولمّا أحسّ الرومُ بمقدم الرسول ﷺ ووصوله تبوك، أخذهم الرعب ولم يَجْرُؤُوا على مواجهته ولقائه، فقال ﷺ: "أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي" الحديث. وأقام فيها عليه الصلاة والسلام عشرين يوما ثم رجع ظافرا غانما نتيجة مصالحة صاحب أيلَةَ[1] على الجزية، وصاحب دومة الجندل على الجزية وعلى تقديم ألفي بعير وثماني مائة رأس وأربعمائة درع وأربعمائة رمح. واستغرقت هذه

---

(1) وهي مدينة بجانب إيلات المرفإ الأردني على البحر الأحمر شمالي العقبة وما تزال أطلالها الرومانية قائمة، وهي غير "إيلياء" التي هي "القدس" حيث أطلق عليها الإمبراطور الروماني هادريان 117 ـ 138م [Hadrian] بعد أن قضى على ثورة اليهود سنة 135م اسم "إيلياء كابيتولينا" Aelia-Capitolina.

الغزوة خمسين يوما منها ثلاثون يوما في الطريق.

تخريج الحديث:

أ ـ المتابعات:

لقد تابع كلّ من: 1 ـ يحيى بن يحيى بن بُكير، و2 ـ الحسن بن إسماعيل، و3 ـ يحيى بن حسّان، محمدَ بْنَ سِنَانٍ وسعيدَ بْنَ النَّضِرِ في رواية الحديث عن هشيم:

1 ـ أمّا متابعةُ يحيى بن يحيى بن بكير فرواها مسلم في صحيحه قال: حدثنا يحيى ابن يحيى: أخبرنا هشيم. به بنحوه[1].

2 ـ وأمّا متابعة الحسن بن إسماعيل بن سليمان فرواها النسائي في سننه الصغرى قال: أخبرنا الحسن بن إسماعيل بن سليمان قال: حدثنا هشيم به بنحوه[2].

3 ـ أمّا متابعة يحيى بن حسّان فرواها الدارميّ في سننه قال: أخبرنا يحيى بن حسَّان: حدثنا هشيم به بنحوه[3].

ب ـ الشواهد:

وللحديث شواهد:

1 ـ من حديث حذيفة بن اليمان: رواه مسلم[4].

2 ـ ومن حديث أبي هريرة: رواه مسلم[5].

3 ـ ومن حديث ابن عباس: رواه أحمد في مسنده.[6]

---

(1) كتاب المساجد ومواضع الصلاة 1/370 حديث عدد 521 ـ 524.
(2) كتاب الغسل والتيمم ت باب التيمم بالصعيد ت المجتبى 1/209 حديث عدد 430.
(3) كتاب الصلاة ـ باب الأرض كلها طهور ما خلا المقبرة والحمام 1/263 حديث عدد 1396.
(4) كتاب المساجد 1/371 حديث عدد 522.
(5) كتاب المساجد 1/371 حديث عدد 523.
(6) 1/301.

4 ـ ومن حديث أبي ذرّ الغفاريّ: رواه أحمد في مسنده[1].

دلالة الرمز "ح":

روى الإمام البخاري هذا الحديث بسندين: عن محمد بن سنان عن هشيم ابن أبي حازم، وعن سعيد بن النضر عن هشيم وقد فصل بين السندين بالحرف "ح" للدلالة على تعدّد السند.

فالحرف "ح" يكتبه المحدّثون إذا كان للحديث أكثرُ من سند، فكلّما انتهى سند وبُدِىَ في ثان وُضِعَ في أوّله حرف "ح" مفردا مهملا ليدلّ على التحوّل من إسناد إلى إسناد آخر. وقارىء الحديث إذا وصل إلى هذا الحرف ينطقه كما هو ويمرّ، ويعني أنّ سندا آخر رُوِيَ به هذا الحديثُ[2].

الترجمة بإيجاز لرجال السند:

1 ـ (خ، د، ت، ق) **محمد بن سنان أبو بكر العوقي** [نسبة إلى العوقة حي من الأزد نزل فيهم] **الباهلي البصري** [ت 223 هـ]:

ـ روى عن هشيم بن أبي حازم السلمي، وهمّام بن يحيى بن دينار، وسليمان بن حيّان الأزدي الجعفري، وجرير بن حازم، وفُليح بن سليمان بن أبي المغيرة، ونافع بن عمر الجُمَحِيّ..

ـ وروى عنه البخاري وأبوداود، والعبّاس بن جعفر بن الزِّبْرِقَان، وأبوقلابة الرقاشي..

ـ قال عنه أبوحاتم: صدوق. وذكره ابن حبان في الثقات، ووثّقه يحيى بن معين. وقال عنه الدارقطني: ثقة حجة[3].

---

(1) 5/ 161 ـ 162.

(2) انظر التدريب 2/88.

(3) التعديل والتجريح 2/680 ترجمة 569 ـ تهذيب التهذيب 9/205 ترجمة 322.

2 ـ (ع) **هُشيم بن أبي حازم واسمه بشير بن القاسم بن دينار، أبو معاوية السّلمي مولاهم [104 ـ 183]:**

ـ روى عن حصين بن عبد الرحمن، وحميد الطويل، وخالد الحذَّاء وعمرو ابن دينار وعاصم الأحول والأعمش. .

ـ وروى عنه محمد بن سنان الباهلي، ومالك بن أنس، وشعبة والثوري وابن المبارك ووكيع بن الجرَّاح، وعليُّ بن المديني، وسعيد بن منصور وأحمد ابن حنبل. .

ـ وثّقه أبو زُرْعَةَ وأبو حاتم الرازيان، والعِجْلِيّ وابن سعد. وقال حماد بن زيد: ما رأيتُ في المحدّثين أنبل من هشيم. وثّقه هؤلاء الأعلام رغم أنّه كان يدلّس، حتى قال أسود بن سالم: كانوا يتعقّبون حديث هشيم إلاّ ما فيه أخبرنا[1].

3 ـ (خ) **سعيد بن النضر أبو عثمان البغدادي**، سكن آمُلَ جيحون [ت 234هـ]:

ـ روى عن هشيم بن أبي حازم، وعثمان بن عبد الرحمن الوقاص.

ـ روى عنه البخاري، والفضل بن أحمد بن سهل الآمليّ.

ـ ذكره ابن حبان في الثقات. وقال عنه أبو أحمد بن عديّ: مجهول الحال[2].

4 ـ (ع) **سيّار بن أبي سيّار واسمه وَرْدَانُ أبو الحكم العَنْزِيّ الواسطيّ ويقال البصريّ [ت122هـ]:**

ـ روى عن الشعبيّ عامر بن شراحيل، وثابت البنانيّ، وسليمان الأشجعيّ، ويزيد بن صهيب الفَقِّيرِ، وبكر بن عبد الله المزني، وابن حازم الأشجعيّ. .

ـ روى عنه شعبة بن الحجّاج، وهشيم بن أبي حازم السلميّ، وإسماعيل بن خالد، وسليمان التيميّ، وسفيان الثوري وقرّة بن خالد. .

ـ وثقه ابن معين والنسائيّ. وقال عنه أحمد: صدوق ثقة، ثبت في كلّ المشايخ[3].

---

(1) التعديل3/ 1183 عدد 1420 ـ تهذيب التهذيب 11/ 59 عدد 100.

(2) التعديل والتجريح3/ 1089 عدد 1279 ـ تهذيب التهذيب 4/ 92 عدد 155.

(3) التعديل والتجريح 3/ 1146 عدد 1364 ـ تهذيب التهذيب 4/ 291 عدد 501.

5 ـ خ، م، د، س، ق) **يزيدُ بْنُ صهيب أبو عثمان الفقِّيرُ الكوفي**، تابعيّ مشهور، لقّب "الفقّير" لأنّه شكا فقار ظهره وليس فقر المال، قال صاحب المحكم: رجل فقير مكسور فقار الظهر، ويقال له: فقّير بالتشديد أيضا.

ـ روى عن جابر بن عبد الله، وأبي سعيد الخُدْرِيِّ وابن عمر..

ـ روى عنه سيّار أبو الحكم، والحكم بن عتبة، وقيس بن سليم، وأبو حنيفة، والأعمش سليمان بن مهران.

قال عنه أبو حاتم وابن خَرَاشٍ: صدوق. أمّا ابن معين وأبو زرعة والنسائي فوثّقوه(1).

6 ـ (ع) **جابر بن عبدالله بن عمرو بن حرام أبو عبدالله السلميّ، ويقال أبو عبدالرحمن الأنصاريّ المدنيّ** [أمّه نسيبة بنت عقبة بن عديّ بن سنان، وهو آخر من توفّي من الصحابة في المدينة سنة 78هـ وصلّى عليه أبان بن عثمان وهو أميرها]:

ـ روى عن النبي ﷺ ويعدّ أحد المكثرين عنه، كما روى عن أبي بكر وعمر وعليّ وأبي عبيدة عامر بن الجراح، وطلحة بن عبيدالله ومعاذ بن جبل وعمار بن ياسر وخالد بن الوليد وأبي هريرة وأبي سعيد الخدريّ رضي الله عنهم أجمعين..

ـ وروى عنه جماعة من الصحابة، وجمع غفير من التابعين منهم: عمرو بن دينار، وسعيد بن المسيّب، وأبو جعفر الباقر محمد بن علي زين العابدين، والحسن البصري وغيرهم.

قال جابر: غزا رسول الله ﷺ إحدى وعشرين غزوة بنفسه، شهدت منها تسع عشرة غزوة، ولم أشهد بدرا ولا أحدا منعني أبي، فلمّا قتل لم أتخلّف. وشهد صفّين مع عليّ رضي الله عنهما.

ـ وجابر من فقهاء الصحابة، وكانت له حلقة في المسجد النبويّ يرتادها طلاب العلم. استغفر له النبي ﷺ ليلة البعير خمسا وعشرين مرّة(2).

---

(1) التعديل والتجريح 3/1230 عدد 1495 ـ تهذيب التهذيب 11/338 عدد 547.

(2) الاستيعاب 1/221ـ التعديل والتجريح 1/455 عدد 193 ـ الإصابة 1/213 عدد 1026.

شرح الحديث:

أعطيت خمسا: أي خمس خصال ومزايا وخصوصيّات.

وجاء في رواية: أعطيت ثلاثا، وفي أخرى: أعطيت ستّا. ولا يُظنّن أنّ بينها تعارضا إلا من توهّم أنّ ذكر الأعداد يدلّ على الحصر. وليس كذلك في الحقيقة كما قال القرطبي فمن قال عندي خمسة دنانير مثلا لا يدلّ هذا اللفظ على أنّه ليس لديه غيرها. ويجوز أن يكون الله تعالى أعلمه بثلاث ثم بخمس ثم بستّ وخلاصة القول: إنّ التنصيص على الشيء بعدد لا يدلّ على نفي ما عداه.

لم يعطهن أحد قبلي: وفي رواية أخرى وردت زيادة عبارة: " من الأنبياء ". وفي حديث ابن عباس: " لا أقولهنّ فخرا ". ومعنى العبارة: لم يجمع لأحد من الأنبياء قبل محمد ﷺ هذه الخصال الخمس.

الرعب: الانقطاع من امتلاء الخوف، يقال: رَعَبْتُهُ فرَعَبَ [بفتح الراء والعين والباء] رعبا، فهو رَعِب [بكسر العين]. أي أنّه مليء خوفا.

مسيرة شهر: أي المسافة التي يقطعها المسافر سيرا طوال شهر كامل.

مسجدا: مصلّى، مكانا يصلح للصلاة فيه.

أحلّت: حلّ الشيء يحلّ حلا كان حلالا، وأحلّ الشيءَ إحلالا: جعله حلالا ضدّ حرام.

الغنائم: ويقال أيضا مغانم جمع غنيمة، وهي ما يؤخذ ويظفر به من الكفار وأهل الشرك بالقتال عنوة. أما الفيء فهو ما يؤخذ منهم صلحا.

الشفاعة: من شفع - شفاعة فهو شافع وشفيع. و **الشفاعة**: هي سؤال فعل الخير للمشفوع له وترك الإضرار به والتجاوز عنه والصفح عن ذنوبه وتجاوزاته. والشفاعة من الشفع وهي الضمّ لأنّ الشافع ضمّ نفسه في الطلب إلى المشفوع له. وأكثر ما يستعمل في انضمام من هو أعلى حرمة ومرتبة إلى من هو أدنى. والشأن في الشافع أن تكون له حظوة ومكانة عند المشفوع لديه.

يبعث إلى قومه: أي كانت رسالة الأنبياء السابقين محدودة محصورة في أقوامهم.

يقول تعالى عن نوح: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ [7 الأعراف 59] ويقول عن هود: ﴿۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ [7 الأعراف 65]، ويقول عن صالح: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا﴾ [7 الأعراف 73]، كما يقول عزّ وجلّ عن لوط: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ﴾ [7 الأعراف 80].

وبعثت إلى الناس عامّة: أي أنّ رسالة محمد ﷺ عامّة إلى الخلق جميعا مهما تباعدت أوطانُهم وتباينت ألوانهم وألسنتهم واختلفت أعصارهم. وهو ما تنطق به عدّة آيات من كتاب الله من ذلك قولُهُ عزّ وجلّ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [7 الأعراف 158]، وقوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [34 سبأ 28].

هل خصّ النبيّ محمد ﷺ بهذه المزايا الخمس فقط ولم يعط غيرها؟

يُفهم من الحديث أنّ الرسول ﷺ لم يعط هذه الخصائص الخمسة فقط، إذ بتتبّع رواياته ندرك أنّ الله تعالى قد أعطى النبي ﷺ جملة أخرى من الخصائص والمزايا منها:

6 ـ **جوامع الكلم**: وهي الألفاظ القليلة العدد الكثيرة المعاني: مثل قوله ﷺ "الحج عرفة" "الحرب خدعة" "اشفعوا تؤجروا" "إنّما الأعمال بالنيات".

7 ـ **ختمتْ به النبوّاتُ**: فكان خاتم المرسلين، فقد جاء عند مسلم من حديث أبي هريرة "... أعطيت جوامع الكلم وختم بي النبيّون"

8 ـ **جعلت صفوف المسلمين في الصلاة مستقيمة كصفوف الملائكة**. فقد ثبت من حديث حُذَيْفَةَ بن اليمان عند مسلم: "... جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة"

9 ـ **رفع عن أمّته الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه**.

10 ـ **أعطى الآيات الأواخر من سورة البقرة**: ﴿۞ وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا۟ كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ ۖ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ ۗ وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ۞ لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى

ٱلْأَرْضِۗ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ * ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ * لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [2 البقرة: 283، 284، 285، 286].

11 ـ **أعطى مفاتيحَ الأرض**: المفاتيح والمفاتح جمع المفتح والمفتاح وهو ما يفتح به. ومعنى مفاتيح الأرض، خزائنها ويقصد بها أموال **كسرى** إمبراطور الفرس، و **قيصر** إمبراطور الروم التي ستتحوّل إلى غنائم للمسلمين عند الفتوح.

12 ـ **سمّي أحمدَ**: وقد سمّاه جدّه عبد المطّلب محمّدا رجاء أن يحمد في الأرض وفي السماء. ومحمّد وإن كان اسم علم له ﷺ، ففيه إشارة إلى وصفه بالحمد وتخصيصه به، وقد كان فعلا حتى قبل بعثته محمودا في أخلاقه وأحواله. جاء في حديث عليّ عند أحمد في المسند: "وأعطيت مفاتيح الأرض وسمّيت أحمد وجعلت أمّتي خير الأمم". وحينما بشّر به عيسى عليه السلام قال: ﴿وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُۖ﴾ [61 الصفّ 6] وقد خصّ لفظة أحمد في هذه البشارة تنبيها أنّه ﷺ أحمد منه ومن الذين قبله.

13 ـ **وهو صاحبُ لواء الحَمْدِ يوم القيامة تحته آدم فمن دونه** يعني انفراده ﷺ بالحمد يوم القيامة وشهرته به على رؤوس الخلق، والعرب تضع اللواء موضع الشهرة.

14 ـ **جعلت أمّته خير أمة أخرجت للناس**: مصداقا لقوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِۗ﴾ [3 آل عمران 110].

15 ـ **غفر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر**.

16 ـ **أعطى الكوثر** وهو نهر في الجنة، والكوثر أيضا هو الخير الكثير العميم. جاء في حديث ابن عباس عند أبي داود: "وأوتيت الكوثر ".

بيان الخصوصيّات الخمس:

أ ـ **نُصرت بالرعب مسيرة شهر**: المقصود أنّ الله يقذف الرعب في قلوب أعداء رسول الله ﷺ رغم بعد المسافات الفاصلة بينه وبينهم ورغم أنّ الرسول ﷺ لا يملك قوّة ماديّة كبيرة بل فكثيرا ما لا يجد حتى الطعام، وليس المراد حصول مجرّد الرعب وإنّما ما ينشأ عنه غالبا من ضعف الروح المعنوية في نفس العدوّ فيفشل وينهزم فيتمّ الانتصار عليه وهذه الخصوصيّة حاصلة للنبيّ ﷺ على الإطلاق حتى ولو كان وحده بغير عسكر. وعليه فلا يعترض على هذا بخوف الناس من الجبابرة مسيرة شهر أو أكثر لأنّ خوفهم إنّما هو ناشيء عمّا يملكه هؤلاء الجبابرة من جيوش جرّارة وأسلحة فتّاكة، وأدوات بطش وتنكيل. ولا شكّ أنّ بلقيس ملكة سبإ حينما خافت من سليمان مسيرة شهر وأكثر إنّما كان خوفها بسبب ما يملكه سليمان من قوة ضاربة.

وقد وعد الله نبيّه ﷺ بأن يلقي الرعب في نفوس الكافرين فقال تعالى: ﴿ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًاۖ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [7 آل عمران 151] وقال الله تعالى في شأن معركة بدر: ﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُواْ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾ [8 لأنفال: 12]

وقد يسأل سائل: هل ثمّتَ احتمالُ حُصُولِ خصوصيّة النصر بالرعب للأمّة الإسلاميّة بعد نبيّها ؟

والجواب: إذا عاد المسلمون إلى الله عودا جميلا وساروا على محجّة الله البيضاء وتمسّكوا بما جاء في كتابه وسنّة نبيه ﷺ بصدق وإخلاص فقد ينصرون بالرعب ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [22 الحج 40]

مسيرة شهر: جعلت الغاية شهرا لأنّه لم يكن بين المدينة وبين أحد من أعدائه أكثر من شهر.

ب ـ **وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا**: **مسجدا** أي موضعا للصلاة، و **طَهورا** [بفتح الطاء] أي تربة الأرض تطهّر المتيمّم بها كما يطهّره الماء. فالأرض كلّها صالحة للتَّطَهُّرِ وللصلاة فيها فهي كالمسجد. فأيّما رجل أو امرأة من أمّة الإسلام أدركته الصلاة بمكان ما فليصلّ إلّا فيما تُيُقِّنَتْ نجاسَتُهُ، أو في المواضع المستثناة بالشرع فهذه لا تجوز الصلاة فيها.

والأرض طهور أي مطهّرة كالماء، فمن لم يجد ماء فليتيمّم وليصلّ حيث كان. فهي خصوصيّة لهذه الأمة ذلك أنّ أصحاب الديانات القديمة إنّما يصلّون في كنائسهم وبيعهم ومحاريبهم.

فأيّما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصلّ: لفظ **أيّ**: مبتدأ متضمّن لمعنى الشرط ـ وما: زائدة لزيادة التعميم. والجملة "**فليصلّ**": خبر المبتدإ "أي"، ودخلت الفاء عليه لكون المبتدأ متضمّنا معنى الشرط.

من أمّتي: جار ومجرور يتعلّق بوصف محذوف تقديره " كائن من أمتي ".

أدركته الصلاة: جملة من الفعل والفاعل والمفعول به في محل جرّ صفة لرجل.

ج ـ **وأحلّت لي المغانم ولم تحلّ لأحد قبلي**:

يقول بعض العلماء إنّ من تقدّم من الأنبياء على ضربين:

ـ منهم من لم يؤذن له بالجهاد فهذا لم تكن له مغانم.

ـ ومنهم من أذن له بالجهاد ولكن إذا غنم شيئا لم يحلّ له أن يأكله.

د ـ **وأعطيت الشفاعة**: اللام في الشفاعة للعهد، أي الشفاعة المعهودة، والمراد بها الشفاعة العظمى العامّة وهي التي تكون في المحشر حيث يفزع الخلق إليه ﷺ من هول الموقف، فيشفع لأهل الصغائر والكبائر لإراحتهم ممّا هم فيه من

عذاب. جاء في حديث ابن عباس أنّ النبي ﷺ قال: "أعطيت الشفاعة فأخّرتها لأمّتي، فهي لمن لا يشرك بالله شيئا".

هـ ـ **وكان النبيّ يبعث إلى قومه خاصّة وبعثت إلى الناس عامّة:** وجاء في رواية أخرى: وبعثت إلى كلّ أحمر وأسود: وفي رواية ثالثة: وأرسلت إلى الخلق كافّة: فالرسول ﷺ بعث إلى العرب والعجم وإلى الخلق جميعا إنسهم وجنّهم. قال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [17 الإسراء 88] وكان الأنبياء السابقون يبعثون إلى أقوامهم خاصّة. وتحدّث القرآن الكريم عن عموم رسالة محمد ﷺ فقال: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [7 الأعراف 158] وقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [34 سبأ 28] فرسالة الإسلام عامّة وباقية إلى يوم القيامة وصالحة لكلّ زمان ومكان.

إشكال وبيانه!:

يشكل على قولنا: "إنّ رسولنا وحده دون سائر الأنبياء بعث للخلق كافّة، وسائر الرسل الآخرين كانوا يبعثون إلى أقوامهم خاصّة" ما يلي:

1 ـ أنّ آدم كان مرسلا لمن في الأرض جميعا !؟

2 ـ وأنّ نوحا عليه السلام كان مبعوثا إلى أهل الأرض كلّهم، ويدلّ على عموم رسالته كونُهُ دعا على جميع من في الأرض: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ [71 نوح26]، فأهلكوا بالغرق إلاّ أهل السفينة، ولو لم يكن مبعوثا إليهم، لما أهلكوا لقوله تعالى: "وما كنّا معذّبين حتى نبعث رسولا"، وقد ثبت أنّ نوحا أوّلُ الرسل! حيث إنّ هذا العموم إنّما كان بعد خروجه من السفينة، فأصبح مبعوثا إلى سكّان الأرض جميعا وهم المؤمنون الذين نجَوْا معه من الغرق بالطوفان، إذ لم يبق على وجه الأرض سواهم.

3 ـ كما أنّ سليمان بن داود بن عيسى عليه السلام الذي حكم ما بين 963 ـ 923 ق م، كان يسير في الأرض ويأمر بالإسلام، مثلما فعل مع بلقيس ملكة سبإ

ومع غيرها، فكان يهدّدهم بالقتال وذلك دليل على عموم رسالته، مع ثبوت بعثته إلى قومه فقط !؟

ويجاب عن هذا الإشكال بما يلي:

1 ـ أمّا آدم فقد اتّفق في وقته أنّه لم يكن على وجه الأرض غير أولاده، فعمّت نبوّته الأرضَ اتفاقا لا قصدا وتدبيرا.

2 ـ أمّا نوح فبعد الطوفان لم يبق إلاّ من كان معه في السفينة، وهذا لا يؤدّي إلى عموم رسالته. أمّا دعاؤه على أهل الأرض جميعا، وإهلاكهم بالطوفان فلا يعني أنّ رسالته عامَّة، وإنّما نظرا إلى أنّه طال عمره وبلغت رسالته أمّته وغيرها من الأمم، فيصبح الإيمان بالنبيّ بعد ثبوت النبوّة واجبا على كلّ من بلغته الدعوة سواء كانوا قومه المبعوث إليهم أو غيرهم، تماما كإيماننا نحن بالأنبياء السابقين مع عدم بعثهم إلينا. فهذا العموم الذي أصبح في رسالته إنّما كان بسبب انحصار الخلق في الموجودين معه، ولم يكن في أصل رسالته، أمّا نبيّنا محمّد ﷺ فعموم رسالته من أصل البعثة فثبت اختصاصه بذلك.

3 ـ أمّا سليمان بن داود فإنّ دعوة كلّ نبيّ تتضمّن واجباتٍ ومحرّماتٍ ومندوباتٍ، فبالنسبة لقومه المبعوث إليهم يطالبهم بهذه كلّها مجموعة ويفرض عليهم قبولها، كما أنّ الله يعاقبهم عند الصدود عنها والكفر بها. أمّا غير قومه المبعوث إليهم فدعوته لهم وتهديدهم بالقتال من باب المندوب. فتكون رسالته التي يكون قتال المكذبين بها واجبا الرسالة الخاصة بقومه.

<u>ما يستنبط من الحديث:</u>

1 ـ مكانة نبيّنا السامية عند ربّه.

2 ـ مشروعيّة التحدّث بنعم الله وتعدادها ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [93-الضحى11].

3 ـ جواز التعليم قبل أن يسأل سائل العلم.

4 ـ الأصل في الأرض الطهارة.

5 ـ الصلاة تجوز في كلِّ مكان يصلح للصلاة على أن نتيقّن طهارته.

6 ـ تفضيل نبيّنا ﷺ على سائر الأنبياء.

7 ـ رحمة الله بهذه الأمّة وامتنانه تعالى عليها بأن رخّص لها في الطهور بالأرض والصلاة فيها، وكانت الأمم السابقة لا يصلّون إلا في كنائسهم وبيعهم.

* * *

الحديث الخامس عشر:

بابٌ: مَنْ قُضِيَ لَهُ بِحَقِّ أَخِيهِ فَلا يَأْخُذْهُ
فَإِنّ قَضَاءَ الحَاكِمِ لا يُحِلُّ حَرَامًا وَلا يُحَرِّمُ حَلالا

قال الإمام البخاريّ رحمه الله: حدَّثَنا عبدُ العزيزِ بْنُ عبدِ الله: حدَّثنا إبراهيمُ بْنُ سَعْدٍ عَنْ صَالحٍ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ قال: أَخْبَرَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ أَنَّ زَيْنَبَ ابْنَةَ أَبِي سَلَمَةَ أَخْبَرَتْه أنّ أمّ سَلَمَةَ زَوْجَ النبيِّ ﷺ **أَخْبَرَتْهَا عَنْ رَسُولِ الله ﷺ، أنّهُ سَمعَ خُصُومَةً بِبَابِ حُجْرَتِهِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ فقالَ: «إنّمَا أَنَا بَشَر وَإِنّهُ يَأْتِينِي الْخَصْمُ فَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَبْلَغَ مِنْ بَعْضٍ، فَأَحْسَبُ أنّهُ صَادِق فَأَقْضِي لهُ بذلكَ، فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ بِحَقِّ مُسْلِمٍ فَإِنّمَا هِيَ قِطْعَة مِنَ النَّارِ، فَلْيَأْخُذْهَا أَوْ يَتْرُكْهَا»**[1].

شرح ترجمة الباب:

باب: بالتنوين خبر لمبتدإ محذوف تقديره هذا.

بحقّ أخيه: أي خَصْمه. فهي أخوّة **بالمعنى الأعمّ**، وهو الجنس لأنّ المسلم

---

(1) صحيح الإمام البخاري - كتاب الأحكام - حديث 7181 متن فتح الباري 13/184 وكتاب المظالم - باب إثم من خاصم في باطل وهو يعلمه - متن فتح البارى 5/107 عدد 2458.

والذّمّي والمعاهد والمرتدّ في هذا الحكم سواء. فالمراد بخصمه: أعمّ من أن يكون مسلما أو ذمّيا أو معاهدا أو مرتدّا. ويحتمل أن يكون تخصيصُ الأخوة بالذكر من باب التهييج أي إثارة المعاني الإنسانيّة في النفس من أخوَّةٍ وعواطف الخير ونحوها... وعبّر بقوله: **بحقّ أخيه** مراعاة للفظ الخبر الذي ورد في كتاب ترك الحيل من طريق سفيان الثوري عن هشام بن عروة عن عروة بن الزبير به: "... **فمن قضيت له من حقّ أخيه شيئا فلا يأخذه**..."[1].

فلا يأخذه: فهو بقية الخبر.

فإنّ قضاء الحاكم...: أخذ البخاري هذه العبارة من كلام الإمام الشافعيّ لمّا ذكر هذا الحديث حيث قال: " فيه دلالة على أنّ القضاة إنّما كلّفوا القضاء على الظاهر وفيه أنّ قضاء القاضي لا يحرّم حلالا ولا يحلّ حراما ".

والمعنى الذي يريد الإمام البخاري إبرازه بهذه الترجمة هو: هذا باب أذكر فيه حديثا أو أكثر من أحاديث الرسول ﷺ التي تبيّن أنّ حكم القاضي لا يحلّ حراما ولا يحرّم حلالا، وعلى المقضيّ له بحقّ غيره أن يحاسب نفسه قبل أن يحاسبه الله، فلا يأخذ ما ليس له.

المعنى العام للحديث:

يتناول هذا الحديث بالبيان بشريّة الرسول ﷺ ومنهجه في القضاء، فهو يقضي بين المتخاصمَيْنِ بحسب ما يسمع منهما، وما يدلي به كلّ منهما من شهادات ووثائق على أساس صدقهما فيما قدّما، فهو يحكم بالظاهر وأمّا السرائر فيتولاها الله. وعليه فإذا قضى لأحد الطرفين بحقِّ خصمه فعلى المقضيِّ له أن يحاسب نفسه فيردّ الحق لصاحبه ولا يأكل ما ليس له قبل أن يعرض على الديّان الذي لا يَعْزُبُ عنه شيء فيعاقب الظالم بعدله تعالى.

الترجمة بإيجاز لرجال السند:

1 - (خ. د. ت. ق. كن [النسائي في مسند مالك]) **عبد العزيز بن عبد الله بن يحي**

(1) متن فتح الباري 12/339 ـ الحديث 6967.

ابن عمرو بن أُوَيْسِ بْنِ سَعْدِ بن أبي سَرْحِ القرشيُّ المدني العامريُّ المعروف بالأُوَيْسِيِّ [وهو حجّة متّفق عليه، لم تُعْرَفْ سنةُ وفاته إلا أنّها لا شك في القرن الثالث]:

روى عن مالك بن أنس، وسليمان بن بلال، وإبراهيم بن سعد، ومحمد بن جعفر بن أبي كثير، والدراوَرْدِيِّ. .

روى عنه البخاريُّ، كما روى عنه أبوداود والترمذيُّ والنَّسَائِيُّ في مسند مالك، والربيع بن سليمان الجِيزِي. .

قال عنه أبو حاتم الرازي: هو صدوق. ووثّقه يعقوبُ بن شيبة وأبوداود، إلا أنّ أباداود في سؤالات الآجُرِّي قال: عبد العزيز الأوْسِيُّ ضعيف. أمّا الخليليُّ فقال عنه: حجّة متفق عليه(1).

2 - (ع) **إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمان بن عَوْفٍ أبو إسحاق** [110 وقيل 108 ـ 183 وقيل 184هـ]:

روى عن أبيه سعد، والزهري، وصالح بن كيسان وهشام بن عروة، ومحمد بن إسحاق، وشعبة بن الحجاج. .

روى عنه ابناه يعقوب وسعد وأحمد بن يونس والليث بن سعد، وقيس بن الربيع ويزيد بن الهاد والقَعْنَبِيُّ محمّد بن مسلمة وأبو الوليد وأبو داود الطيالسيان وغيرهم

وثقه أحمد بن حنبل وأبوحاتم محمد بن إدريسَ الرازي والنَّسَائيُّ وابن معين والعِجْلِيّ. وقال أحمد في مناسبة أخرى: أحاديث إبراهيم بن سعد مستقيمة. كما قال عنه يحيى بن معين: ثقة حُجّة.

ذكر الخطيب في تاريخه: أنّ إبراهيم بن سعد قدم بغداد سنة 184هـ وأكرمه الرشيد، وفيها أرّخ ابنُ أبي عاصم وفاته(2).

(1) التعديل والتجريح 2/ 898 الترجمة954، تهذيب التهذيب 6/345 عدد 662.

(2) التعديل والتجريح 1/355 عدد 17 ـ تهذيب التهذيب 1/121 عدد 216.

3 - ع) صالح بن كَيْسَانَ أبو محمد مولى غِفَارٍ ويقال أبو عثمان، المديني: [توفي في زمن مروان بن محمد الخليفة الأموي الرابع عشر والأخير(127ـ 132 هـ) وقيل بعد ذلك]:

روى عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، وعروة بن الزبير، والأعرج، ونافع مولى ابن عمر والزهري، وسالم بن عبد الله بن عمر...

روى عنه مالك بن أنس، وابن جريج، وابن عيينة، وسليمان بن بلال، وإبراهيم بن سعد وابن إسحاق ومعمر بن راشد..

كان عالما فضمّه عمر بن عبد العزيز إلى نفسه، واتّخذه مؤدّبا لولده، وكان يأخذ عنه هو نفسه. قال مصعب الزُّبَيْرِيُّ: كان صالح بن كيسان جامعا بين الحديث والفقه والمروءة.

وثّقه ابن معين والنسائيّ وابن خَرَاشٍ والعِجْلِيّ. وقال يعقوب بن شيبة: صالح ثقة ثبت. وقال عنه ابن عبد البر: ثقة حجّة فيما حمل. وسئل عنه أحمد بن حنبل ؟ فقال: بخ !بخ!. رأى ابن عمر وابن الزبير وقال ابن معين: سمع منهما. فهو يعدّ من ثقات التابعين[1].

4 - **(ع) محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري أبو بكر المدني**. [ت124 هـ عن 92 سنة]: تقدّمت ترجمته في الحديث الثالث عشر.

5 - **(ع) عروة بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى - أبو عبد الله المدني**، أمّه أسماء بنت أبي بكر وخالته عائشة أمّ المؤمنين أخذ عنهما وعن عدد جمّ من الصحابة[ت 99 -100 - 101 هـ]: تقدّمت ترجمته في الحديث الأول.

6 - (ع) زينب بنت أبي سَلَمَةَ عَبْدِ الله بْنِ عبد الأسد بْنِ هلال بْنِ عبد الله بْنِ عُمَرَ بْنِ مَخْزُومٍ أمّها **أمّ سلمة** هند بنت أبي أميّة بن المغيرة، وكان إسمها برّة فسمّاها رسول الله ﷺ زينب [ت 73هـ وحضر جنازتها عبد الله بن عمر]:

(1) التعديل والتجريح 2/783عدد 748 ـ تهذيب التهذيب 1/121 عدد 216.

روت عن النبيّ ﷺ وعن أمّها أمّ سلمة وعائشة وزينب بنت جحش وأمّ حبيبة بنت أبي سفيان أمّهات المؤمنين رضي الله عنهنّ.

روى عنها إبنها أبو عبيدة بن عبد الله بن زمعة، وعروة بن الزبير، وأبو سلمة بن عبد الرحمان، وزين العابدين علي بن الحسين بن عليّ، وحميد بن نافع وكليب بن وائل، وأبوقلابة الجرمي..

ـ لمّا تزوّج النبيّ ﷺ أمّها بعد وفاة أبي سلمة رضي الله عنه، كانت ما فُطِمَتْ بعد فَرُبّيت في أحضان رسول الله ﷺ، كانت فقيهة ذاتَ علم واسع، بل فقد كانت أفقه امرأة في المدينة المنوّرة[1].

7 - (ع) **أمّ سلمة هند بنت أبي أميّة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم أمّها عاتكة بنت عامر بن ربيعة بن مالك الكنانيّة** [كان أبوها أبو أميّة يعرف بزاد الراكب لأنّه كان أحد الأجواد، فكان إذا سافر لا يترك أحدا ومعه زاد، بل يكفي رفقته الزاد، وهي أوّل امرأة هاجرت إلى الحبشة، وأوّل ظعينة دخلت المدينة وقيل إنّ ليلى امرأة عامر بن ربيعة شركتها هذه الأوّليّة. كانت تحت ابن عمّها أبي سلمة عبدالله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وكانت ممّن أسلمتْ قديمًا هي وزوجُهَا وهاجرا إلى الحبشة فولدت له سلمة، ثمّ قدما مكّة، وهاجرا إلى المدينة فولدت له عمر ودرّة وزينب. شهد أبو سلمة أُحُدًا وَرُمِيَ بسهم فعاش بعده خمسة أشهر أو سبعة، وتوفّي، وحلّت أمّ سلمة فتزوّجها النبي ﷺ في شوّال سنة 4هـ وقيل سنة 3هـ. توفّيت سنة 61 هـ بعدما جاءها نعي الحسين بن عليّ رضي الله عنه]:

روت عن النبي ﷺ و عن أبى سلمة، وفاطمة بنت الرسول ﷺ.

روى عنها ابناها عمر وزينب ابنا أبى سلمة، ومكاتبها ومولاها نَبْهَانُ المخزوميُّ أبو يحي، و أخوها عامر بن أبي أمية، وخَيْرَةُ أمّ الحسن البصرى،

---

(1) الاستيعاب 4/319 ـ التعديل والتجريح3/1286عدد 1714 ـ الإصابة 4/317 عدد 484ـ تهذيب التهذيب 12/421 عدد 2802.

وسليمان بن يسار، وعروة بن الزبير وعبد الله بن عبد الرحمان بن أبي بكر وهند بنت الحارث وخلق كثير.

كانت أمّ سلمة موصوفةً بالجمال البارع والعقل البالغ والرأي الصائب، وإشارتها على النبيّ ﷺ يوم الحديبية[1] تدلّ على وفور عقلها وصواب رأيها[2].

تخريج الحديث:

متابعات الحديث:

تابع **شعيبُ بْنُ أبي حمزة الحمصي**، صالحَ بْنَ كيسان في رواية الحديث عن ابن شهاب. كما تابع **هشامُ بْنُ عروة**، الإمامَ الزهريَّ في رواية الحديث عن عروة بن الزبير.

1 أمّا متابعة شعيب بن أبي حمزة فرواها البخاري في جامعه الصحيح قال:

حدّثنا أبو اليمان: أخبرني شعيب بن أبي حمزة الحمصي عن ابن شهاب الزهري به، مكتفيا بالجزء المرفوع في الحديث[3].

2 أمّا متابعة هشام بن عروة فرواها: 1ـ مالك في الموطإ. 2 ـ البخاري في الصحيح. 3 ـ مسلم في صحيحه. 4 ـ النسائي في سننه 5 ـ أحمد في مسنده.

1 ـ أمّا مالك فرواها في الموطّإ قال: حدّثنا يحيى بن يحيى الليثي عن مالك عن

---

(1) رأى بعض المسلمين في صلح الحديبية إجحافا بهم فأذهلهم الغمّ، ولمّا أمرهم الرسول بالنحر والحلق، لم يقم أحد منهم لفعل ذلك، فأشارت عليه أمّ سلمة رضي الله عنها بأن ينحر هو ويحلق دون أن يكلّم أحدا منهم، فلمّا فعل النبيّ ذلك قاموا فنحروا وحلقوا وقصّروا. .[السيرة النبويّة في ضوء القرآن والسنّة ـ محمد محمد أبو شهبة 2/337 ـ ط5 ـ 1419هـ/ 1999م ـ دار القلم ـ دمشق ـ الدار الشامية ـ بيروت.

(2) الاستيعاب 4/454 ـ الإصابة 4/458 عدد 1309 ـ تهذيب التهذيب 12/455 عدد 2905.

(3) الأحكام – باب القضاء في كثير المال وقليله متن فتح الباري 13/190 حديث عدد 7185.

هشام بن عروة عن أبيه به مكتفيا بالقسم المرفوع من الحديث[1].

2 ـ أمّا البخاريّ فرواها في الجامع الصحيح قال: حدثنا عبد الله بن مسلمه القَعْنَبِيُّ عن مالك بن أنس عن هشام بن عروة عن أبيه به بلفظه تقريبا:

أ ـ الشهادات: باب من أقام البينة بعد اليمين[2].

ب ـ الأحكام: باب موعظة الإمام للخصوم[3].

ج ـ الحيل: باب 10 (بدون ترجمة): حدثنا محمد بن كثير عن سفيان الثوري عن هشام بن عروة به بلفظه تقريبا[4].

3 ـ أمّا مسلم فرواها في صحيحه قال: حدثنا يحيى بن يحيى التيمي: أخبرنا أبو معاوية عن هشام بن عروة به مكتفيا بالجزء المرفوع من الحديث[5].

4 ـ أمّا النسائي فرواها في سننه قال: أخبرنا عمرو بن علي: حدّثنا هشام بن عروة: حدّثني أبي به مقتصرا على الجزء المرفوع من الحديث[6].

5 ـ أمّا أحمد فرواها في مسنده: قال: حدثنا أبو معاوية: حدّثنا هشام بن عروة عن أبيه به مقتصرا على الجزء المرفوع.[7]

ـ مطابقة الحديث للترجمة:

تؤخذ من قوله ﷺ: فأقضي له بذلك فمن قضيت له بحقِّ مسلم فإنّما هي قطعة من النار فليأخذها أو ليتركها.

شرح الحديث:

خصومة: من خَصَمَ خصما، وخاصم مخاصمة وخِصاما أي نازع، منازعة. وفي

---

(1) الأقضية ـ باب الترغيب في القضاء بالحق 2/719 حديث عدد 1.
(2) متن فتح الباري 5/288 حديث عدد 2680.
(3) متن فتح الباري 13/168 حديث رقم 7169.
(4) متن فتح الباري 12/355 حديث عدد 6967.
(5) كتاب الأقضية: باب بيان الحكم بالظاهر واللحن بالحجة 3/1337 حديث عدد 1713.
(6) كتاب آداب القضاء: باب الحكم بالظاهر 8/233 حديث عدد 5398.
(7) 6/290.

رواية: سمع **جلبة خصام**: الخصام جمع خصيم ككرام جمع كريم. **والجلبة**: اختلاط الأصوات وفي رواية: **جلبة خصم**: وخصم اسم مصدر وهو المخاصم يستوي فيه الواحد والجمع والمثنى مذكرا ومؤنثا. ويجوز جمعه: خصوم. وتثنيته: هذان خصمان وفي رواية: **لجبة** وهي لغة في الجلبة.

والخصوم لم يعرفوا أي لم يعيّن أصحاب الجلبة: وقيل إنّهما كانا اثنين من الأنصار اختصما في مواريث لهما وفي أشياء قد درست وليس بينهما بيّنة. وفي رواية عبد الله بن رافع مولى أمّ سلمة أنّها كانت في مواريث لهما.

باب حجرته: والحجرة هي منزل أمِّ سلمة. وفي رواية: بباب أم سلمة.

إنّما أنا بشر: البشر **الخلق** يُطلق على الواحد والجماعة، يعني أنَّهُ منهم: والمراد أنه مشارك للبشر في أصل الخلقة، ولو زاد عليهم بالمزايا التي اختصّ بها في ذاته وصفاته. أي أنا بشر، ولا أدري باطن ما تتحاكمون فيه عندي... وإنّما أقضي بينكم على ظاهر ما تقولون.

فإذا كان الأنبياء عليهم السلام لا يعلمون ما تخفيه صدورُ الناسِ فغير جائز أن تصحّ دَعَاوَى غيرهم من كاهنٍ أو منجِّمٍ، العلم؛ وإنما يعلم الأنبياء من الغيب ما أُعْلِمُوا به بوجه من الوحي.

إنّما: للحصر وهو حصر مجازي لأنّه يختصّ بالعلم الباطن. ويسمّى "**قصر قلب**" لأنّه أتى به ردّا على من زعم أنّ من كان رسولا فإنّه يعلم كلّ غيب حتى لا يخفى عليه المظلوم.

وإنّه يأتيني الخصم فلعلّ بعضكم أن يكون أبلغ من بعض: وفي رواية وإنكم تختصمون إليّ ولعل بعضكم **أن يكون ألحن بحجّته من بعض**.

فلعلّ: من معاني لعلّ **التوقّعُ** وهو ترجّي الخير والإشفاق من المكروه استعملت استعمال الفعل الجامد "عسى" وبينهما معاوضة. ولعلّ هنا فيها معنى الإشفاق، فكأن الرسولَ ﷺ مُشْفِق على هذا الذي بذلاقة لسانه وبلاغة بيانه قد يقلب الحقيقة.

أبلغ: أفصح في كلامه وأقدر على إظهار حُجَّتِهِ وفي رواية سفيان الثوري في ترك الحيل: لعلَّ بعضكم أن يكون ألحن بحجّته من بعض[1]. [**ألحن** أي أبلغ وهو بمعناه لأنّه من لحن أي فطن وزنا ومعنى، والمراد أنّه إذا كان أفطن كان قادرا على أن يكون أبلغ في حجته من الآخر]

والبلاغة: اختلف في تعريفها فقيل: أن يبلغ بعبارة لسانه كنه ما في قلبه. وقيل هي: إيصال المعنى إلى الغير بأحسن لفظ.

الإيجاز مع الإفهام والتصرف من غير إضمار.

قليل لا يبهم وكثير لا يسأم.

إجمال اللفظ واتساع المعنى.

تقليل اللفظ وتكثير المعنى.

حسن الإيجاز مع إصابة المعنى.

سهولة اللفظ مع البديهة.

لمحة دالّة أو كلمة تكشف عن البغية.

الإيجاز من غير عجز والإطناب من غير خطإ.

النطق في موضعه والسكوت في موضعه.

معرفة الفصل والوصل.

الكلام الدّال أوله على آخره وعكسه.

وعرّف أهل المعاني والبيان **البلاغة** بأنّها: (مطابقة الكلام لمقتضى الحال) والفصاحة: (هي خلوّ الكلام من **التعقيد**). وقالوا المراد بالمطابقة: ما يحتاج إليه المتكلّم بحسب تفاوت المقامات كالتأكيد وحذفه والحذف وعدمه أو الإيجاز والإسهاب ونحو ذلك)[2].

---

(1) 339/12 عدد 6967.

(2) فتح الباري 177/13.

فأحسب أنه صادق: هذا يؤذِنُ أنّ في الكلام حذفًا تقديره "هو في الباطن: "كاذب"، و في رواية: فأظنّه صادقا.

فأقضي له بذلك: أي أحكُمُ له بما يذكره بظنّي أنّه صادق

و في رواية: " فأقضي له على نحو ما أسمع " و في رواية عبدالله بن رافع مولى أمّ سلمة: " إنّي إنّما أقضي بينكم برأيي فيما لم ينزل عليّ فيه ".

فمن قضيت له بحقّ مسلم: وفي رواية - فمن قضيت له بشيء من حقّ أخيه. وفي رواية: " فمن قضيت له من أخيه شيئا " كأنه ضمّن قضيتُ معنى أعطيتُ، ومن: شرطية.

فإنّما هي: الضمير للحكومة [الحكم] التي تقع بينكم بحسب الظاهر.

قطعة من **النار**: أي الذي قضيت له به بحسب الظاهر، إذا كان في الباطن و في الحقيقة لا يستحقّه، فهو عليه حرام يؤول به إلى النار. **وقطعة من النار**: تمثيل يفهم منه شدّة التعذيب على من يتعاطاه فهو من مجاز التشبيه، كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾ [4 النساء10].

فليأخذها أو ليتركها: وفي رواية أخرى: فليحملها أو ليذرها، وفي رواية مالك بن هشام: فلا يأخذه فإنّما أقطعُ له قطعةً من النار. و الأمر هنا: للتهديد لا لحقيقة التخيير فهو كقوله تعالى: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [18الكهف29]

"**فأو**" هنا تعني التخيير على سبيل التهديد فالعاقل لا يختار أخذ النار التي تحرق.

قال ابن التين: "هو خطاب للمقضي له، و معناه أنّه أعلمُ بنفسه هل هو محقّ أو مُبْطِل فان كان محقا فليأخذ و إن كان مبطلا فليترك فإنّ الحكم لا ينقل الأصل عمّا كان عليه "[1].

تنبيـــه:

زاد عبدالله بن رافع في روايته في آخر الحديث: " فبكى الرجلان و قال كلّ منهما حقّي لك. فقال لهما النبيّ ﷺ: أمّا إذا فعلتما فاقتسما و تَوَخّيا الحقَّ [أي

(1) فتح الباري 13/ 174.

تحرّيا]، ثم استهِمَا [اقترعا]، ثم تحاللا [أي ليحلل كل واحد منكما صاحبه].

ما الجائز والممتنع في حقّ الرسول في شأن الحكم؟:

الرسول ﷺ يقضي بالاجتهاد فيما لم ينزل عليه فيه وحي، و هذا الحديث ردّ على من يزعم أنّ الرسول لا يحكم باجتهاده. على أنّه ربّما أداه اجتهاده إلى حكم لا ينطبق على الحقيقة الباطنة لتلك المسألة، لكن مثل ذلك لو وقع لم يقرّ عليه ﷺ لثبوت عصمته.

والممتنع في حقّ الرسول ﷺ أن يخبر عن حكم شرعي في مسألة ما باجتهاده، فالأحكام التي يبيّنها لا تكون إلا حقّا لقوله تعالى ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ﴾ [53 النجم 3] ولمّا كان الرسولُ ﷺ مشرّعا كان يحكم بما شرّع للمكلّفين حتّى يعتمده الحكامُ بعده، فيحكمون بالظاهر.

ومن الأدلة عن ذلك قوله ﷺ: "أمرت أن أقاتل الناس حتّى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا منّي دماءهم..." فيحكم بإسلام من تلفّظ بالشهادتين، و لو كان في نفس الأمر يعتقد خلافَ ذلك.

- وكذلك في قصّة ابن وليدة زمعة [الوليدة: الجارية، أَمَة زَمْعَةَ] فقد حكم بالولد [عبدالرحمان] لعبد بن زمعة، باعتباره أخا له، و ألحقه بزمعة لأنّ الولد للفراش و للعاهر الحَجَر [أي الخيبة]، ثم لمّا رأى شبهه بعتبة بن أبي وقّاص أمر سودة بنت زمعة أن تحتجب من الولد المتنازع عليه احتياطا و تورّعا فقد حكم في ابن وليده زمعة بالظّاهر و لو كان في نفس الأمر ليس من زمعة وإنّما من عتبة بن أبي وقّاص و كذلك قوله في قصّة المتلاعنين لمّا وضعت التي لوعنت ولدا يشبه الذي رُمِيَتْ به: "لو لا الأيمان لكان لي و لها شأن".

يقول الإمام الشافعيّ: "فيه: أنّ الحكم بين النّاس يقع على ما يسمع من الخصمين بما لفظوا به و إن كان يمكن أن يكون في قلوبهم غير ذلك، و أنّه لا يقضى على أحد بغير ما لفظ به فمن فعل ذلك فقد خالف كتاب الله وسنّة نبيّه. فالقاضي إنّما يقضي على الخصم بما يسمعه منه من إقرار و إنكار أو بيّنات على

حسب ما أحكمته السنة في ذلك "[1].

فوائد الحديث:

1 ـ إثم من خاصم في باطل حتى استحقَّ به في الظاهر شيئا هو في الباطن حرام عليه، فلا يحِلُّ لمن احتال في أمرٍ باطلٍ بوجه من وجوه الحيل حتى يصير حقا في الظاهر، و يحكم له به أن يتناوله و لا يرتفع عنه الإثمُ بالحكم.

2 ـ من ادّعى مالا و لم يكن له بيّنة، فحلف المدّعَى عليه و حكم الحاكم ببراءة الحالف لا يبرأ في الباطن إذا كان كاذبا في يمينه، و أنّ المدّعي لو أقام بيّنةً بعد ذلك تنافي ما أقسم عليه المدّعَى عليه سُمِعَتْ البينةُ و أُخِذَ بها و بَطَلَ الحكمُ.

3 ـ المجتهد قد يخطىء، و إذا أخطأ لا يلحقه إثم بل يؤجر.

4 ـ إنّ التعمّق في البلاغة بحيثُ يحصل اقتدار صاحبها على تزيين الباطل في صورة الحق و عكسه مذموم، و لو كان ذلك في التوصل إلى الحق لم يذمّ[2].

5 ـ الردّ على من حكم بما يقع في خاطره من غير استناد إلى أمر خارجي من بيّنة و نحوها وهو ما يثبت القاعدة الشرعية: "ردّ حكم القاضي بعلمه ".

6 ـ موعظة الإمام الخصوم ليعتمدوا الحقّ و العمل بالنّظر الرّاجح و بناء الحكم عليه و هو أمر إجماعي للحاكم و المفتي[3].

7 ـ إنّ البشر لا يعلمون ما غيّب عنهم و ستر في الضمائر.

8 ـ و إنّ بعض النّاس أدرى بمواضع الحجّة و تصريف القول من بعض.

* * *

---

(1) فتح الباري 13/175.
(2) متن فتح الباري 13/ 177.
(3) فتح الباري13/177.

الحديث السادس عشر:

بابُ حُسْنِ الْخُلُقِ، والسَّخَاءِ ومَا يُكْرَهُ مِنَ الْبُخلِ.

وقال ابنُ عبّاسٍ: كان النبيُّ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَأَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ.

وقالَ أَبُو ذَرٍّ لَمَّا بَلَغَهُ مَبْعَثُ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ لأَخِيهِ: ارْكَبْ إِلَى هَذَا الْوَادِي فَاسْمَعْ مِنْ قَوْلِهِ. فَرَجَعَ فَقَالَ: رَأَيْتُهُ يَأْمُرُ بِمَكَارِمِ الأَخْلاقِ.

قال الإمامُ البخاريّ رحمه الله تعالى: حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ حَفْصِ بْنِ غِيَاثٍ: حدَّثنا أَبِي: حَدَّثَنَا الأَعْمَشُ قال: حدثني شَقِيق عَنْ مَسْرُوقٍ قال: **"كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو يَحَدِّثُنَا إِذْ قَالَ: لَمْ يَكُنْ رَسُولُ الله ﷺ فَاحِشًا وَلا مُتَفَحِّشًا. وَإِنَّهُ كَانَ يَقُولُ: "إِنَّ خِيَارَكُمْ أَحْسَنُكُمْ أَخْلاقًا "**(1).

المعنى الإجمالي لترجمة الباب:

يبيّن الإمام البخاري رحمه الله في هذه الترجمة فضل حسن الخلق ومزيّته وأهمّيّة السخاء والكرم، مع الإشارة إلى ما يُذمّ ويُستهجن من البُخْلِ. ثمَّ يورد تعليقين أَحَدَهُمَا لابن عبّاسٍ ويتحدّث فيه عن جود النبي ﷺ وسخائه وكيف يتضاعف جودُهُ عليه الصلاة والسلام في رمضان حين يدارِسُهُ جبريلُ القرآنَ. وأمّا التعليق الثاني فلأبي ذَرٍّ يتحدّثُ فيه عن دعوة النبي ﷺ إلى مَكَارِمِ الأخلاقِ وَحَثِّهِ عَلَى وُجُوبِ التَّحَلِّي بها.

شرح الترجمة:

باب حسن الخلق، والسخاء، وما يكره من البخل:

جمع البخاري في الترجمة بين: حسن الخلق و السخاء و البخل، لأنّ السخاء من جملة محاسن الأخلاق بل من معظمها والبخل ضدّه.

---

(1) البخاري ـ الجامع الصحيح ـ الأدب ـ متن فتح الباري 10/470 حديث 6035 ـ وانظر عمدة القارىء ـ الأدب: باب لم يكن النبيّ فاحشا ولا متفحّشا - 22/116 ـ باب حسن الخلق 22/119 عدد 63 وفي 16/111 عدد 66.

الحُسْنُ: شرحه الراغب الإصفهاني بقوله: هو عبارة عن كلّ مرغوب فيه إمّا من جهة العقل أو من جهة الهوى أو من جهة الحسِّ. وأكثر ما يقال في عرف العامّة فيما يدرك بالبصر، يقال رجل حسن، وامرأة حسناء. وأكثر ما جاء في الشرع فيما يدرك بالبصيرة.

الخُلُق: قال الراغب: الخلق بضم الخاء وفتحها في الأصل بمعنى واحد كالشرب، بضم الشين وفتحها والصرم بضم الصاد وفتحها، ولكن خصّ الخلق الذي بالفتح بالهيئات والصور المدرَكة بالبصر وخُصّ الخُلق الذي بالضم بالقوى والسجايا المدركة بالبصيرة، قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [68 القلم 4] وكان الرسول ﷺ يدعو الله: "اللهم كما حسّنتَ خَلْقِي فحسّن خُلُقِي "، وفي دعاء الافتتاح عند مسلم: في صلا ة المسافرين وقصرها - باب الدعاء في صلاة الليل1/534 حديث 201 جاء قول النبي ﷺ: "واهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت ".

قال القرطبي أبو العباس أحمد بن عمر [ت بالإسكندرية سنة 656 هـ] في كتابه " المفهم في شرح صحيح مسلم " وهو شرح لكتاب " تلخيص صحيح مسلم " له أيضا:

الأخلاق: أوصاف الإنسان التي يعامل بها غيره وهي محمودة ومذمومة:

فالمحمودة: على الإجمال أن تكون مع غيرك على نفسك فَتَنْتَصِفَ منها ولا تَنْتَصِفَ لها. وعلى التفصيل: العفو و الحلم، والجود والصبر، وتحمّل الأذى، والرحمة والشفقة وقضاء الحوائج و التوادد، ولين الجانب، ونحو ذلك.

والمذمومة منها ضدّ ذلك.

أمّا **الْخَلاقُ** فما اكتسبه الإنسان من الفضائل بخلقه: قال تعالى: ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾ [2 البقرة 102]

السخاء: هو الجود، وهو بذل ما يُقْتَنَى بغير عِوَضٍ، جاء في الحديث الصحيح عن

أنس: كان النبيُّ ﷺ " أحسن الناس وأشجع الناس وأجود الناس "[1].

والسخاء في الشرع: إعطاء ما ينبغي لمن ينبغي، وهو أعمّ من الصدقة والكرم. وعطفه على حسن الخلق، من عطف الخاصّ على العامّ، وإنَّمَا أُفْرِدَ للتنويه به. روى الترمذيُّ من حديث سعد بن أبي وقاص: "إنَّ الله جواد يحبّ الجودَ" ومن حديث أنس يرفعه: " أنا أجود ولد آدم، وأجودهم بعدي رجل علّم علما فنشر علمه، ورجل جاد بنفسه في سبيل الله ".

البُخْلُ: مَنْعُ ما يطلب ممّا يقتنى. وشرّه ما كان طالبُهُ مستحِقًّا ولا سيَّمَا إن كان من غير مال المسؤول.

ما يُكْرَهُ من البخل: إشارة إلى أنَّ بعض ما يجوز إطلاق اسم البخل عليه قد لا يكون مذموما دائما.

يأمر بمكارم الأخلاق: والمكارم جمع مَكْرُمَة وهي من الكرم. قال الراغب: **الْكَرَمُ**: هو أسمى الأخلاق، وكذلك الأفعال المحمودة ولا يقال للرجل كريم حتى يظهر ذلك منه. ولمّا كان أكرمُ الأفعالِ ما يُقْصَدُ به أشرفُ الوجوهِ. وأشرفها ما يقصد به وجه الله تعالى - وإنّما يحصل ذلك من المتّقي قال تعالى: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ [49 الحجرات: من الآية 13]. و كلّ فائق في بابه يقال له كريم.

المعنى العام للحديث:

يصوّر الحديثُ حسن خلق النبي ﷺ الذي تترجم بعضَ مظاهره عفّةُ لسانه ﷺ الذي لا ينطق الفحش جِبِلّةً ولا يتكلّف نطقه، وكان عليه الصلاة والسلام يعلّم الناس الخيرَ ويزيّنُ لهم التحلّي بالفضائل حتى أنّه جعل خيارَ الناسِ وأفْضَلَهُمْ أَحْسَنُهُمْ أخلاقًا وأَحْرَصُهُمْ على التمسّكِ بأهداب الفضيلةِ، فغدت الأخلاقُ الفاضلةُ سِمَةً بَارِزَةً منْ سِمَاتِ المُسْلِمِ الذي انْطَبَعَ بِرُوحِ الإيمانِ والتزم بتعاليمه.

(1) متن فتح الباري 10/470 رقم الحديث 6033.

ما المعلّق ؟ وما حكم التعاليق الواردة في الصحيحين؟ :

المعلّق: ما سقط من أوّل سنده رَاوٍ فأكثرُ على التوالي كقول البخاري مثلا: قال عمر بن عبد العزيز. فعمر بن عبد العزيز توفي سنة 101هـ في حين لم يولد البخاري إلا سنة 194 هـ فالبخاري روى عن عمر بن عبد العزيز بوساطة عدد من الشيوخ أسقطهم وعزا الحديثَ مباشرة إلى عمر بن عبد العزيز. وكذلك قولُهُ في تعليق الباب: قال ابنُ عبّاسٍ، وقال أبو ذرّ، فالبخاريّ أسقط شيوخَهُ إلى هذين الصحابيين الجليلين.

والملاحَظُ أنَّ المُرَادَ بأوّل السند هو أوّل السند الذي يلينا نحن المتأخِّرِينَ، ويقابل أوّلَ السندِ آخرُهُ وهو منتهاه سواء كان الرسول ﷺ إذا كان الحديث مرفوعا، أو الصحابي إذا كان الحديث موقوفا، أو التابعي إذا كان الحديث مقطوعا.

حكم المعلّق: وإذا كان حكم الحديث المعلّق **الضعف** لانقطاع السند، فما حكم الأحاديث المعلقة التي أوردها الشيخان في صحيحيهما ؟

لقد وقع في صحيح البخاريِّ حوالي 1341 تعليق وأكثرها كان قد وصله في مواضع أخرى من صحيحه رحمه الله، وما لم يصله لا يتجاوز 161 تعليقا، كان الشيخ ابن حجر رحمه الله تولّى وصلَهَا في كتاب له سمّاه " التوفيق " كما خرّج هذه التعليقات وغيرها من المتابعات والموقوفات في كتاب آخر له وسمه " بتغليق التعليق " .

أمّا صحيح مسلم فوقع فيه عدد قليل من التعاليق لا يتجاوز أربعةَ عَشَرَ تعليقا على مَلْحَظِ الزين العراقيِّ في شرحه: "التقييد والإيضاح على مقدمة ابن الصلاح" .

وحُكم هذه التعاليق التي في الصحيحين إذا وردت بصيغة الجزم كقال، وروى، وذكر، وفعل، وأمر، أو جاء عن فلان ونحو ذلك، **الصحّة إلى من عُلّقت عنه**، وأُضِيفَتْ، إليه لأنّ الجَزْمَ بذلك يُعْتبَرُ في الحقيقة حكما من صاحب الصحيح بصحّة إضافة الحديث إلى من عزاه إليه، إلا أنّ هذا الحكم بالصحّة مشروط بأمرين اثْنَيْنِ وهما:

1 ـ ثقة الرجال الذين أبرزهم الإمام البخاريّ في السند قبل الصحابيِّ.

2 ـ اتصال السند المذكور في هذا التعليق.

أمّا إذا وردت هذه التعاليقُ بصيغةٍ من صيغ التمريضِ كقيل، ويُقال، ورُوِيَ، ويُرْوَى، وذُكِرَ ويُذْكَرُ، وحُكِيَ ويُحْكَى، أو في الباب عن فلان ونحو ذلك، **فإنَّ هذه الصيغةَ لا يُسْتَفَادُ منها صحّةُ الحديثِ إلى من عُزِيَ إليهِ** ولكن لا يَعْنِي ذلك أنّهُ ضَعِيف وَاهٍ لإدْخَالِهِ في الكتابِ الموسومِ بالصحيحِ فهو مُشْعِر بصحّة أصله.

هل وصل البخاريُّ تَعْلِيقَيْ الترجمةِ في مواضِعَ أُخْرَى من صحيحه؟:

الحديث المعلّق الأول: حديث ابن عباس:

أ ـ وصله في بدء الوحي:

ـ حدثنا عبدانُ [عبد الله بن عثمان المروزيُّ] قال: أخبرنا عبد الله [بن المبارك] قال: أخبرنا يونُسُ [بن يزيدِ الأيلِيِّ] عن الزهري [أبي بكر محمد ابن شهاب] ح وحدّثنا بشر بن محمّد قال: أخبرنا عبد الله بن المبارك قال: أخبرني يونسُ ومَعْمَر [بن راشد] عن الزهريِّ نحوه قال: أخبرنا عبيدُ الله بنُ عبد الله [بنِ عتبة بن مسعود] عن ابن عَبّاسٍ قال: . .[1]

ب ـ وفي الصوم باب أجود ما كان النبيُّ ﷺ يكون في رمضان:

ـ حدثنا موسى بن إسماعيل: حدثنا إبراهيم بن سعد: أخبرنا ابن شهاب [الزهري] عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أنّ ابن عباس رضي الله عنهما قال: (كان النبيّ ﷺ أجود الناس بالخير وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل وكان جبريل عليه السلام يلقاه في كل ليلة في رمضان حتى ينسلخ، يعرض عليه النبيّ ﷺ القرآن، فإذا لقيه جبريل عليه السلام كان أجود بالخير من الريح المرسلة)[2]

وفي رواية الأصيلي: **أجودَ** بالنَّصْبِ "وأجود": خبر كان واسمها ضمير

---

(1) متن فتح الباري 1/30 حديث عدد 6.

(2) متن فتح الباري 4/139 حديث: 1902.

مستتر يعود على النبي ﷺ ويُرَجَّحُ الرفْعُ بِاعْتِبَارِهِ فَاعِلَ كان التامَّةِ.

الفاء في قوله: " فلرسول الله ﷺ ": للسببية ـ واللام = للابتداء وزيدت على الابتداء للتأكيد أو هي جواب قسَم مقدَّر.

الحديث المعلق الثاني: حديث أبي ذرّ الغِفَاري:

وصله البخاريُّ في كتاب مناقب الأنصار: باب إسلام أبي ذرّ الغفاري رضي الله عنه: حدثني عمرو بن عبّاس: ثنا عبد الرحمان بن مهدي: حدثنا المثنى [بن سعيد الضبعي] عن أبي جمرة [نصر بن عمران] عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "لمّا بلغ أبا ذرّ مبعثُ النبي ﷺ قال لأخيه اِركَبْ. . "(1).

التزجمة بإيجاز لرجال السند:

1 ـ عبد الله بن عباس: تقدّمت ترجمته في الحديث الخامس.

2 ـ (ع) أبو ذرّ جُنْدُب بن جُنَادَةَ بن قيس بن عمرو، ويقال جندب بن السكن ويقال بُرَيْر بن جنادة الغِفَارِي المدني من كبار الصحابة سكن الربذة من قرى المدينة وتوفّي بها سنة 32هـ وصلّى عليه ابن مسعود ثم مات بعده بيسير.

روى عن النبي ﷺ.

وروى عنه أنسُ بْنُ مالك، وابنُ عباس، وزيد بن وهب الجهني، والأحنف ابن قيس، وأبو إدريس الخولاني، وأبو عثمان النهدي، وعطاء بن يسار. . .

قال عنه رسول الله ﷺ: ما أقلّت الغبراءُ ولا أظلّتِ الخضراءُ من ذي لهجةِ صدقٍ من أبي ذرّ. وقال عليّ بن أبي طالب: أبو ذرّ وعاء ملىء علما أوكي عليه فلم يخرج منه شيء. قال الآجُرّي: كان يوازي ابنَ مسعود في العلم. ومناقبه رضي الله عنه كثيرة جدا(2).

3 ـ (خ، م، د، ت، س) عمر بن حفص بن غياث بن طلق بن معاوية أبو حفص

---

(1) فتح الباري 7/210 حديث 3861.

(2) التعديل والتجريح 1/461 عدد 200 ـ وفي تهذيب التهذيب 12/90 عدد 401.

النخعي الكوفي [توفي في ربيع الأول 222هـ]

روى عن أبيه حفص بن غياث، وابن إدريس وأبي بكر بن عياش، ومسكين ابن بكير.

روى عنه: محمد بن أبي الحسن السمناني، والبخاري، ومسلم، كما روى له الشيخان وأبو دَاوُدَ والترمذي والنسائي بواسطة محمد بن الحسن السَّمْنَانِيّ، وروى عنه أحمدُ بن يوسف السلمي وهارون الحَمَّال ومحمد بن يحيى الذُّهَليّ..

وثقه العجليُّ وأبو زرعة وأبو حاتم الرازي. وذكره ابن حبان في الثقات، وقال ربَّما أخطأ. وقال عنه أحمدُ: صدوق(1).

4 ـ (ع) حفص بن غياث بن طلق بن معاوية بن الحارث بن ثعلبة أبو عمر النخعي [ولد سنة 117 وتوفي سنة 194هـ]:

روى عن جدِّه وإسماعيل بن أبي خالد وهشام بن عروة وسفيان الثوري وجعفر الصادق والأعمش، وعاصم الأحول...

روى عنه: ابنه عمر وإسحاق بن راهويه، ومحمد بن حسن الأسدي، وأحمد بن حنبل، وابنا أبي شيبة، وابن معين، وأبو نعيم ويحيى بن يحيى النيسابوري..

ولاّهُ هارونُ الرشيد قضاء الشرقية إحدى محالِّ بغداد، ثم عزله وولاّه قضاءَ الكوفة. قال رحمه الله: والله ما أن وُلِّيتُ القضاءَ حتى حلّت لي الميتة. ومصداق قوله هذا أنَّه يوم مات لم يخلّف درهما ومات وهو مثقل بالديون. وكان يقال لنزاهته وعدله: خُتِمَ القضاءُ بحفص بن غياث.

قال عنه أبو زرعة الرازي: "حفص بن غياث ساء حفظه بعد أن اسْتُقْضِيَ، فمن كتب عنه من كتابه فهو صالح. أمّا ابن معين فوثّقه. وقال العجلي: ثبت فقيه، وقال أيضا: ثقة مأمون فقيه.. وقال ابن سعد: كان ثقة مأمونا كثير

(1) التعديل والتجريح3/936 عدد 1026 ـ تهذيب التهذيب 7/435 عدد 713.

الحديث، يدلّس. وقال يحيى بن سعيد: أوثق أصحاب الأعمش حفص بن غياث. وكان وكيع ربَّما سئل عن الشيء فيقول: اذهبوا إلى قاضينا فسلوه[1].

5 ـ **الأعمش سليمان بن مهران**: تقدم في الحديث السابع.

6 ـ **(ع) شقيق بن سلمة أبو وائل الأسدي الكوفي [ت بعد الجماجم سنة82 هـ وقيل في خلافة عمر بن عبد العزيز: 99 ـ 101]:**

رَوَى عن أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ ومعاذ بن جبل وسعد بن أبي وقّاص وعبد الله بن مسعود، وأبي مسعود البدري عقبة بن عمرو الأنصاري، وحُذَيْفَة ابن اليمان، وأبي موسى الأشعري، وسهل بن حنيف، وخبّاب بن الأرتّ وشيبة بن عثمان، وعائشة وأمّ سلمة وخلق من الصحابة والتابعين.

وروى عنه: عمرو بن مرّة، ومنصور بن المعتمر، وجامع بن أبي راشد، وحمَّاد بن أبي سلمة والأعمش، وسعيد بن مسروق الثوري وغيرهم.

أدرك النبيَّ ﷺ ولم يره، وقد نُقِلَ عنه قوله: " أدركت سبع سنين من سنيّ الجاهلية ". كما نقل عنه قوله: " أنا أذكر حين بعث النبيّ ﷺ وأنا ابن عشر حجج أرعى إبلا لأهلي". وكان قويّ الحافظة حتى أنّه حفظ القرآن في شهرين.

قال عنه العجليّ: رجل صالح من أصحاب عبد الله بن مسعود. وقال إبراهيم النخعي: " أدركت الناس وهم متوافرون، وإنّه ليعدّ من خيارهم ".

وثّقه ابنُ معين، ووكيع، وابن سعد، وقال ابن عبد البرّ: أجمعوا على توثيقه. سكن الكوفة وكان من عُبَّادِهَا[2].

7ـ **(ع) مسروقُ بن الأجدع بن مالك بن أميّة بن عبد الله أبو عائشة الهمذاني الوادعي الكوفي [ت 63، وقيل 62هـ]:**

روى عن أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ ومعاذ بن جبل، وخبّاب بن الأرتّ

---

(1) التعديل والتجريح 2/511 عدد 265 ـ تهذيب التهذيب 2/415 عدد 725.

(2) التعديل والتجريح 3/1166 عدد 1396 ـ وتهذيب التهذيب 4/361 عدد 608.

وأبيّ بن كعب وابن عمر وابن مسعود، وعبد الله بن عمرو، والمغيرة بن شعبة، وعائشة أمّ المؤمنين وغيرهم.

روى عنه: أبو إسحاق السَّبِيعِيُّ، وأبو وائل شقيق بن سلمة، وأبو الضحى مسلم بن صبيح، وإبراهيم النخعي، وأبو الشعثاء عبد الله بن مرّة المحاربيّ ومسلم بن البطين وغيرهم.

يقال إنّ عمر بن الخطاب غيّر اسم أبيه " الأجدع " وسمّاه عبد الرحمان. وكان عمرو بن معد يكرب خاله، وكان أبوه أفرس فارس باليمن.

قال أبو وائل شقيق بن سلمة: ما ولدت همذانية مثل مسروق. وكان شديد الشغف بطلب العلم حتى أنّ الشعبي عامر بن شراحيل قال عنه: ما رأيت أطلب للعلم منه: " رحل مسروق في آية إلى البصرة، فسأل عمّن يفسّرها، فأخبر أنّه بالشام، فقدم الكوفة وتجهّز ثم خرج إلى الشام حتّى سأل عنها " قال أيضا: " كان مسروق أعلم بالفتوى من شريح وكان شريح أعلم بالقضاء ".

كان إلى جانب كلّ هذا من المجاهدين وقد شلّت يده يوم القادسيّة، ولم يتخلّف عن حروب عليّ رضي الله عنه[1].

8 - **(ع) عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم بن عمرو بن هصيص أبو محمد السهمي القرشي** أمّه رائطة بنت منية السهميّة [توفي في ولاية يزيد بن معاوية(60 - 64) ليالي الحرّة[2] سنة 63 هـ، وقيل سنة 65هـ]:

---

(1) التعديل والتجريح 2/747 عدد 685 - تهذيب التهذيب 10/109 عدد 205.

(2) كانت وقعة الحرّة بالمدينة المنوّرة أيّام يزيد بن معاوية سنة 63هـ وكان سببها أنّ أهل المدينة خلعوا يزيد بن معاوية، وأخرجوا واليها مروان بن الحكم وبني أميّة وأمّروا عليهم عبد الله بن حنظلة الغسيل، الذي غسّلت الملائكة أباه يوم أحد، ولم يوافق على هذا الخلع أحد من أكابر الصحابة الذين كانوا فيهم، فسلّط عليهم يزيد قائده مسلم بن عقبة المرّي الذي يسمّيه أهل المدينة مسرف بن عقبة، فانتصر عليهم وأسرف في تقتيلهم واستباحة مدينتهم. [انظر تاريخ خليفة بن خيّاط 1/227 - 245].

روى عن النبي ﷺ وأبي بكر وعمر وعبد الرحمن بن عوف ومعاذ بن جبل وأبي الدرداء. . .

روى عنه مسروق بنُ الأجدع، والشعبي عامر بن شراحيل، ومجاهد بن جبر، وعروة بن الزبير، وعيسى بن طلحة، وأبو عباس الشاعر وغيرهم.

نزل الشام، وكان رضي الله عنه ولد لأبيه في بداية بلوغه فكان بينه وبين أبيه اثنتا عشرة سنة فقط. وكان كثير العبادة، كثير العناية بالعلم وهو صاحب الصحيفة الصادقة التي تلقّاها وكتبها عن رسول الله ﷺ مباشرة. (1)

تخريج الحديث:

تابع كلّ من 1 ـ شعبة بن الحجاج و 2 ـ أبي حمزة محمد بن ميمون السكّري المروزي، 3 ـ وأحمد بن حنبل، 4 ـ وجرير بن عبد الله الضبي جميعهم تابعوا حفصَ بن غياث بن طلق في رواية الحديث عن الأعمش:

1 ـ أمّا متابعة شعبة بن الحجاج فرواها:

أ ـ البخاري في الجامع الصحيح، قال:

ـ حدثنا عمر بن حفص بن غياث: ثنا شعبة بن الحجاج عن سليمان بن مهران أبي محمد الأعمش به بلفظه(2).

ـ حدثنا حفص بن عمر بن الحارث: حدثنا شعبة به بلفظه(3).

ب ـ أحمد بن حنبل في المسند:

ـ حدثنا عبد الله: حدثنا أبي: حدثنا محمد بن جعفر: حدثنا شعبة به مع

---

(1) التعديل والتجريح2/ 806 عدد 779 ـ والاستيعاب 2/ 346 ـ الإصابة 2/ 351 عدد 4847 ـ تهذيب التهذيب 5/ 337 عدد 575.

(2) فضائل الصحابة ـ باب مناقب عبد الله بن مسعود: متن فتح الباري 7/ 128 رقم الحديث3759.

(3) كتاب الأدب ـ باب لم يكن النبي ﷺ فاحشا ولا متفاحشا: متن فتح الباري 10/ 466 حديث رقم 6029.

زيادة[1].

2 ـ أما متابعة أبي حمزة محمد بن ميمون السكّري، فرواها البخاري في الصحيح قال:

ـ حدثنا عبدان عبد الله بن عثمان بن جبلة المروزي عن أبي حمزة محمد بن ميمون السكّري عن الأعمش به بلفظه[2].

3 ـ أما متابعة أحمد بن حنبل فرواها في المسند:

ـ حدثنا عبد الله: حدثني أبي: حدثنا الأعمش به بلفظه[3].

4 ـ أما متابعة جرير بن عبد الله الضبي فرواها:

أ ـ البخاري في الصحيح: قال: حدثنا قتيبة بن سعيد البغلاني: حدثنا جرير بن عبد الله الضبي عن سليمان الأعمش به بلفظه[4].

ب ـ مسلم في صحيحه: قال: حدثنا زهير بن حرب وعثمان بن أبي شيبة قال: حدثنا جرير بن عن الأعمش به بلفظه[5].

شرح نصّ الحديث:

لم يكن فاحشا: ناطقا بالفحش وهو الزيادة على الحدّ في الكلام السيّء.

ولا متفحّشا: المتفحّش: المتكلّف الفحش. أي لم يكن له الفحش خلقا ولا مكتسبا. وقد وردت أحاديث وآثار كثيرة تصوّر مكارم الرسول وسموّ أخلاقه:

روى الترمذي: من طريق عبد الله الجدلي قال: سألت عائشة عن خلق النبي ﷺ فقالت: " لم يكن فاحشا ولا متفحّشا ولا سخّابا في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيّئة وكان يعفو ويصفح " .

---

(1) 189/2.

(2) المناقب ـ باب صفة النبي ﷺ: متن فتح الباري 654/6 حديث رقم 3559.

(3) 161/2.

(4) كتاب الأدب ـ باب لم يكن النبي ﷺ فاحشا ولا متفاحشا متن فتح الباري 10/ 466 حديث رقم 6029.

(5) كتاب الفضائل ـ باب كثرة حيائه ﷺ 1810/4 حديث رقم 2321.

وجاء في صحيح البخاري: في كتاب الأدب، من حديث أنس: لم يكن رسول الله ﷺ سبّابا و لا فحّاشا و لا لعّانا، كان يقول لأحدنا عند المعتبة: ما له تربت جبينه.

وجاء في مسند أحمد، من حديث أنس: أنّ النبي ﷺ لا يواجه أحدا في وجهه بشيء يكرهه.

كما روى أبو داود من حديث عائشة: كان رسول الله إذا بلغه عن الرّجل الشيء لم يقل: " ما بال فلان، يقول؟" ولكن يقول: "ما بال أقوام يقولون؟" وكان يقول: "**إنّ خياركم أحسنكم أخلاقا**"، وجاء في باب صفة النبي ﷺ: " إنّ من خياركم أحسنكم أخلاقا" وفي رواية: "إنّ خياركم أحاسنكم أخلاقا".

كما أخرج أبو يعلي الموصلي في مسنده من حديث أنس يرفعه: "أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا". وأخرجه الترمذي وقد حسّنه، و الحاكم وقد صحّحه من حديث أبي هريرة يرفعه: " إنَّ من أكمل المؤمنين أحسنهم خلقا".

وروى أحمد في المسند بسند رجاله ثقات نحوه من حديث جابر بن سمرة بلفظ: "أحسن النّاس إسلاما أَحْسَنُهُمْ خُلُقاً". وروى الترمذي من حديث جابر يرفعه: إنّ من أحبّكم إليّ أقربكم مِنِّي مجلسًا يوم القيامة أحسنكم أخلاقا. ورواه البخاري في الأدب المفرد من حديث عَمْرِو بن شعيب عن أبيه عن جدِّه. وروى أحمد والطبراني و صحّحه ابن حبّان من حديث أبي ثعلبة نحوه وقال: أحاسنكم أخلاقا.

هل حسن الخلق غريزة أم مكتسب ؟

حكى ابن بطّال - تبعا للطبري - خلافا بين العلماء حول هذا الموضوع:

- وقد تمسّك من قال بأنه **غريزة** بحديث **ابن مسعود**: " إنّ الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم وإنَّ الله عزَّ وجلَّ يُعطي الدنيا من يحبُّ ومن لا يحبُّ ولا يعطي الدين إلا لمن يحبّ فمن أعطاه الله الدينَ فقد أحبّه. . "الحديث[1].

---

(1) رواه أحمد في مسنده 1/387.

قال القرطبي في المُفْهِمِ: الخلق جبلّة في نوع الإنسان وهم في ذلك متفاوتون، فمن غلب عليه شيء منها إن كان محمودا، وإلا فهو مأمور بالمجاهدة فيه حتى يصير محمودا، وكذا إن كان ضعيفا فيرتاض صاحبه حتى يقوى.

وقع في حديث الأشجّ العصري أنّ النبيّ ﷺ قال له: إنّ فيك لخصلتين يحبّهما الله: الحلم والأناة. قال يا رسول الله! قديما كانا فيّ أو حديثا؟ قال: قديما. قال: الحمد الله الذي جبلني على خُلُقَيْنِ يحبّهما. ويشير ابن حجر في معرض تعليقه على هذا الحديث إلى أنّ ترديد الأشجّ السؤال وإقرار الرسول ﷺ له يشعر بأنّ في الخلق ما هو جبلّي وما هو مكتسب(1).

فوائد الحديث:

1 ـ مكارم الأخلاق أحد أعمدة الإسلام، حتى أنّ النبي ﷺ كاد يحصر رسالته في إتمام مكارم الأخلاق.

2 ـ حسن الخلق يشمل القول والفعل والرسول ﷺ المثل الكامل في محاسن الأخلاق.

3 ـ على المرء مجاهدة نفسه حتى تستقيم على مهيع الخلق الكريم.

4 ـ تقوى الله تعالى والسعي لمرضاته تحمل المؤمن على التزام الأخلاق النبيلة.

5 ـ حسن الخلق تستمدّ معالمه من كتاب الله وسنّة نبيّه ﷺ وما ارتقى إليه سلف الأمّة الصالح من عمل رشيد وسلوك قويم وخلق عظيم.

6 ـ ترك ما فيه ريبة وتجنّب كلّ ما يحيك في النفس، ولا يعين على تحقّق حسن الخلق.

* * *

(1) انظر فتح الباري 10/474.

الحديث السابع عشر:

الجِهَادُ وَالسِّيَرُ

بابُ قِتَالِ اليَهُودِ

قال الإمامُ البخاريُّ رحمه الله تعالى: حَدَّثَنَا إسحاقُ بْنُ محمّدٍ الْفَرَوِيُّ: حدَّثنا مالِك عن نافعٍ عن عبدِ الله بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما **أنّ رسولَ الله ﷺ قال: " تُقَاتِلُونَ اليهودَ حتى يَخْتَبِىء أحدُهُمْ وَرَاءَ الْحَجَرِ، فيقولُ: يا عبدَ الله !هَذَا يَهُودِيّ وَرَائي فَاقْتُلْهُ "**[1].

شرح ترجمة الكتاب:

الجهاد لغة: المشقّة، يقال جُهِدْتُ جِهَادًا بَلَغْتُ الْمَشَقَّةَ.

شرعا: بذل الجهد في:

أ ـ **قتال الكفّار**: باليدِ والمالِ واللسانِ والقلبِ، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [9 التوبة 111].

ب ـ **ويُطْلَقُ على مجاهدة النفْسِ**: "وتكون بتعلّم أمور الإسلام ثم العمل بها وتعليمها، ونشرها " .

ج ـ **وقمع الفسّاق**: ويقع باليد و باللسان بالنسبة للقادر على تغيير الفسق بيده أو بلسانه وإذا كان عاجزا عن ذلك فلا أقلّ من أن ينكره بقلبه.

د ـ **ومقاومة الشيطان**: بدفع ما يأتي به من الشبهات وما يزيّنه من الشهوات.

السِّيَر: جمع سيرة وهي الحالة التي يكون عليها الإنسان وغيره غريزيّة كانت أو مكتسبة، وهي هنا تَتَبُّعُ حياةِ الرسولِ ﷺ، ومعرفةُ شمائله وخصاله وجهاده وما

---

(1) متن فتح الباري 121/6 عدد 2925.

لقيه من عنت في سبيل تبليغ كلمة التوحيد ونشر شريعة الله.. وأُطْلِقَ لفظُ السير على أبواب الجهاد لأنّها مُتَلَقّاة من أحوال النبيِّ ﷺ في غزواته.

شرح ترجمة الباب:

يقول الإمام البخاريّ: هذا باب سأورد فيه حديثا أو أكثر يتناول بالذكر مقاتلة اليهود، وما سيجري في تلك المقاتلة من أحداث وكرامات وانتصارات مؤزّرة للمسلمين على اليهود.

المعنى العام للحديث:

يُخبر النبي ﷺ بأنّ المسلمين سيقاتلون اليهود قبل قيام الساعة، وينتصرون عليهم ويهزمونهم ويزيلون شاراتِهِمْ ويطهّرون الأرض من أدناسهم، وتقف العناصرُ الطبيعية بما فيها الجمادات إلى جانب المسلمين فحتّى الحجرُ يكشف اليهوديّ الذي يختبىء خلفه ويدلّ المسلمَ عليه ليقتله.

الترجمة بإيجاز لرجال السند:

1 خ، ت، جه) **إسحاق بن محمد بن إسماعيل بن عبدالله الفروي ـ أبو يعقوب المدني الأمويُّ [ت 226 هـ]:**

روى عن مالك و سليمان بن بلال...

روى عنه البخاري كما روى عنه الترمذي و ابن ماجه بوساطة...

قال أبو حاتم: كان صدوقا، و لكن ذهب بصره فربّما لقّن و كتبه صحيحة(1).

2 ـ (ع) **مالك بن أنس الأصبحي [ذو أصبح] الحميري أبو عبد الله المدني الفقيه أحد** أعلام الإسلام إمام دار الهجرة [ت 179 هـ]:

روى عن عامر بن عبدالله بن الزبير بن العوّام، وزيد بن أسلم، و نافع مولى ابن عمر، وحميد الطويل...

(1) التعديل والتجريح 1/377 عدد 82 ـ تهذيب التهذيب 1/248 عدد 466.

وروى عنه: الإمام الزهري، و يحي بن سعيد الأنصاري، والأوزاعي وسفيان الثوري و شعبة بن الحجّاج و عبدالملك بن جريج و الليث بن سعد، والشافعي. . .

قال البخاري: أصحّ الأسانيد مالك عن نافع عن ابن عمر. وقال ابن عينية: ما كان أشدّ انتقادَ مالكٍ للرجال و أَعْلَمَهُ بشأنهم. و قال ابنُ معين: كلّ من روى عنه مالك فهو ثقة إلا عبدَالكريم بن أبي العوجاء.

ومالك أمير المؤمنين في الحديث و مناقبه أكثر من أن تحصى[1].

3 ـ (ع) **نافع مولى ابن عمر أبو عبد الله الفقيه المدني [117 هـ]**:

أصابه ابن عمر في بعض مغازيه، من أئمّة التابعين، إمام في العلم.

روى عن مولاه، وأبي هريرة وأبي سعيد الخدريّ، ورافع بن خَدِيجٍ، وعائشة وأمّ سلمة. . .

وروى عنه عبد الله بن دينار ويحيى بن سعيد الأنصاري، وأبو إسحاق السَّبِيعِيُّ والزهريُّ، وأيوب السَّختيانيُّ، ومالك بن أنسٍ و الليث بن سعدٍ وخلق كثير. . .

عن مالك: كنت إذا سمعتُ من نافع يُحدّثُ عن ابن عمر لا أبالي أن لا أسمعه من غيره. وثّقة العجليّ وابن خَرَاشٍ والنسائيُّ[2].

4 ـ (ع) **عبد الله بن عمر بن الخطاب بن نفيل العدوي ـ أبو عبد الرحمان المكي** [ت 74 هـ]: تقدّمت ترجمته في الحديث الثالث عشر.

شرح الحديث:

تقاتلون: تتضمّن عبارة قاتل قتالا ومقاتلة معنى المشاركة في القتل، أي أنّ كلّ طرف يحاول قتل الآخر، خلافا للقتل الذي يتمّ فيه قتلُ طرف طرفا آخر بدون

---

(1) التعديل والتجريح 2/696 عدد 600 ـ تهذيب التهذيب 10/5عدد 3.

(2) التعديل والتجريح 2/770 عدد 726 ـ تهذيب التهذيب 10/412 عدد 742.

مواجهة ولا محاربة أو مقاومة من المقتول.

اليهود: يقول الراغب الأصفهاني في مفرداته[1]: قال بعضهم: يهود في الأصل من قولهم: هدنا إليك أي تبنا إليك، من الهَوْدِ وهو التوبة. وهود جمع هائد أي تائب. وكان يهود اسم مدح، ثم صار بعد نسخ شريعتهم لازِمًا لهم وإن لم يكن فيه معنى المدح، كما أنّ النصارى في الأصل من قوله تعالى: ﴿۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [3 آل عمران: 52] ثم صار لازما لهم بعد نسخ شريعتهم.

ويقال: "هاد فلان " و " تهوّد " إذا تحرّى طريقة اليهود في الدين، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾ [البقرة: من الآية 62 [2 البقرة 62]، فهاد بمعنى تعاطى ما يتعاطاه اليهود، نحو قولهم: تفرعن فلان، وتطفّل فلان، إذا فعل فعل فرعون، في الطغيان، وفعل طفيل في الطمع بإتيان الدعوات من غير استدعاء.

ويذهب الباحث الفلسطيني مصطفى مراد الدبّاغ في موسوعته القيّمة " بلادنا فلسطين "[2] إلى أنّ " اليهود " نسبة إلى مملكة " اليهوديّة "، وأصله من "يهوذا " اسم سبط [قبيلة] من أسباط بني إسرائيل، سُمّيت بذلك نسبةً إلى جدّهم " يهوذا " رابع أولاد يعقوب من ابنة خاله المسمّاة " ليئة ".

يختبىء: يختفي ويستتر.

عبد الله: وفي رواية: يامسلم، فالمراد به المسلم المقاتل المجاهد.

الغَرْقَد: ضرب من شجر العضاه، وشجر الشوك، والغرقدة واحدته[3].

---

(1) مفردات ألفاظ القرآن ـ العلامة الراغب الأصفهانيّ 847 ـ ط2 ـ 1418 هـ/ 1997م ـ دار القلم دمشق ـ الدار الشاميّة بيروت.

(2) الجزء الأوّل ـ القسم الأوّل 572 هامش 4 ـ ط2 ـ 1393هـ/ 1973م ـ (منشورات دار الطليعة. مطبوعات رابطة الجامعيّين بمحافظة الخليل).

(3) النهاية في غريب الحديث 3/362.

متى يتمّ قتال اليهود؟ :

أمّا قتال اليهود الوارد في الترجمة:

1 ـ فذهب بعض الشرّاح إلى أنّ المراد به قتالهم **في آخر الزمن إذا خرج الدجّال ونزل عيسى**، استنادا إلى ما وقع صريحا في حديث أبى أمامة الباهليّ في قصَّةِ خروج الدجال ونزول عيسى التي رواها مطوّلة ابنُ ماجَهْ وأصلها عند أبي داود، ونحوها من حديث سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ عند أحمد بإسناد حسن وعند ابن مَنْدَةَ في كتاب الإيمان من حديث حُذَيْفَةَ بْنِ اليمان بإسناد صحيح: "وراء الدجال سبعون ألف يهوديّ كلّهم ذو سيف محلّى... فيدركه [عيسى بن مريم] عند باب اللدّ [موضع بفلسطين] فيقتله، فيهزِمُ الله اليهودَ، فلا يبقى شيء ممّا خلق الله يتوارى به يهوديّ إلا أنطق الله ذلك الشيء، فقال: يا عبدَ الله ـ للمسلم ـ هذا يهوديّ فتعال فاقتله، إلا الغَرْقَدَة [ضرب من شجر العضاة و شجر الشوك] فإنّها من شجرهم لا تنطق... "(1).

2 ـ ولعلّ من ذهب إلى تأخير هذا القتال إلى آخر الزمان استشفّ ذلك من قوله ﷺ في روايات أخرى صحيحة: " لا تقوم الساعةُ حتى تقاتلوا اليهودَ "، **إلا أنّ عبارة " لا تقوم الساعة " تعني قبل قيام الساعة، دون تحديد الزمن** فمقاتلة اليهود قد تكون الآن، وقد تكون غدا أو بعده، وقد تتأخّر إلى نزول عيسى قبل قيام الساعة.

3 ـ إلا أنّ قول الرسول ﷺ في حديث عبد الله بن عمر في صحيح البخاريّ: "تقاتلكم اليهودُ فتسلّطون عليهم " يجعل **هذه المقاتلة مُوقّتةً ومرهونةً بمقاتلة اليهود المسلمين**، وطالما أنّ اليهود اعتدوا على أرض الإسلام وعلى دماء المسلمين وأعراضهم ودنّسوا مُقَدَّسَاتِهِمْ وأعلنوا الحربَ عليهم، فإنّ ردّ عِدوانهم واسترداد الحقوق والمقدّسات منهم بمقاتلتهم تُصْبِحُ فرضَ عَيْنٍ حالا.

(1) سنن ابن ماجه 2/1352-1363 حديث4077.

ومن هنا فمقاتلة اليهود المعتدين ودحرهم مصداقا لوعد الرسول ﷺ الذي لا يتخلّفُ قد تتمّ قريبا حالما يثوب المسلمون إلى رشدهم، ويأخذون بسُنَنِ النصر، فيوحّدوا صفوفهم ويجمعوا كلمتهم على الإسلام، ويسوّدوا عليهم أخلصهم وأنقاهم ممّن بَرِيءَ مِنْ رَذِيلَةِ الْعِمَالَةِ وخيانة آمَال الأمّة، وجَعَلَ وَلاءَهُ لله وحده ولكتابه ولرسوله وللمسلمين لا للكافرين.

- متابعاتُ الحديث وشواهده التي رواها البخاري في جامعه؟

- تابع نافِعًا، سالمُ بْنُ عبد الله في رواية الحديث عن عبدِ الله بْنِ عمر: رواه البخاري في المناقب - باب علامات النبوّة في الإسلام قال: حدّثنا الحكم بن نافع: أخبرنا شعيب بن أبي حمزة عن الزّهري عن سالم بن عبد الله أنَّ عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال.. بلفظ مشابه[1].

وللحديث شاهد من رواية أبي هريرة رضي الله عنه، رواه البخاري في الجهاد، باب قتال اليهود - قال: حدثنا إسحاقُ بْنُ إبراهيمَ بْنِ راهويه: أخبرنا جرير ابن عبد الحميد الضّبي عن عمارة بن القعقاع عن أبي زرعة هرم بن عمر و بن جرير البجلي عن أبي هريرة بلفظ مقارب[2].

- هل روى مالك هذا الحديث في الموطإ؟ و هل انفرد بروايته إسحاق بن محمد الفروي؟

- هذا الحديث ممّا حدّث به مالك خارج الموطإ، ولم ينفرد به إسحاق الفروي بل تابعه ابنُ وهب و مَعْنُ بْنُ عيسى، و سعيد بن داود، و الوليد بن مسلم. أخرج هذه الطرق كلّها الدارقطني في غرائب مالك. و أخرج الإسماعيلي طريق ابن وهب فقط[3].

(1) فتح الباري 6/699 حديث3593.
(2) متن فتح الباري 6/699 حديث 3593.
(3) انظر فتح الباري 6/121.

ـ **محطات هامّة في تاريخ اليهود وعدوانهم على فلسطين:**

ـ **حوالي سنة 1180** ق.م غزت فلسطينَ بعضُ القبائل اليهوديّة في شكل عصابات قدمت من صحراء سينا بقيادة يوشع [يشوع] بْنِ نون خليفة موسى عليه السلام، وقد لقيت مقاومةً باسلةً من القبائل العربية سكان فلسطين الأصليين [وهم الفلستينيّون، والكنعانيون واليبوسيون، والعمونيون]. ويتحدّث سفر يشوع، الإصحاح 10 عن التقتيل والتدمير الكامل لكلّ ما وصلت إليه أيديهم.

ـ **في سنة 1020** ق.م أصبح شاؤول saul ملكا للإسرائيليين، وقد قتله الفلستينيون سنة 1000 ق.م خلال معاركهم الكثيرة معه، علما بأنّه لم يستطع الاستيلاءَ على كاملِ فلسطين.

ـ **1000 ـ 961** ق.م أصبح داود أمير" يهودا " بعد شاؤول، إلا أنّه لم يتمكّن من السيطرة على القبائل اليهودية إلا بعد أن قتل ابن شاؤول "إشبوشيث ـIshbosheth" وقائد جيوشه "أبنير ـ Abner" . كما قد أحبط داودُ مؤامرة لقتله قام بها ضدّه ابنه " أبسولوم ـ Absolom" .

ـ **961 ـ 922** ق. م تولّى سليمان بن داود الحكم بعد أبيه، وبوفاته سنة 922 ق.م انقسمت مملكته إلى جزءين:

1 ـ يهودا JUDA في الجنوب.

2 ـ إسرائيل (أو إفرائيم، أو ساماريا) في الشمال.

وهما تكوّنان قوميّتين منفصلتين إلا أنّهما تشتركان في عبادة "يهوه" إله اليهود واتّبَاعِ جملة من التقاليد المُوسَوِيّةِ، وكانتا تعيشان في خصام مستمرّ. وقد انقرضتْ إسرائيلُ سنة 721ق.م بعد أن عاشت قرنين مملكة ذيلا.

ـ **سنة 597** ق.م غزا نبوخذ نصر (بختنصر) ملكُ بابِلَ مملكةَ يهودا وأخذ معه ملكَهَا "يواقيم ـ JEHOIAKM" وعشرة آلاف من خيارهم رهينة وكان من بينهم النبيّ "حزقيال"، وأقام ملكا بديلا على يهودا المسمّى: "زيد يكياه ـ ZEDEKIAH" الذي أقسم يمينَ الولاء لنبوخذ نصر، إلا أنّه سريعا ما خان

القسَمَ ونقض العهدَ وثار على الدولة البابلية، فرجع" نبوخذ نصر" إلى يهودا وحطّم القدس نهائيا سنة 587 ق.م وسبى أهلها، وأخلاها من السكّان، وفرّ من أفلت من قبضة نبوخذ نصر إلى البلاد المجاورة ومنهم من التجأ إلى مصر وكان من بينهم النبي " إرمياه " .

- سنة **539** ق.م انتصر الإمبراطور الفارسي "قورش الثاني CYRUS 2" على ميديا واحتل بابل، فأعاد يهودا إلى اليهود وبنى لهم الهيكل.

- **332 - 330** ق.م غزا الإسكندر المقدوني فلسطين، وبوفاته ورث فلسطينَ "بطليموس Ptolemy" مؤسّسُ دولة البطالمة في مصر التي حكمت مصر 300 سنة.

- **63** ق.م - **70** م حكم الرومانُ فلسطين وفي عهد الحاكم الروماني بيلاطس "PONTIUS PILATE" الذي حكم ما بين 26 - 36 م وقعت محاولة اليهود صلب سيّدنا المسيح عليه السلام في زعمهم. جاء إمبراطور روما " فسباسيان VESPASIAN " مع ابنه "تيتوس TITUS" وأخضع يهودا، وعاد إليها ابنُهُ "تيتوس" بعد رفع السيد المسيح بنحو أربعين سنة ففتح "أورشليم" ودمّر الهيكل وقتل اليهود غضبا للسيد المسيح ونسف المدينة فلم يُبْقِ فيها حجرا على حجر وذلك في شهر ديسمبر سنة 70 م وكان ذلك تصديقا لنبوءة سيّدنا عيسى عليه السلام بخراب بيت المقدس بسبب ظلم اليهود وطغيانهم وفجورهم.

- سنة **136**ق.م الإمبراطور الروماني هادريان "Hadrian" أرسل جيشًا كبيرًا إلى فلسطين بقيادة "يوليوس سيفيروس Julius Severus" فسحق اليهود نهائيا ومنع "هادريان" قراءَةَ القانون "التوراة" واحترامَ السَّبْتِ، و الختانَ وأقام على خرائب أورشليم مدينة وثنية سمّاها "إيليا كابيتوليا Aelia Capitolina" أي أنّه غيّر اسم أورشليم إلى اسم مكوّن من اسمه هو شخصيّا "إيليوس" واسم الكابيتول معبد جوبيتار، وأقام على أنقاض الهيكل القديم هيكلا وثنيا "لجوبيتار Jupiter" أو "المشتري" كبير آلهة الرومان. ومنع اليهودَ من الظهور بالمدينة وكلّ من يخالف هذه التعاليم يُقْتَلُ. واستمرّ هذا الحظرُ مائتي سنة متتالية، ولم يُبْقِ فيها يهوديا واحدا.

- سنة **311** م اعتنق الإمبراطورُ الروماني قسطنطين(288؟ - 327م) المسيحية، فأعاد أحكامَ هادريان الخاصّة بمنع اليهود من الإقامة في القدس، وكان بعض الحكام قبل عهد قسطنطين يتساهلون في تنفيذ تلك الأحكام. واستمرّ أخوه "قسطنطيوس Constantius" في تنفيذ سياسة أخيه في اليهود الذين اعتبرهم قَتَلَةَ سَيِّدِنَا المسيح عليه السلام.
- سنة **395** م انقسمَتْ الإمبراطوية الرومانية إلى قسمين شرقيّة وغربية وكانت فلسطين من نصيب الإمبراطورية الشرقية بِيزَنْطَةَ.
- سنة **611**م هاجم الإمبراطور الفارسي المجوسي "خسرو 2، Chosros 2" فلسطين، فأحرق القدس وحطّم بمساعدة الشراذم اليهودية المتسلّلة لبيت المقدس كنيسة القيامة Holy Sepulchre وعدّة كنائس أخرى وقتلوا المسيحيين.
- سنة **628** م **استعاد " هِرَقْلُ الأول** Heracules **(610 - 641)**" فلسطين، وقتّل اليهود ولم يَنْجُ منهم إلا من فرّ إلى مصر أو الذين اختفوا.
- سنة **638** م، **15هـ** فتح المسلمون بيت المقدس، وقد سلّمها محتلّوها من الروم إلى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وذلك بطلب من بطريرك القدس "صفرونيوس Sophronius". وقد أعطى لأهلها عَهْدًا، ضمّنه رغْبَتَهُمْ في ألا يُسَاكِنَهُمْ في مدينتهم أَحَد مِنَ اليهود.

وهذا نصّ العهد العمري: "بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أعطى عبد الله: عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان:

1 - أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم، ولكنائسهم وصلبانهم. . .

2 - ولا يكرهون على دينهم. .

3 - ولا يسكن معهم أحد من اليهود. .

4 - وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يُعْطِي أَهْلُ المدائن. . .

وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمّة رسوله وذمّة الخلفاء وذمّة المؤمنين، إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية. شهد على ذلك خالد بن الوليد، وعَمْرُو بن

العاص، وعبد الرحمن بن عوف، ومعاوية بن أبي سفيان وكتب وحضر سنة خمس عشرة "

- **في شهر يوليو(جويلية) 1099** م. استولى الصليبيون البرابرة على بيت المقدس في حملتهم الصليبيّة الأولى بقيادة "قود فري أوف بويون Godfrey Of Bouillon " وقد ذبحوا في رحاب المدينة المقدّسة ما يزيد عن سبعين ألفا من سكّانها رجالا ونساء وأطفالا.

- **سنة583 هـ** [في 4 يوليو سنة1187م]. خاض صلاح الدين الأيوبي معركة **حطين** الخالدة فقصم ظهر الصليبيين المتوحّشين الدخلاء، وفي شهر أكتوبر من نفس السنة [يوم الجمعة27 رجب 583هـ] فتح بيت المقدس وطهّرها من رجس الصليبية، وأصبحت فلسطين المسلمة جنّة اللجوء لليهود المضطهدين في أوروبا.

- **في 29** نوفمبر **1947**م. صدر عن الأمم المتحدة قرار ظالم ملزم لحصوله على أكثر من ثلثي أصوات المقترعين، بتقسيم فلسطين بين اليهود والعرب.

- **في 15 مايو 1948**م. أعلنت العصابات الصهيونيّة في فلسطين قيام دولة إسرائيل بمباركة وتأييد قوى الشرّ المعادية للإسلام والمسلمين.

وكانت فاجعةُ اغتصاب فلسطين نتيجةً حتميّةً لانقسام المسلمين وضعفهم وعجزهم عن مقاومة الدسائس والمؤامرات الشرّيرة التي حاكها الصهاينةُ وبريطانيا بمباركة الدول الأوروبيّة الصليبيّة الاستعمارية وبمساعدتها وبتخاذل بَعْضِ الحكّام العرب بل وخيانتهم. فقد أسّس تيودور هرتزل اليهودي النمساوي الحركة الصهيونية الحديثة وألّف كتابه "الدولة اليهوديّة"، ورأس المؤتمر الصهيوني الأوّل في "بال" بسويسرا عام 1897م. وبشّر بقيام الدويلة اليهودية بعد المؤتمر بخمسين سنة، ومات سنة 1904 وخلفه في رئاسة حزب "الصهيونية العالمية" "حاييم وايزمان" الذي أصبح أول رئيس للكيان الصهيونيّ.

وكان وزير الخارجية البريطاني بلفور قد أعطى في 2 نوفمبر 1917 وعدا بإنشاء دولة لليهود في فلسطين العربيّة المسلمة، وبذلك انطبق عليه القول: "أعطى من لا يملك لمن لا يستحق" . كما تقرّر في شهر أفريل سنة 1920 في مؤتمر الحلفاء الذي عقدوه في "سان ريمو" [San Remo] بإيطاليا على خليج "جنوة" ، بمباركة عصبة الأمم وضع فلسطين تحت الانتداب البريطاني، ففتحت بريطانيا باب الهجرة غير الشرعية أمام اليهود إلى فلسطين على مصراعيه وقامت بتسليحهم وتدريبهم وحمايتهم ومساعدتهم على اغتصاب فلسطين وقمع أهلها والتنكيل بهم وقتلهم وإرهابهم وطردهم من أرض آبائهم وأجدادهم.

وفي 15 مايو 1948 انسحب الانكليز من فلسطين بعد أن اطمأنّوا إلى قوّة الصهاينة وسيطرتهم على البلاد، حتى يمكّنوهم من إعلان دولتهم اللقيطة.

ـ من شناعات اليهود قديما وحديثا:

ـ إنّ الطبيعة الصهيونية مشبعة بروح الخديعة والإرهاب والقتل والفساد في الأرض، فحتى أنبياؤهم لم يسلموا من شرورهم فقتلوا نبيّهم " أرمياء " الذي عاش مابين 640 و570 ق.م حيث شجب مظالمهم فغضبوا عليه وقتلوه. كما قتلوا النبي يحيى بن زكريّا ابن خالة السيد المسيح عليه السلام (يوحنا المعمدان) وأباه زكرياء. وحاولوا إيقاع القتل والصلب بالنبيّ عيسى عليه السلام.

وصفوا إبراهيم بالكذب وعدم الغيرة على زوجه مقابل قطعان من الأغنام وأموال نالها من فرعون ومن "ابن مالك Abimelec" .

عبدوا العجل، وطلبوا من موسى عليه السلام أن يجعل لهم آلهة كما للمشركين آلهة كما جاء ذلك جليّا في القرآن العزيز: ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [7 الأعراف: من الآية138]، كما أنّ سفر الخروج يقول إنّهم طلبوا من هارون أن يجعل لهم آلهة. كما أنّ سفر التكوين يذكر أنّ ابنتي لوط أشربتاه خمرا وحملتاه على مواقعتهما دون وعي منه وحملتا منه. وألّهوا عزيرا [عزرا] ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ [9 التوبة 30].

وصفوا سليمان عليه السلام بأنّه يميل إلى الوثنيّة وأنّه شرّير، جاء في سفر الملوك الأول 11/1 ـ 8 " . . فالتصق سليمان بهؤلاء بالحبّ، وكانت له سبعمائة من النساء الحرائر وثلاثمائة من السراري فأمالت نساؤه قلبه . . وراء آلهة أخرى، ولم يكن قلبه كاملا مع الربّ إلهه كقلب داود أبيه، فذهب سليمان وراء عشتروت إلهة الصدونيّين. . . وعمل سليمان الشرّ في عيني الربّ، ولم يتّبع الربّ تماما كداود أبيه "!؟. كما اتّهموا سليمان بأنّه تآمر على قائد جيشه " أوريا الحثّي " ودفع به إلى الموت في الصفوف الأولى من المعارك ليَسْتَوْلِيَ على زوجته الجميلة.

ومن جرائمهم الكبرى تحريفهم كلام الله قال تعالى: ﴿ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [2 البقرة 75] وقال في موضع آخر: ﴿ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ﴾ [النساء46] كما قال عزّ من قائل: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ [2 البقرة، 79] وسعوا إلى قتل الرسول محمّد ﷺ بإلقاء صخرة ضخمة عليه من السطح وكان الذي ندب نفسه لهذه الشناعة، الشقيّ عَمْرُو بْنُ جُحَاشٍ من يهود بني النضير في ربيع الأوّل سنة 4 هـ، كما سعوا إلى قتله ﷺ بالسمّ في الطعام في غزوة خيبر في المحرّم سنة 7هـ، كما حاولوا سحره عليه الصلاة والسلام.

أمّا شناعاتهم في العصر الحديث فهي من البشاعة بحيث تعجز الأقلام عن وصفها وحصرها فقد ارتكبوا مذابح لا مثيل لها في التاريخ في دير ياسين وكفر قاسم وقنا وصبرا وشاتيلا وجنين. . . ولا يمرّ يوم من وجودهم في الأرض المقدّسة فلسطين إلا ويرتكبون فيه التقتيل والتحريق والتخريب. كما أنّ أخبار الضحايا الذين يختطفهم اليهود لقتلهم وتقطير دمائهم حتى يعجنوا بها خبزهم الخاصّ بطقوس عيد الفصح، أكثر من أن تحصى ولعلّ ما يعرف في التاريخ بتهمة الدم التي ذهب ضحيّتها الراهب " توما " في دمشق سنة 1840 م. تقوم خير شاهد على تحَجُّرِ قلوبهم وطبيعتهم الإجرامية.

ـ **ما يستفاد من الحديث؟**

1 ـ عبارة "تقاتلون" يفهم منها: جواز مخاطبة الشخص، و المراد غيره ممّن يقول بقوله ويعتقد اعتقاده: لأنّه من المعلوم أنّ الوقت الذي أشار إليه النبي ﷺ لم يأت بعد، و إنّما أراد بقوله "تقاتلون" مخاطبة المسلمين.

2 ـ ويستفاد كذلك أنّ الخطاب الشفاهيّ يعمّ المخاطبين ومن يأتي بعدهم، وهو متّفق عليه من جهة الحكم، و إنّما وقع الاختلاف في حكم الغائبين:

ـ هل وقع بتلك المخاطبة نفسها؟ أو بطريق الإلحاق؟ و هذا الحديث يؤيّد من ذهب إلى الأوّل.

3 ـ ومقاتلة اليهود المغتصبين رهينة اعتدائهم على المقدّسات وغير مرجأة إلى آخر الزمن.

4 ـ وفيه إشارة إلى بقاء دين الإسلام إلى أن ينزل عيسى عليه السلام فيقاتل الدجّال ويستأصل اليهود الذين هم تبع الدجّال على ما ورد في طرق أخرى، ويطبّق شريعة الإسلام.

5 ـ وفيه ظهور الآيات قرب قيام الساعة من كلام الجماد من شجر و حجر و ظاهره أنّ ذلك ينطق حقيقة و يحتمل المجاز بأن يكون المراد أنّهم لا يفيدهم الاختباء، والأوّل أولى.

6 ـ وفيه البشارة بهزيمة اليهود مجسّمين في دويلة العدوّ الصهيونيّ المسماة إسرائيل وهي وعد مقدّس لا يتخلّف ولا تُخْفِتُ من وهجه النتائجُ السلبية التي حصدها العربُ طوال المواجهات التي دارت بينهم وبين العدوّ الصهيوني المدعوم من الغرب الصليبيّ الاستعماريّ والعَلْمَانِيّ الملحد، ذلك أنّ نصر المسلمين وعد أخبر به الرسول الأمين ﷺ ووعد الله لا يتخلّف، فهذه الدويلة ـعلى ملحظ د. حسن ظاظا: " مغروسة بالإكراه في قلب العالم العربي وهي الخلاصة العصريّة للتعصّب اليهوديّ الكامن، المنقوع في الأحقاد العنصريّة المريضة. . وإنّ زوالها أمر ضروريّ لِحُرِّيَّةِ العالَمِ العربيّ والإسلاميّ وازدهاره

ورُقِيّه." [1] وينبغي أن تكون إزالتُهَا هدفا محوريّا وواجبا دينيّا عينيّا على كلّ مسلم، نتعبّد الله به ونتقرّب بإنجازه إلى مرضاته تعالى.

* * *

الحديث الثامن عشر:

كتابُ الْجِزيَةِ وَالْمُوَادَعَةِ

بابُ إِخْرَاجِ اليهودَ مِنْ جَزِيرَةِ العَرَبِ. وقال عُمَرُ عَنِ النبيِّ ﷺ: أُقِرُّكُمْ مَا أَقَرَّكُمْ الله".

قال الإمام البخاريّ رحمه الله تعالى: حَدَّثنا عبدُ الله بْنُ يُوسُفَ: حدثنا الليث قال: حدَّثِني سعيد المَقْبُرِيُّ عن أبيه عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: "بينما نحنُ في المسجد خرج النبيُّ ﷺ فقال: **انطلقوا إلى يهودَ، فخرجنا حتى جئنا بيْتَ الْمِدْرَاسِ، فقالَ: أَسْلِمُوا تَسْلَمُوا، واعْلَمُوا أَنَّ الأَرْضَ لله وَرَسُولِهِ، وإنّي أريدُ أَنْ أُجْلِيَكُمْ مِنْ هَذِهِ الأرْضِ. فَمَنْ يَجِدْ مِنكُمْ بِمَالِهِ شَيْئًا فَلْيَبِعْهُ، و إلا فاعْلَمُوا أَنَّ الأَرْضَ لله وَرَسُولِهِ** " [2].

شرح ترجمة الكتاب:

يقول الإمام البخاريُّ: هذا كتاب أذكر فيه جملة من الأبواب تتعلّق **بالجزية،** وهي ما يدفعه الذّمّيّ مقابل تركه يعيش في بلاد الإسلام، وحمايته وعصمة دمه وعرضه وماله، و**بالموادعة** وهي الهُدْنة التي تعقد مع العدوّ المحارب للمسلمين مدّة معيّنة لمصلحةٍ اقتضَتْهَا ظروفُ المسلمين العسكرية والسياسية.

---

(1) إسرائيل ركيزة الاستعمار والعدوان بين المسلمين ـ د. حسن ظاظا 79 ـ 82 ط1 ـ 1417هـ/ 1996م ـ دار القلم، دمشق ـ الدار الشاميّة، بيروت.

(2) صحيح البخاري ـ متن فتح الباري 6/312 الحديث 3167.

شرح ترجمة الباب:

يقول الإمام البخاري هذا باب أذكر فيه حديثا أو أكثر يتعلّق بأمر الرسول ﷺ بإخراج اليهود من جزيرة العرب التي لا يجوز أن يجتمع فيها دينان.

المعنى العامّ للحديث:

يتناول الحديث خروجَ النبيِّ ﷺ مع جمع من صحابته إلى بقايا يهود الذين تأخّروا بالمدينة المنوّرة، فخيّرهم بين الإسلام والجلاء وقد سمح لهم ببيع ما يعزّ عليهم من أموالهم ممّا يَعْسُرُ حَمْلُهُ، لأنّ الأرضَ فَيْء لله ولرسوله ﷺ.

الترجمة بإيجاز لرجال السند:

1 ـ (خ، د، ت، س) عبد الله بن يوسف أبو محمد التّنيسي [ت 218 أو 219هـ]:

روى عن مالك بن أنس، والليث بن سعد، وعبد العزيز بن أبي سلمة وعبد الله بن وهب وغيرهم. أخذ عنه البخاري وقال: لقيته بمصر سنة 217هـ.

وثّقه أبو حاتم محمد بن إدريس الرازيّ(1).

2 ـ (ع) الليث بن سعد بن عبد الرحمن بن عقبة أبو الحارث مولى الوليد بن رفاعة الفهمي البصري [ولد سنة 94 هـ وتوفي سنة175هـ]:

[تقدّمت ترجمته في الحديث 11]

3 ـ (ع) سعيد بن أبي سعيد واسمه كيسان أبو سعيد المقبريّ الليثي مولاهم المدني [ت123هـ]: [تقدّمت ترجمته في الحديث الحادي عشر].

4 ـ (ع) أبوه: كيسان أبو سعيد والد سعيد المقبري مولى أمّ شريك امرأة من ليث [ت 100هـ]:

روى عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدريّ، وعمر بن الخطاب، وعليّ بن أبي طالب، وأسامة بن زيد، وأبي رافع مولى رسول الله ﷺ. .

---

(1) التعديل والتجريح 2/853 عدد 867 ـ تهذيب التهذيب 6/86عدد 173.

وروى عنه ابنه سعيد، وابن ابنه عبد الله بن سعيد، وعبد الملك بن نوفل. .

قال عنه الواقدي: كان ثقة كثير الحديث. وقال النسائي: لا بأس به[1].

5 ـ **أبو هريرة:** [تقدمت ترجمته في الحديث 4].

متابعات الحديث التي أخرجها البخاريُّ في الصحيح:

للحديث في صحيح البخاري متابعتان الأولى رواها عن شيخه عبد العزيز بن عبد الله والثانية عن شيخه قتيبة كليهما عن الليث به بلفظ مقارب. أخرج الأولى في الإكراه باب في بيع المكره[2] والثانية في الاعتصام بالكتاب والسنة، باب وكان الإنسان أكثر شيء جدلا[3].

شرح الحديث:

الْجِزْيَةُ: هي ما يقدّمه الذمّي لبيت مال المسلمين مقابل تركه يعيش في بلاد الإسلام معصوم الدم والعرض والمال ويتمتّع بحريّة التديّن والتملك وغيرذلك. وقيل في أصل اشتقاقها ثلاثة أقوال:

أ ـ قيل هي من جزّأت الشيء إذا قسّمته لأنّها تدفع أقساطا سنويّة أو نحو ذلك، ثم سهّلت الهمزة فأصبحت الجزية بدل الجزئة.

ب ـ وقيل من الجزاء لأنّها جزاء تركهم ببلاد الإسلام آمنين.

ج ـ وقيل من الإجزاء لأنّها تكفي من توضع عليه في عصمة دمه وتأمين حريّته وحقوقه الإنسانيّة الأخرى.

الموادعة: من الفعل وَدَعَهُ وَدْعًا أي تركه وَادِعًا، أو في دَعَةٍ [وهي خفض العيش، وهنا بمعني السلم]. والموادعة هي المتاركة، متاركة أهل الحرب وعدم مقاتلتهم مدّة معيّنة لمصلحة اقتضتها حالُ المسلمين.

---

(1) التعديل والتجريح2/614 عدد 447 ـ تهذيب التهذيب8/453 عدد 823.

(2) حديث 6944 ـ متن فتح الباري 12/332.

(3) حديث 7348 ـ متن فتح الباري 13/326.

- وفي قوله: " الجزية والموادعة" من المحسّنات اللفظية: فهي لفّ ونشر مرتّب، لأنّ الجزية مع أهل الذمة، والموادعة مع أهل الحرب.

إخراج اليهود: إجلاؤهم وَزنًا ومعنًى. والنبيّ ﷺ أمر بإخراج المشركين من جزيرة العرب كما ورد ذلك من حديث ابن عباس مرفوعا: " أخرجوا المشركين من جزيرة العرب"[1]، واقتصر البخاريُّ هنا على ذكر اليهود، فإذا أمر عليه الصلاة والسلام بإخراجهم وهم يُوَحِّدُونَ الله إلا القليل منهم، فمن باب أولى إخراجُ غيرهم من الكفار.

اليهود: لم يسمّوا ولم ينسبوا، والظاهر أنّهم بقايا من اليهود الذين تأخّروا بالمدينة المنوّرة إثر إجلاء:

1 - بني **قينقاع** في جمادى الأولى من السنة 3هـ بعد أن نَقَضُوا ما بينهم وبين رسول الله ﷺ وحاربوا مع المشركين فيما بين بدر وأحد.

2 - و بني **النضير** في صفر من السنة 4هـ حيث جاءهم النبيُّ ﷺ يستعينهم في ديّة رجلين مسلمين من بني عامر كان قتلهما عَمْرُو بن أميّة - ولم يكن يعلم أنّهما مسلمان - انتقاما من مشركي بني عامر الذين أفلت لتوّه من غدرهم بوفد الرسولﷺ إليهم في وقعة بئر معونة، فبدل أن يُعِينُوا رسول الله ﷺ على دفع الديّة كما هو متّفق عليه في العَهْدِ بَيْنَهُمْ وبين رسول الله ﷺ، فإنَّهُمْ تآمروا عليه لقتله.

3 - و بني **قريظة** في شوّال من السنة 5هـ إثر نقضهم العهد مع رسول الله ﷺ وغدرهم بالمسلمين ووقوفهم مع الأحزاب.

4 - أمّا **يهودُ خَيْبَرَ** فلمّا ظهر عليهم رسولُ الله ﷺ في المحرّم من السنة 7هـ أراد إخراجَهُمْ فسألوه أنْ يُقِرَّهُمْ بها على أن يَكْفُوهُ عملها ولهم نصفُ الثمر، فقال لهم: " نُقِرُّكُمْ بِهَا على ذلك ما شئنا ".

جزيرة العرب: **قال الأصمعي جزيرة العرب ما بين عَدَن أَبْيَنَ إلى ريف العراق**

---

(1) كتاب الجهاد باب جوائز الوفد حديث عدد 3053 متن فتح الباري 6/ 197.

طولا، ومن جدّة وما والاها إلى أطراف الشام عرضا، وسمّيت جزيرةً لإحاطة البحار بها يعني بحر الهند، وبحر القلزم [البحر الأحمر] وبحر فارس [الخليج] وبحر الحبشة، وأضيفت إلى العرب لأنّها كانت بأيديهم قبل الإسلام وبها أوطانهم ومنازلهم. وقال الخليلُ بن أحمدَ: سمّيت جزيرة العرب لأنّ بحر فارس وبحر الحبشة، والفرات ودجلة أحاطت بها، وهي أرض العرب ومعدنها.

أقرّكم ما أقرّكم الله: أي أبقيكم في الأرض إلى أن يشاء الله.

هذا الحديث يرويه سيّدُنَا عُمَرُ رضي الله عنه مرفوعا عن رسول الله ﷺ، وليس فيه تحديدُ مُدَّةِ الإبقاء بأجلٍ معلومٍ، وإنّما يستمرّ بمشيئة الرسول ﷺ في حياته ومشيئة المسلمين بعد وفاته، وقد رأى سيدّنا عمرُ المصلحةَ في إجلائهم فأجلاهم إلى **تيماء** [واحة في شمال الجزيرة العربية] و **أريحا** [مدينة فلسطينية في غور الأردن].

ـ ما الذي يُمْنَعُ المشركون مِنْ سُكْنَاهُ ومن دخوله من جزيرة العرب؟

ـ يذهب الجمهورُ إلى أنّ الذي يُمنع المشركون من سكناه في جزيرة العرب الحجاز خاصّة وهو مكة والمدينة واليمامة وما والاها، لاتّفاق الجميع على أنّ اليمن لا يمنعون منها مع أنّها من جملة جزيرة العرب.

- ويُرْوَى عن الحنفية أنّه يجوزُ دخولُ الجزيرة مطلقا إلا المسجد.

- وعن مالك يجوز دخول المشركين الحرم للتجارة.

- وقال الشافعيّ لا يدخل المشركون الحرم أصلا إلا بإذن الإمام لمصلحة المسلمين خاصّة.

بينما: بين ظرف متعلّق بالفعل " خرج "، وما: زائدة.

المسجد: " ال" للعهد، والمراد به مسجد رسول الله ﷺ.

المِدْرَاس: بكسر الميم وآخره سين مهملة على وزن "مفعال" وهو من صيغ المبالغة، وهو:

ـ إمّا العالِم الذي يُدَرِّسُ كتابَهُمْ وهو رِبِّيُهُمْ وكبيرهم. جاء في حديث الرجم: " فوضع مِدْرَاسُهَا يَدَهُ على آيَةِ الرَّجْمِ " ويقال إنّه " ابن صوريا " في تلك الواقعة.

ـ وإمّا البيت الذي يُدَرَّسُ فيه كِتَابُهُمْ. وهو المراد هنا للتّصريح به.

أسلِمُوا تَسْلَمُوا: أي إن استجبتم للحقّ وآمنتم بالإسلام دين الله فإنّكم ستسلمون من الإجلاء وممّا هو أشدّ من الإجلاء. وقد جاء نظيرُ هذا في رسالة النبيّ ﷺ إلى هرقل عظيم الروم: أسلم تسلم.

ـ وفي العبارة **جناس**، وهو أن يتشابه اللفظان في النطق ويختلفا في المعنى. وهو هنا جناس حسن تامّ لسهولة لفظه وعدم تكلّفه. و **الجناس نوعان**:

أ ـ **تامّ**: وهو ما اتّفق فيه اللفظان في أمور أربعة هي: نوع الحروف، وشكلها، وعددها، وترتيبها.

ب ـ وغير **تامّ**: وهو ما اختلف فيه اللفظان في واحد من الأمور المتقدّمة، مثل تقهر، وتنهر في قوله تعالى " فأمّا اليتيم فلا تقهر وأمّا السائل فلا تنهر "، فقد اشتبهت اللفظتان في النطق واختلفتا في المعنى، فهما من الجناس إلا أنّه جناس غير تامٍّ لأنّهما اختلفتا في نوع الحروف وإن اتّفقتا في شكلها وعددها وترتيبها.

اعلموا: جملة مستأنفة، كأنّهم قالوا في جواب قوله " أسلموا تسلموا ": لِمَ قلت هذا وكرّرته؟ فقال: "اعلموا.. " وجاء في المتابعة التي رواها البخاري في كتاب الاعتصام: "فقالوا: قد بلّغتَ يا أبا القاسِمِ "، وهي كلمةُ مَكْرٍ ومُدَاجَاةٍ ليدافعوه بما يُوهِمُهُ ظاهِرُهَا الموافقةَ على قوله، ولذلك قال لهم في تلك الرواية: "ذلك أريدُ، أسلموا تسلموا " فكرّروا قولهم، ولم يذعنوا للحق وكرّر عليهم الرسول ﷺ ما قاله لهم ثلاثا، فبالغ في تبليغهم وهذه مجادلة بالتي هي أحسن. وآية المجادلة ﴿ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾ [16 النحل 125] نزلت فيمن لم يؤمن منهم وله عهد. أمّا من لا عهد له من أهل الحرب فيكون جدالهم بالسيف.

أنّ الأرض لله ولرسوله: قوله لله: افتتاحُ كلام. أمّا قوله لرسوله فحقيقة، لأنّها فيء حيث أُخِذَتْ صُلحا، فلم يُوجِفْ عليها المسلمون بخيل ولا ركاب [الوجيف: سرعة السير، وهو هنا كناية عن الحرب]، فهي للرسول ﷺ خالصةً يتصرّف فيها بما يراه صالحا.

أُجْلِيكُمْ: أي أخرجكم وزنا ومعنى كما سبق أن بيّنا في شرح عبارة: "أخرجكم "، وأصل الجلو الكشف، يقال: أجليت القوم عن منازلهم فجلوا عنها، أي خرجوا وانزاحوا عنها فانكشفت.

فمن يجد منكم بماله: مِنْ "وجَد " بفتح عين الفعل" يجِد " بكسر عين الفعل " وَجْدًا " بفلان: أحبّه حبّا شديدا. ووجد لأمر ما وجدا: حزن.

والمعنى: أنّ من تعلّق بشيء من ماله وأحبّه وشقّ عليه فراقُ شيْءٍ منه ممّا يعسر عليه حملُهُ معه، أو سيحزن إن هو تركه بدون مقابل، فليبعه، ولينتفع بثمنه.

فوائد الحديث:

1 ـ حرص النبي ﷺ على إنقاذ البشرية من الشرك والعقائد المحرّفة، فتراه يبالغ في التبليغ والمجادلة بالتي هي أحسن، حتى تبرأ ذمّته أمام الخالق تعالى.

2 ـ لا يجوز لليهود ولا النصارى فضلا عن المشركين أن يستوطنوا جزيرة العرب عملا بوصية النبي ﷺ قبيل وفاته: "أخرجوا المشركين من جزيرة العرب " .

3 ـ عدله ﷺ فقد عرض على اليهود الإسلام قبل الإجلاء، ومن لم يسلم منهم سُمِحَ له ببيع ما يعزّ عليه من ماله ممّا لم يستطع حمله.

4 ـ ذهب الطبريّ إلى أنّهُ على الإمام إخراجُ كلّ من دان بغير دين الإسلام من بلاد المسلمين التي غلبوا عليها عَنْوة إذا لم يكن بالمسلمين ضرورة إليهم، كعمل الأرض ونحو ذلك، وعلى ذلك أقرّ عُمَرُ من أقرّ بالسواد والشام، وزعِم أنّ ذلك لا يختصّ بجزيرة العرب بل يلتحق بها ما كان على حكمها.

* * *

الحديث التاسع عشر:

[الحُـرّيّةُ فِـي الإسْـلامِ]

بابُ صُحْبَةِ الْمَمَالِيكِ وكفّارةِ مَنْ لَطَمَ عَبْدَهُ

قال الإمامُ مسلم رحمه الله تعالى: حدّثني أَبُو كامِلٍ فُضَيْلُ بْنُ حُسَيْنٍ الْجَحْدَرِيُّ. حدّثنا أبو عَوَانَةَ عن فِرَاسٍ عن ذَكْوَانَ أَبِي صَالِحٍ، عن زَاذَانَ أبي عمر، قال: أتيتُ ابنَ عُمَرَ، وقد أَعْتَقَ مَمْلُوكًا. قال: فأخذ من الأرضِ عُودًا أو شيئا. فقال ما فيه من الأجر ما يساوِي هذا. إلاّ أنّي سمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: "**مَنْ لَطَمَ مَمْلُوكَهُ أَوْ ضَرَبَهُ فَكَفّارَتُهُ أَنْ يَعْتِقَهُ**"(1).

شرح ترجمة الباب:

يقول الإمام النوويّ شارحُ صحيحِ مسلمٍ وواضِعُ تراجم أبوابه رحمه الله تعالى: " هذا باب يورد فيه الإمامُ مسلم عددًا من الأحاديثِ تتناولُ آدابَ صحبة العبيدِ وحُسْنِ معاملتهم من حيثُ كساؤُهُمْ وطعامُهم وتكليفُهُمْ ما يُطِيقُونَ من العملِ. ذلك أنّ الإسلام جعل العبد أخًا لسيّده، عليه أن يطعمه ممّا يطعم و يكسوه ممّا يلبس وأن يعامله باللطف والإحسان، وإذا تجاوز السيدُ حدود هذه الآداب باستخدام العنف مع عبده من لطمٍ ونحوه فإنّ الإسلامَ يوجب عليه عِتْقَهُ كفّارةً عن عنفه وسوء معاملته لعبده.

المعنى العام للحديث:

يشير الحديث إلى سبب عتق ابن عمر رضي الله عنهما لعبده، وكيف أنّ عتقه له لم يجرّ له أدنى شيء من الأجر، لأنّه لم يكن تبرّعا وإنّما كان تكفيرًا عمّا لَحِقَ العبدَ من أذى، عملا بأمرِ النبيّ ﷺ: " من لطم مملوكه أو ضربه فكفّارته أن يُعْتِقَهُ " .

(1) صحيح مسلم ـ كتاب الأيمان ـ 3/ 1278 حديث عدد 1657.

متابعات الحديث وشواهده:

للحديث عدّةُ متابعاتٍ منها: متابعتان لمسدّد بن مُسَرْهَدٍ وشعبة بن الحجّاج:

أمّا **متابعة مسدّد** فرواها أبو داود في سننه(1) حيث تابع أبا كامل فضيل بن حسين الجحدريّ بأن روى معه الحديث عن أبي عوانة به بمعناه.

أمّا **متابعة شعبة** فرواها الإمام أحمد في مسنده(2)، وقد تابع أبا عوانة في رواية الحديث عن فراس بن يحيى الهمداني به بمعناه.

- وللحديث **شاهد** من رواية سُوَيْدِ بْنِ مقرن المزنيّ رواه الترمذيّ في سننه(3).

الترجمة بإيجاز لرجال السند:

1 - (خ، م، د، س) فضيل بن الحسين البصري الجحدريّ أبو كامل [145-237 هـ]:

- روى عن حماد بن زيد، و عبدالواحد بن زياد وأبي عوانة، و إسماعيل بن عليّة ويحيى بن القطان..

روى عنه البخاري وأبو زرعة و عبدالله بن أحمد وبقيّ بن مخلد، كما روى مسلم وأبو داود والنسائي عن زكرياء السجزيّ عنه،...

ذكره ابن حبّان في الثقات. قال أحمد: أبو كامل بصير بالحديث متقن رضيه الناس و له عقل، عن عليّ بن المديني: "ثقة"(4).

2 - (ع) أبو عوانة وضّاح مولى أبي خالد عطاء بن يزيد بن عبدالرحمان السّلميّ ويقال اليشكري و يقال: الواسطي البزّاز [ت 176 هـ]: تقدّمت ترجمته في الحديث الخامس.

---

(1) كتاب الأدب - باب في حقّ المملوك - 4/342 حديث عدد 5167.

(2) 2/45.

(3) كتاب النذور والأيمان، باب ما جاء في الرجل يلطم عبده 4/114 حديث عدد 1542.

(4) التعديل والتجريح 3/1051 رقم1229 - تهذيب التهذيب8/290 رقم532.

3 ـ (ع) **فراس بن يحيي الهمداني أبو يحيى الخارفيّ المكتّب.** [ت129هـ]:

روى عن الشعبيّ عامر بن شراحيل.. وروى عنه شعبة، وأبو عوانة وضّاح اليشكريّ، وشيبان بن عبد الرحمن..

وثّقه أحمد وابن معين والنسائي. قال العجليّ: كوفيّ ثقة. وذكره ابن حبّان في الثقات(1).

4 ـ (ع) **ذكوان أبو صالح السمّان الزيّات مولى جويريّة بن الحارث الغطفاني المدنيّ** [ت101هـ]:

روى عن سعد بن أبي وقّاص، وأبي هريرة، وأبي الدرداء، وأبي سعيد الخدريّ، وجابر بن عبد الله، وعبد الله بن عمرو، وعبد الله بن عباس، ومعاوية وعائشة وأمّ سلمة..

روى عنه أولاده سهيل وصالح وعبد الله، وعطاء بن أبي رباح، وعبد الله بن دينار، ورجاء بن حيوة، وزيد بن أسلم، والأعمش..

شهد الدار زمن عثمان، سكن الكوفة.

قال أبو زرعة الرازي: هو صالح الحديث يحتجّ بحديثه. وقال يحي بن معين هو مدنيّ ثقة. وقال أبو حاتم الرازي: ثقة صالح الحديث يحتجّ بحديثه(2).

5 ـ (بخ [البخاري في الأدب المفرد]، م، 4) **زاذان أبو عبد الله ويقال أبو عمر الكندي مولاهم الكوفي الضّرير البزّار** [قال خليفة بن خياط: ت 82هـ بمكّة]:

يقال إنّه شهد خطبة عمر بالجابية سنة16هـ.

روى عن عمر، وعليّ وابن مسعود وسلمان وحذيفة وأبي هريرة وعائشة وابن عمر والبراء بن عازب..

---

(1) التعديل والتجريح 3/1055 ـ تهذيب التهذيب8/259 عدد 482.

(2) التعديل والتجريح 2/568 عدد 359 ـ تهذيب التهذيب 3/219 عدد 417.

وروى عنه أبو صالح السمّان والمنهال بن عمرو وأبو اليقظان. .

وثّقه ابن معين وقال: لا يسأل عن مثله ـ كما وثّقه الخطيب و العجليّ وابن سعد. أمّا ابن عديّ فقال عنه: أحاديثه لا بأس بها، إذا روى عنه ثقة(1).

6 ـ (ع) **عبد الله بن عمر صحابي جليل تقدّمت ترجمته في الحديث رقم 13.**

شرح مفردات الحديث:

الحرّيّة: مصدر الفعل الثلاثي المجرّد حَرَّ يَحَرُّ [بفتح عين الفعل المضارع] حَرَارًا [بفتح الحاء]. نقول حَرَّ **الْعَبْدُ**: عُتِقَ وَصَارَ حُرًّا، وحَرَّ **الإِنْسَانُ**: كان حُرَّ الأَصْلِ شَرِيفَهُ. والْحُرِّيَّةُ: هي الانعتاقُ من العبوديَّةِ والرِّقّ للآخرين، فيكون حرّا يتصرّف تصرّف الأحرار، يترفّعُ عن الدنايا، ولا يَرْضَى بِالذُّلِّ أو أن يكون موضع اعتداء أو هضم لحقوقه من أحد.

والْحُرُّ جَمْعُ أَحْرَارٍ وحِرَارٍ خِلافُ العَبْدِ، وهو أيضا خيار كلّ شيء. تقول العرب: هو من حرّيّة قومه: أي من خالصهم. والحُرُّ أيضا هو الفعلُ الْحَسَنُ: يقال: ما هذا منك بِحُرٍّ: أي بحسن ولا جميل. وحُرُّ الفاكِهَةِ: خِيَارُهَا. وحُرُّ الأرضِ: أَخْصَبُهَا وأطيبها.

والحُرّةُ هي الكريمةُ من النساء، التي لا تَزْنُ بِرِيبَةٍ. ولا تأتي ما يَشِينُ، ولهذا قالت السيدة هند بنت عتبة في بيعة النساء ـ عند قول النبيّ ﷺ: ". . ولا تزنين. . " ـ: "أو تزني الحرّةُ يا رسولَ الله ؟!".

صَحِبَ: لازم، والصحبة: هي الملازمة. والصاحب: هو الملازم للشيء، جاء في سورة الكهف قولُه تعالى ﴿أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ﴾[18 الكهف: من الآية 9] [وفُسّر الرقيمُ بأنّهُ اسمُ مكان، أو حَجَر رُقِم فيه أسماء هؤلاء الفتية المؤمنين]، ويقال للمالك صاحب، كما يقال للمملوك المتصرّف فيه صاحب، للجامع بينهما وهو طول المصاحبة.

---

(1) تهذيب التهذيب 302/3 عدد 565 ـ الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة 316/1 عدد 1616.

المَمَالِيكُ: جمع مملوك، ويختصّ في التعارف بالرقيق من الأملاك، أي ما يُمْلَكُ من العبيد، وقد خُصّ ملك العبيد في القرآن الكريم باليمين، قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ﴾ [24 النور58]، ﴿ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ﴾ [4 النساء 3].

ـ **كفارة**: الكفّارة هي ما يُغطّى به الإثمُ، و **التكفيرُ**: هو سَتْرُ الذنب أو الإثم وتغطيتُهُ حتى يصير بمنزلة ما لم يعمل كالتمريض وهو إزالة المرض. وأصل التكفير إزالة الكفر والكفران، وهو إنكار النعمة. والكفّارة هنا تعني ما يقدّمه المذنب أو ما يقوم به من الصالحات تطهيرا له من ذنبه.

ـ **لَطَمَ يَلْطِمُ** [بكسر الطاء] **لطما**: ضرب خدّه أو صفعه بالكفّ مفتوحة أو بباطن كفّه و منه المثل: "لو ذاتُ سِوَارٍ لطمتني "[قاله حاتم الطائي حين كان أسيرًا في بني عنزة مكان الأسير الذي فداه بنفسه، وكان أنْ لطمته أَمَة، والأمة لا تلبس عندهم حِلْيَةً، فقال قولته هذه التي أصبحت مثلا يضرب في الاستخفاف بالأمر، أي لو كان المُهِينُ وجِيهًا لا حقيرًا ذليلا لهان الأمرُ]. ونقول لطّمه: إذا بالغ في لطمه واللطمة تجمع على لطمات، واللطيم هو الملطوم.

عبدا: العبد هو المملوك المسترقّ الذي يصحّ بيعُهُ وابتياعُهُ. ويُجْمَعُ على عبيد. نقول: عبّده: إذا ذلله واتّخذه عبدا. أمّا المرادُ بالعبد في قول النبي ﷺ " تعس عبد الدرهم والدينار" فهو المعتكف على خدمة الدنيا وأعراضها فأصبح كالعبد لها.

أتيتُ ابنَ عمرَ: أي زرته وجئت مجلسه.

أعتق مملوكا: حرّرَ عبدًا، فهو عتيق أي خال من الرقّ. ومجرّد الفعل" عتق" يعتق بكسر عين الفعل عِتْقًا بكسر أوّله ويفتح، عتاقا وعتاقة: مشتقّ من عتق الفرس إذا سبق، وعتق الطيرُ إذا طار، لأن الرقيق يتخلّص بالعتق ويذهب حيث يشاء.

عودا: جمع عيدان وأعواد وأعْوُد وهو الخشبة، وهنا بمعنى أخذ شيئا تافها ملقى على الأرض لا ثمن له كالقشّة أو نحوها.

الأَجْرُ: الثواب الأخرويّ عن عمل خير وطاعة لله تعالى.

ما يَسْوَى: هكذا وردت في معظم النسخ، والصحيح: ما يُسَاوِي. ولا شك أنّ عبارة ما يسوى من تغيير بعض الرواة لأن ابن عمر فصيح لا يَلْحَنُ.

وابن عمر رضي الله عنه يريد بقوله" ما فيه من الأجر ما يساوي هذا" [العود الصغير]: أَنَّهُ ليس في إعتاقه مَمْلُوكَهُ أيُّ أجرٍ مهما كان صغيرا لأنّه لم يعتقه تبرّعا وإنما أعتقه كفّارةً.

أسباب الرّقّ عند الشعوب والأمم القديمة:

بناء على الانحراف عن العقيدة الصحيحة التي جاء بها الأنبياءُ والمرسلون وبناء على فساد الفطرة التي لا تقرّ بغير الحرّيّة لخلق الله جميعا، فإنّ الأقوياء وأصحاب المصالح والأهواء من الطغاة في بعض الشعوب والأمم القديمة قهَرُوا إخوانَهُمْ في الإنسانيّة ووضعوا قوانين وفرضوا أعرافا تُقِرُّ العبوديةَ وتضمَنُ استمرارها واتِّسَاعَهَا، من ذلك مثلا:

1 ـ أنَّ الرقّ عند بعض الشعوب يحصُلُ لمجرّد الانتماء إلى طبقة معيّنة داخل المجتمع.

2 ـ كما أنّ الحروب تُسْفِرُ عن الكثير من الأسرى، فيُسْتَرَقُّونَ، ويباعون و يسخّرون في الأعمال الشاقّة وغيرها.

3 ـ والقرصنة البحرية وخطف الأطفال والنساء وحتى الرجال في مواطن كثيرة من العالم قد تؤدّي إلى استرقاق المزيد من العبيد.

4 ـ ارتكاب بعض الجرائم الخطيرة قد تؤدّي بمقترفها إلى الرقّ لا سيما إذا كان من المستضعفين.

5 ـ عجز المدين عن دفع دينه يودّي به إلى الرقّ.

6 ـ تناسل الرقيق: فأبناؤهم آليا يكونون عبيدا.

7 ـ سلطة الأب على أبنائه في بعض الشعوب قد تخوّله بَيْعَهُمْ رقيقا.

ـ ما موقف الإسلام من الرقّ ؟ وما هي التشريعات التي سنّها لاستئصاله ؟ :

ـ حينما أشرقت شمس الإسلام كان الرقّ منتشرا شائعا وكان يعدّ نظاما عالميّا معترفا به ووسيلةً فعّالةً في الإنتاج الفلاحيِّ والصناعي والخدمات المختلفة، وإنّ تحريمه من الإسلام وحده لا يحلّ مشكلة الرقّ إذ سوف لن يعامله خصومُهُ المحاربون بالمثل، إلا أنّه وضع آليةً تُضَيِّقُ منافذَ الرقّ وتوسّعُ مسالكَ الحرّيّة تدريجيّا، وصولا إلى استئصاله، فحصر الرقّ في نوعين:

أ ـ رقّ الوراثة. ب ـ رق الحرب وقد استثنى من الرقّ أُسَارَى الحربِ التي تنشب بين المسلمين، كما أباح للإمام في حالات الحرب مع الكافرين:

ـ أن يمنّ على الأسير بالعتق حتى بدون مقابل.

ـ أو يطلق سراحه بفدية أو مقابل عمل يؤدّيه.

ـ أو مبادلة الأسرى بالأسرى المسلمين.

ثم شرّع جملة من التشريعاتِ تُوَسِّعُ منافذَ الحرّيّةِ وتساعدُ على تحريرِ العبيد، وممّا شرّعه الإسلامُ في هذا الصدد:

1 ـ إذا جرى على لسان السيد لفظ يدلّ صراحةً على عتق عبده وجب عِتْقُهُ.

2 ـ إذا جرى على لسان السيد لفظ يفيد التدبير [وهو الوصيّة بتحرير العبد بعد موت السيد]، فإنّه يُعْتَقُ بمجرّد وفاة سيّده.

3 ـ إذا وَلَّدَ سيّد جارِيَتَهُ تُصبح آليّا أمّ وَلَدٍ، فلا تباع ولا توهب ولا يتصرّف فيها أيّ تصرّف، ويكون ولده منها حرّا، وتصبح هي حرّة إثر وفاة سيّدها مباشرة.

4 ـ شرع الإسلامُ المكاتبةَ: وهي ابتياع العبد نفسه من سيّده بما يؤدّيه من كسبه. أي أنّ السيد يُكاتِبُ عبده على مالٍ أو عملٍ ويكون ذلك سبيلا لعتقه. قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ [24 النور 33]

5 ـ ومن ملك ذا محرم فهو حرّ: عن سمرة بن جندب أنّ الرسول ﷺ قال: "من ملك ذا محرم فهو حرّ "(1)

(1) رواه الترمذي في السنن ـ الأحكام ـ باب ما جاء فيمن ملك ذا رحم محرم 3/646 =

6 ـ إيذاء السيد لعبده إيذاءً بليغا يؤدّي إلى وجوب الكفارة عن تلك الإذاية وهي عتقه.

7 ـ جعل الإسلام كفّارة القتل الخطإ عتق رقبة، قال تعالى: ﴿ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ ﴾ [4 النساء 92]، والرقبة التي تكون للكفّارة على اختلاف أنواعها ينبغي أن تكون مؤمنة.

8 ـ كما جعل كفّارةَ الحَنِثِ في اليمين تحريرَ رقبةٍ: ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَـٰنِكُمْ وَلَـٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَـٰنَ ۖ فَكَفَّـٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَـٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَـٰثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ كَفَّـٰرَةُ أَيْمَـٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَٱحْفَظُوٓا۟ أَيْمَـٰنَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [5 النساء89]

9 ـ كما جعل الإسلامُ كفارةَ الظهارِ عتقَ رقبةٍ [و **الظهار** أن يقول الرجل لزوجته: أنت عليّ كظهر أمّي. وكان ذلك يعتبر طلاقا في الجاهلية، فحرّمه الإسلام، وأوجب كفاّرةً على المظاهر النادم على فعله والراغب في إرجاع زوجته إلى عصمته. قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُظَـٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [58 القصص: 3] ولا يحلّ للمظاهر مراجعةُ زوجته إلا بعد العتق.

10 ـ وجعل العتقَ كفارةً للإفطار العمد في رمضان، كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح الوارد في الموطّإ وفي الصحيحين وغيرهما، روى مالك في الموطّإ بسنده إلى أبي هريرة: " أنّ رجلا أفطر في رمضان فأمره رسول الله ﷺ أن يكفّر بعتق رقبة أو صيام شهرين متتابعين أو إطعام ستين مسكينا. . " الحديث.

11 ـ جعل الإسلام عتق الرقاب من العبوديّة من مصارف الزكاة: ﴿ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَـٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱلْعَـٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَـٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [9 التوبة60]

= حديث1365 ـ وأبو داود في السنن ـ العتق ـ باب فيمن ملك ذا رحم محرم حديث 2949. وابن ماجه في السنن ـ العتق ـ باب من ملك ذا رحم فهو حرّ حديث 2524.

12 ـ والإسلام حبّب إلى الناس عِتْقَ العبيد وتخليصهم من نير العبودية، ومَنْحَهُمْ الحرّيّةَ لوجه الله تعالى وَوعدهم على ذلك الجنة. قال تعالى: ﴿ فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ * فَكُّ رَقَبَةٍ ﴾ [90 البلد 11ـ 13]. وقال رسول الله ﷺ: "من أعتق نفسا مؤمنة كانت فديته من جهنّم "، وقال: "أيّما رجل أعتق امرأً مسلمًا استنقذ الله بكلِّ عضو منه عضوا منه من النار". بل فإن الإسلام حضّ من لم يستطع أن يتفرّد بتحرير عبدٍ على الإعانة على العتق والاشتراك فيه مع غيره.

الآداب التي سنّها الإسلامُ في مُعَامَلَةِ العبيد:

الإسلام يعترف بإنسانيّة الرقيق، ويدعو إلى معاملتهم المعاملة الحسنة اللائقة بالإنسان الذي كرّمه الله:

1 ـ فقد أوصى النبيُّ ﷺ خيرًا بالعبيد، جاء في سنن أبي داود وسنن ابن ماجه[1] عن عليّ رضي الله عنه: " كان آخر كلام رسول الله ﷺ: الصلاةَ، الصلاةَ، اتّقوا الله فيما ملكت أيمانُكُمْ ".

2 ـ اعتبر الإسلامُ العبدَ أخًا لسيّده وحرّم إذايَتَهُ أو تعذيبَهُ، عن أبي ذرّ رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: "إنَّهُمْ إخوانُكم فضّلكم الله عليهم بالحرّيّة، فمن لم يلائمكم فبيعوه ولا تعذّبوا خلقَ الله "[2].

3 ـ أوجب الإسلام على السيد أن يُطْعِمَ عبده ممّا يَطْعَمُ ويكسيه ممّا يلبس ولا يكلّفه من الأعمال إلا ما يُطيق: عن أبي ذر رضي الله عنه عن الرسول ﷺ قال موصيا بالعبيد: " إخوانُكم وخَوَلُكُمْ [خدمكم وحشمكم] جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يديه فليطعمه ممّا يأكل ولْيَكْسُهُ ممّا يلبس ولا يكلّفه ما يغلبه، فإن كلّفه ما يغلبه فليعنه "[3].

---

(1) سنن أبي داود ـ الأدب ـ باب في حق المملوك 5/359 حديث 5156 ـ سنن ابن ماجه ـ الوصايا ـ باب هل أوصى رسول الله ﷺ 2/901 حديث 26.

(2) سنن أبي داود ـ 5/360 حديث 5157.

(3) سنن أبي داود ـ 5/360 حديث 5158 ـ صحيح مسلم: 5/1282 حديث 1661.

4 ـ توعّد الإسلامُ من يسيء لعبده بجهنّم، وجعل كفارةَ هذه الإساءة عتقه، جاء في صحيح مسلم[1] وسنن أبي داود[2] من حديث أبي مسعود الأنصاري قال: "كنتُ أضرب غلامًا لي، فسمعتُ من خلفي صوتًا: "اِعْلَمْ أبا مسعود ـ مرّتين ـ الله أقدر عليك منك عليه، فالتفتُّ فإذا هو النبي ﷺ، فقلت: " يا رسولَ الله! هو لوجه الله تعالى". قال: " أَمَا إنّك لو لم تفعل للفعتك النار". [أي للفحتك النارُ، بمعنى شملتك مثلما يشمل الثوبُ من يتلفّع به].

5 ـ والإسلام منع حتى الإذاية المعنوية للرقيق ومناداتهم بما يشعرهم بعبوديّتهم، والتهوين من شأنهم، وقد ترجم الإمام البخاري لهذا المعنى بقوله: " باب كراهية التطاول [أي الترفّع] على الرقيق، وقوله: عبدي وأمتي "[3].

ـ حكم من لطم مملوكه؟.

ـ أجمع المسلمون على أنّ عتقَ المملوك بهذا اللطم ليس واجبا و إنّما هو مندوب رجاءَ كفّارة ذنبه.

وممّا استدلّوا به لعدم وجوبِ إعتاقه حديثُ سُوَيْدِ بْنِ مُقَرّن: أنّ النبيَّ ﷺ أمرهم حين لطم أحدُهم خادمه بعتقها، قالوا: ليس لنا خادم غيرُهَا! قال: فليستخدموها فإذا اِسْتَغْنَوْا عنها فليُخَلُّوا سبيلها.

قال القاضي عياض: أجمع العلماءُ أنّه لا يجب إعتاقُ العبد لشيءٍ ممّا يفعله به مولاه، مثل هذا الأمر الخفيف، قال: و اختلفوا فيما كثر من ذلك و شنع من ضرب مبرّح منهك لغير موجب، أو إحراق بنار أو قطع عضو للعبد أو إفساده، أو نحو ذلك ممّا فيه مُثْلَةٌ:

ـ فذهب مالك و أصحابُهُ و الليث إلى عتق العبد على سيّده بذلك ويكون ولاؤه له، و يعاقبه السلطان على فعله.

---

(1) 5/1280 حديث عدد 1659.

(2) 5/360 حديث عدد 5159.

(3) متن فتح الباري ـ العتق ـ الباب 17 ـ 5/210.

ـ وقال سائر العلماء لا يعتق عليه.

ـ واختلف أصحاب مالك فيما لو حلق رأس الأمة أو لحية العبد و احتجّ مالك بحديث ابن عمرو بن العاص في الذي جبّ عبده فأعتقه النبي ﷺ.

ـ الفوائد المستنبطة من الحديث؟

1 ـ قال العلماء: في هذا الحديث الرفقُ بالمماليك و حسن صحبتهم و كفّ الأذى عنهم.

2 ـ وفيه كذلك إزالة إثم ظلمهم.

3 ـ العبد في الإسلام من حيث الإنسانيّة لا يختلف عن السيّد، وهو يتمتّع بكلّ ما يتمتّع به المالك من معاملة كريمة، وخضوع للأوامر والنواهي الشرعية.

4 ـ الإسلام دين الحريّة يدعو إليها ويعين على تحقّقها، وسعى بتشريعاته إلى تضييق منافذ العبوديّة وتوسيع مسالك العتق والحريّة وصولا إلى منع الرقّ نهائيّا.

* * *

الحديث العشرون:

بابُ قَوْلِ النبيّ ﷺ: "لا تسألُوا أَهْلَ الكِتَابِ عن شيءٍ"

قال الإمامُ البخاريُّ رحمه الله: حدّثنا موسى بْنُ إسماعيلَ: حدّثنا إبراهيم: أخبرنا ابنُ شهاب عن عُبَيْدِ الله: أنّ ابْنَ عبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: **"كيف تَسْأَلُونَ أَهْلَ الْكِتَابِ عنْ شَيْءٍ، وَكِتَابُكُمْ الذي أُنْزِلَ عَلَى رَسُولِ الله أَحْدَثُ، تَقْرَؤُونَهُ مَحْضًا لَمْ يُشَبْ؟ وَقَدْ حَدَّثَكُمْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ بَدَّلُوا كِتَابَ الله وَغَيَّرُوهُ، وَكَتَبُوا بِأَيْدِيهِمُ الْكِتَابَ، وَقَالُوا: "هَذَا مِنْ عِنْدِ الله لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً". لا يَنْهَاكُمْ مَا جَاءَكُمْ مِنَ الْعِلْمِ عَنْ مَسْأَلَتِهِمْ، لا والله مَا رَأَيْنَا مِنْهُمْ رَجُلا يَسْأَلُكُمْ عنِ الذي أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ"**[1].

(1) كتاب الاعتصام بالكتاب والسنّة ـ متن فتح الباري 13/345 حديث عدد 7363.

شرح ترجمة الباب:

يقول الإمام البخاري هذا باب أُورِدُ فيه حديثا أو أكثرَ يتناول توجيهَ الرسولِ ﷺ المسلمين إلى عدم سؤال أهل الكتاب عن شيء، وهذا النهيُ ـ كما يقول ابن بطّال نقلا عن المهلّب بن أحمد بن أبي صفرة [ت435 هـ] ـ إنّما يكون عمّا لا نصَّ فيه، لأنّ شَرْعَنَا مكتفٍ بنفسِهِ، فإذا لم يوجَدْ فيهِ نَصّ فَفِي النَّظَرِ والاستدلالِ غُنْيَة عن سُؤَالهم. أمّا سؤالُهُمْ عن الأخبار المصدّقة لشرعنا فلا يدخل في النهي.

المعنى العام للحديث:

يلوم ابنُ عباسٍ رضي الله عنه أولئك المسلمين الذين يسألون أهلَ الكتاب عن أشياء، ذلك أنّ كتاب الله أحدثُ عهدا بالله تعالى وهو مبرّأ من كلّ شائبةٍ، فضلا عن كون القرآن أَعْلَمَ المسلمين والخلقَ كافّةً أنّ أهلَ الكتاب حرّفوا كتابَهُمْ وبدّلوه فما عساهم أن يسمعوا منهم، أفلا ينهاهم عن مساءلتهم ما حفل به القرآنُ كتابُ الله من العلم الصحيح الغزير الشامل لعالَمَيْ الغيبِ والشهادة.

الترجمة بإيجاز لرجال السند:

1 ـ (ع) **موسى بن إسماعيل أبو سلمة المِنْقَرِيّ التبوذَكِيّ** [ت223هـ]: تقدّمت ترجمته في الحديث[1].

2 ـ (ع) **إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف أبو إسحاق** [ولد سنة 110 وتوفي ببغداد سنة 183هـ]: تقدّمت ترجمته في الحديث 15.

4 ـ (ع) **عبيد الله بن عبد الله بن عُتبة بن مسعود أبو عبد الله الهُذَلِيّ الأعمى المدنيّ** [ت 98، 99، 102 هـ]:

روى عن ابن عباس وأبي سعيد الخدريّ، وأبي هريرة وعائشة وأمّ قيس بنت محصّن بن حرثان. . وروى عنه الزهريّ، وصالح بن كيسان وموسى بن أبي عائشة. .

---

(1) التعديل والتجريح2/888 عدد 935 ـ تهذيب التهذيب 7/23 عدد 50.

وصفه الزهريّ بالبحر. وقال عنه أبو زرعة الرازي: هو إمام ثقة مأمون[1].

5 ـ **عبد الله بن عبّاس**: تقدّمت ترجمته في الحديث[2].

متابعات الحديث في صحيح البخاري:

1 ـ تابع عكرمةُ مولى ابنِ عباسٍ عُبَيْدَ الله بن عبد الله بن عُتْبَةَ في رواية الحديث عن ابن عبّاس[3].

2 ـ وتابع كلّ من:

أ ـ يونس بن يزيد بن أبي النجاد.

ب ـ وشعيب بن أبي حمزة، إبراهيمَ بن سعد بن إبراهيم في رواية الحديث عن ابن شهاب به بلفظه.

ـ متابعة يونس بن يزيد رواها البخاري عن يحيى بن بكير عن الليث بن سعد عن يونس به[4].

ـ أمّا متابعة شُعيب بن أبي حمزة فرواها البخاري في الجامع الصحيح عن أبي اليمان الحكم بن نافع البهراني الحمصي [ت220هـ] عن شعيب به بلفظ مقارب[5].

(1) متن فتح الباري ـ التوحيد ـ باب قول الله: كلّ يوم هو في شأن 13/496 حديث عدد 7522.

(2) متن فتح الباري ـ كتاب الشهادات ـ باب لا يسأل أهل الكتاب 5/291 عدد 2685.

(3) متن فتح الباري ـ كتاب التوحيد ـ باب قول الله تعالى: كل يوم هو في شأن 13/496 حديث 7523.

(4) صحيح البخاريّ ـ متن فتح الباري ـ التوحيد ـ باب قول الله تعالى: كلّ يوم هو في شأن. . 13/505 حديث 7522.

(5) سنن أبي داود ـ السنّة ـ باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه ـ 5/59 حديث 4679.

شرح الحديث:

أهل الكتاب: أهل الرجل في الأصل من يَجْمَعُهُ وإيّاهم مَسْكِن واحد، ثم تجوّز به فقيل أهل الرجل لمن يجمعه وإياهم نسب. وأهل الكتاب هم الذين يجمعهم الانتساب إلى كتاب اليهود أو كتاب النصارى أو كليهما. وحيثما ذكر الله تعالى أهل الكتاب فإنّما أريد بالكتاب التوراة أو الإنجيل أو كليهما. فأهل الكتاب هم اليهود والنصارى.

إلا أنّ قول سيّدنا عبد الله بن عبّاس ينصرف في هذا الحديث إلى اليهود.

- وقوله: " لا تسألوا أهل الكتاب " هو لفظ حديث أخرجه أحمد في المسند وأبو بكر عبد الله ابن أبي شيبة [ت235هـ] في المصنّف وأبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزّار [توفي بالرملة سنة292هـ] في البحر الزخّار، من حديث جابر بن عبد الله: " أنّ عمر بن الخطاب أتى النبيّ ﷺ بكتاب أَصَابَهُ من بعض أهل الكتاب، فقرأه عليه، فغَضِبَ وقال: "قد جئتكم بها بَيْضَاءَ نقيّةً، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحقّ فتكذّبوا به أو بباطل فتصدّقوا به، والذي نفسي بيده لو أنَّ موسى كان حيّا ما وسعه إلا أن يتبعني" .

عن شيء: النكرة في سياق النهي تفيد العموم أي لا تسألوا أهل الكتاب عن أي شيء إطلاقا سواء تعلّق ذلك بالغيبيّات أو بالمشاهدات.

ابن عباس: هذا الحديث موقوف عليه رضي الله عنهما.

كيف تسألون ؟: في رواية أخرى: يامعشر المسلمين كيف تسألون؟.. و **كيف**: اسم استفهام في محلّ نصب على الحال [إذ جاء بعدها فعل تامّ هو: تسألون].

وكتابكم: أي كتاب الله القرآن.

أحدث: أي أقرب الكتب عهدا بالله، ونزولا إليكم من عنده تعالى.

محضا لم يشب: أي خالصا لم يخالطه شيء من غير كلام الله، لأنّ الشوْبَ هو الخلط. وجاء في رواية أخرى عن ابن عباس: " كيف تسألون أهل الكتاب عن

كتبهم وعندكم كتاب الله أقرب الكتب عهدا بالله تقرؤونه مَحْضًا لم يُشَبْ"[1].

بدّلوا كتابَ الله: أي غيّروه وزوّروه واختلقوه كتابة بأيديهم وقولا بأفواههم وإلى هذا يشير قوله تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ [2 البقرة 79] وكما نُسِبَ الكتابُ المختلقُ إلى أيديهم نُسِبَ المقالُ المُخْتَلَقُ إلى أفواههم فقال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ ﴾ [9 التوبة 30].

أي أنّ أهل الكتاب ويخصّ بالذكر منهم هنا اليهودَ حرّفوا التوراة ثمّ زعموا أنّها كلامُ الله ليَحْصُلُوا على شيء من حُطَامِ الدنيا قليلٍ وحقيرٍ.

لا ينهاكم: استفهام محذوفُ الأداةِ "أ"، بدليلِ قولِهِ رضي الله عنه في رواية أخرى: "أ فلا ينهاكم ؟".

ما جاءكم من العلم: أي العلم الثابت الصحيح والحقائق الناصعة الواردة في كتاب الله وسنة النبي ﷺ. وما اسم موصول بمعنى الذي فاعل ينهاكم.

مسألتهم: وفي رواية: "مُسَاءَلتهم"، يريد سؤال أهل الكتاب.

فلا والله ما رأينا رجلا منهم يسألكم: وفي رواية **ما رأينا رجلا قطُّ**: فهو يخبر عن أنّ أهلَ الكتابِ لا يسألون المسلمينَ عن شيء، وقد أكّد الخبرَ بالقسَمِ "والله". وقط في الرواية الأخرى تُعْرَبُ ظرفا لاستغراق الزمن الماضي. فابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما يَعْجَبُ من أمر المسلمين كيف يسألون أهل الكتاب وهم يعلمون أنّ كتابهم مُحَرَّف، بينما أهلُ الكتاب رغم يقينهم أنّ كتابَ المسلمين لا تحريفَ فيه فإنّهُمْ لا يسألونهم عن شيء.

جمع بين متضادين ظاهرا:

لسائل أن يسأل: كيف نوفّق بين هذا الحديث وبين قول الله تعالى: ﴿ فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾[10 يونس 94] ؟ وقوله ﷺ: "بلّغوا عني ولو آية

(1) التعديل والتجريح 1/333 رقم 25 ـ تهذيب التهذيب 1/64 عدد 112.

وحدّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب عليّ متعمّدا فليتبوّأ مقعده من النار"؟

ـ ذكر العلماء في التوفيق بين الآية والحديث أنّ المراد بالذين يقرؤون الكتاب الذين آمنوا منهم خاصّة، فهؤلاء لمّا يُسْأَلُونَ سوف لن يُخفوا حقائق التحريف والتبديل الحاصِلَيْنِ في أصل كتابهم ولن يغيّروا ما وصل إليهم من صحيح الأخبار القليلة كتوحيد الله تعالى، والبشارة بمبعث محمّد ﷺ، أمّا من لم يؤمن من أهل الكتاب فلا يُسْأَلُ عن شيء.

ـ ويحتمل أن يكون الأمر بالسؤال" فاسأل " والتحديث " حدّثوا " : متعلّقا بما عندهم ممّا يتّفق مع ما ورد في كتابنا وسنّة نبيّنا ﷺ أمّا ما لم يرد له ذكر في القرآن المصدّق والمهيمن على ما بين أيدي أهل الكتاب من التوراة والإنجيل ولم تذكره السنّة الصحيحة فهذا لا يجوز أن نسألهم عنه ولا نحدّث به. وهذا القسم من أخبارهم أمرنا النبي ﷺ بأن لا نصدّقهم فيه ولا نكذّبهم، مثل المسائل التي سكت عنها القرآن من تفاصيل القصص، فهذه لا يصحّ أن ننقلها عنهم ونحكي للناس لون كلب أصحاب أهل الكهف ونوع خشب سفينة نوح مثلا، فمثل هذه الأخبار إذا سمعناها منهم لا نصدّقهم فيها لأنّ في تصديقهم خطرًا يتمثّل في كونها قد تكون مفتراةً وممّا حرّفه أحبارهم ووضعه رِبِّيُوهُمْ، وكذلك لا نكذّبهم فيها لما قد ينشأ عن هذا التكذيب من خلافات قد يكون المسلمون في غِنًى عنها. كما قد تكون صحيحة فنقع في إنكار الصحيح بدون علم وليس هذا من شيم المسلمين.

ـ لِمَ اشترط العلماءُ في الصحابي الذي يروي حديثا حُكْمِيّا أن يكون غير متأثر بالإسرائيليات؟ :

ـ **الحديث الحكمي** هو ما أثر عن الصحابيّ من المسائل التوقيفيّة التي لا نعلمها إلا من الشارع ولا دخل للرأي فيها ولا للاجتهاد الذي يحتمل الخطأ والصواب، ولا تعلّق لها ببيان معنى لغويّ أو شرح غريب، على أن لا يكون هذا الصحابيُّ من أهل الكتاب الذين دخلوا الإسلام كعبد الله بن سلام، وأن لا يكون ممّن وقف على كتبهم وقرأ الكثير منها كعبد الله بن عَمْرِو بن العاص رضي الله

عنهما حيث وقع في يده كثير من كتب اليهود والنصارى في موقعة اليرموك بين المسلمين والروم سنة 15هـ.

أمّا **الإسرائيليات** فهي تراث بني إسرائيل من كتبهم وأسفارهم المقدّسة، ويلحق بها تراث النصارى من أناجيلهم وكتبهم المقدّسة، وتدخل ضمن الإسرائيليات من باب التغليب. وألحق بعضُ العلماء التراث القديم كالفكر الهلّيني لتأثّره بالوثنيّة.

اشترط العلماء في الصحابي أن لا يكون متأثّرا بالإسرائيليات حتى لا يتسرّب إلى دين الله ما ليس منه. ويبقى هذا الدين نقيّا صافيًا يعبّر عن إرادة الله وشرعه الحكيم.

فوائد الحديث:

1 ـ النّهي عن سؤال أهل الكتاب عن شيء لم يرد له ذكر في كتاب الله وسنّة نبيّه ﷺ عملا بحديث الباب، وبحديث جابر يرفعه: "لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء فإنّهم لن يهدوكم، وقد ضلّوا. ".

2 ـ الردّ على من يقبل شهادة أهل الكتاب، فإذا كانت أخبارهم لا تقبل فشهادتهم مردودة بالأولى، لأنّ باب الشهادة أضيق من باب الرواية.

3 ـ النهي عن تصديق أهل الكتاب أو تكذيبهم وقد قال النبي ﷺ: "لاتصدّقوا أهل الكتاب ولا تكذّبوهم، وقولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون".

4 ـ التوقّف عن الخوض في المشكلات والجزم فيها بما يقع من غلبة الظنّ.

* * *

الحديث الحادي والعشرون:

قال أبو داود رحمه الله تعالى: " حدّثنا أحمدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ السَّرْحِ : حدّثنا ابنُ وَهْبٍ عَنْ بكْرِ بْنِ مُضَرَ عن ابْنِ الْهَاد عن عبد الله بن دينار عن عبد الله بن عمر أنّ رسول الله ﷺ قال [لجمع من النساء في مصلّى العيد بمناسبة أضحى أو فِطر]: " . . ما رأيتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَغْلَبَ لِذِي لُبٍّ، مِنكُنَّ.

قالتِ [امرأة منهنّ جَزْلَة ـ أي ذاتُ رَأْيٍ ـ]: يا رسولَ الله ! وَمَا نُقْصَانُ الْعَقْلِ وَالدِّينِ ؟

قال: أمّا نُقْصَانُ الْعَقْلِ فَشَهَادَةُ امْرَأَتَيْنِ شَهَادَةُ رَجُلٍ. وأمّا نُقْصَانُ الدِّينِ فإنّ إحْدَاكُنّ تُفْطِرُ رَمَضَانَ وتُقيمُ أيّامًا لا تُصلّي. "[1].

المعنى الإجمالي للحديث:

يركّز الحديثُ على التعجُبِ من قُوّة سُلْطَانِ المرأةِ على الرجلِ، فرغم ضَعْفِهَا البدنيّ، ونقصِ عقلها ودينها، فإنّهَا تملك القدرة على خَلب عقل الرجل والذهاب بلُبّ الشديدِ من أولي العزيمةِ والكلمةِ النافذةِ.

التعريف بإيجاز برجال سند الحديث:

1 ـ [م، د، س، ق] أحمد بن عَمْرِو بن السرح، أبو الطاهر المصريّ [ت255هـ].

ـ روى عن: عبد الله بن وهب فأكثر، والشافعيّ، وابن عيينة. .

ـ روى عنه: مسلم و أبو داود والنسائيّ وابن ماجه وبقيُّ بْنُ مَخْلِدٍ. .

قال عنه أبو حاتم محمد بن إدريس الرازيّ[ت277هـ] وأبو زرعة الرازي: لا بأس به. ووثّقه النسائيّ. وقال عنه عليّ بن الحسن بن خلف بن قديد: كان ثقة ثبتا صالحا[2].

---

(1) سنن أبي داود ـ السنّة ـ باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه ـ 5/ 59 حديث 4679.
(2) التعديل والتجريح 1/ 333 رقم 25 ـ تهذيب التهذيب 1/ 64 عدد 112.

2 ـ [ع] **ابن وهب: هو عبد الله بن وهب بن مسلم أبو محمد مولى بني فهر القرشيّ المصريّ [125 ـ 197هـ] ـ تقدّم في الحديث 12.**

3 ـ [خ، م، د، ت، س] **بكْرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ حَكِيمِ بْنِ سَلْمَانَ، أبو محمد، وهو مُضَريّ قرشيّ مولى شرحبيل بن حَسَنَةَ [ت174هـ]:**

ـ روى عن: جعفر بن ربيعة، وعمرو بن الحارث ويزيد بن الهاد..

ـ روى عنه: عبد الرحمن بن القاسم، وعبد الله بن وهب، ويحيى بن جبير..

وثّقه أبو حاتم محمد بن إدريس الرازيّ، وأحمد بن حنبل والعجليّ(1).

4 ـ [ع] **ابن الهاد: هو يزيد بن عبد الله بن أسامة بن الهاد الليثيّ الأعرج، أبو عبد الله المدني [ت139هـ]:**

ـ روى عن: ثعلبة بن أبي مالك القرظيّ ـ وله رؤية ـ، وعبد الله بن خبّاب، وعبد الله بن دينار..

ـ روى عنه: شيخه يحيى بن سعيد الأنصاريّ، وإبراهيم بن سعد، ومالك بن أنس، وعبد العزيز الدراورديّ، والليث بن سعد، وبكر بن مضر..

وثّقه العجليّ ويعقوب بن سفيان، وقال عنه ابن سعد: "كان ثقة كثير الحديث"(2).

5 ـ [ع] **عبد الله بن دينار، مولى عبد الله بن عمر بن الخطّاب، المدنيّ.**

ـ روى عن: ابن عمر، وسليمان بن يسار، وأبي صالح السمّان..

ـ وروى عنه: مالك بن أنس، وسليمان بن بلال، وعبد العزيز بن مسلم..

وثّقه أبو زرعة وأبو حاتم والنسائيّ(3).

---

(1) التعديل والتجريح 1/426 عدد 151 ـ تهذيب التهذيب 1/487 عدد 899.
(2) التعديل والتجريح 3/1232 عدد 1499 ـ وتهذيب التهذيب 11/339 عدد 651.
(3) التعديل والتجريح 2/817 عدد 800 ـ تهذيب التهذيب 5/201 عدد 349.

6 ـ **عبد الله بن عمر بن الخطّاب**: تقدّمت ترجمته في الحديث 13.

تخريج الحديث:

ـ تابع هارون بن معروف أحمد بن عمرو بن السرح في رواية الحديث معه عن ابن وهب عن ابن الهاد به في حديث طويل. روى هذه المتابعة أحمد في مسنده: حدّثنا عبد الله: حدّثنا أبي: حدّثنا هارون بن معروف: حدّثنا ابن وهب وقال مرّة: حيوة عن ابن الهاد[1].

ـ وتابع الليث بن سعد بكر بن مضر في رواية الحديث معه عن ابن الهاد به في حديث طويل. روى هذه المتابعة ابن ماجه قال: حدّثنا محمد بن رمح: أنبأنا الليث بن سعد عن ابن الهاد[2].

ـ وللحديث شاهد من حديث أبي سعيد الخُدْرِيِّ:

ـ رواه البخاريُّ في:

أ ـ الحيض ـ باب تركِ الحائضِ الصومَ[3].

ب ـ الزكاة ـ باب الزكاة على الأقارب[4].

د ـ الشهادات ـ باب شهادة النساء[5].

شرح الحديث:

ناقصات: اسم فاعل من الفعل الثلاثيّ المجرّد " نقَص، ينقُص " بفتح عين الفعل في الماضي ورفعها في المضارع، صفة لموصوف محذوف تقديره " نساء ناقصات ". والنقص ضدّ التمام، وهو الخُسْرَانُ في الحظ. نقول: نقَصَ الشيْءُ: إذا ذهب منه شَيْء بعد تمامه. ونقول: درهم ناقص أي خفيف غيرُ تامِّ الوزنِ.

---

(1) مسند أحمد 2/66 ـ 67.

(2) سنن ابن ماجه ـ الفتن ـ باب فتنة النساء 2/1326 حديث 4003.

(3) متن فتح الباري 1/483 حديث 304.

(4) المصدر السابق 3/381 حديث 1462.

(5) المصدر السابق 5/315 عدد 2658.

عقل: مصدر الفعل عقَل، ويجمع على عُقُول، وهو القوّة المتهيّئة لقبول العلم وفهم الأشياء على وجهها الصحيح، ممّا لا يُتَوَصَّلُ إلى إدراكه بالحواسّ.

وأصل العقلِ الإمساكُ، كعَقل البعيرَ بالعِقال، وعقَلت المرأةُ شَعْرَهَا، وعقَل الإنسانُ لسانَه إذا كفّه عن الكلام. ومنه قيل للحصن "مَعْقِل" لأنّه يكفّ العدوّ عن النيل من المتحصّن فيه.

فالعقل يَعقلُ صاحبَه، ويَحْبِسُهُ عن التورّط في المهالك، ويمكّنه من فهم الحسن والقبيح والحلال والحرام، ولذلك كان مناط تكليف العبد.

والمراد بقوله: "ناقصات عقل" أنّ عواطف النساء كثيرا ما تطغى على عقولهنّ فَتَحْتَكِمْنَ إليها فلا تُصِبْنَ الأمثلَ.

دين: الدين في **اللغة**: هو الطاعة والانقياد لله تعالى والذلّ له وعبادته سبحانه.

وشرعا: هو ما شرّعه الله تعالى لعباده على لسان أنبيائه ليتوصّلوا إلى جواره. والدين الصحيح عند الله الإسلام. قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [آل عمران: من الآية 19]

والمراد بناقصات دين: أي أنّ عبادتهنّ الله ناقِصَة.

أغلب: صيغة مبالغة، وأفعل تفضيل من الفعل الثلاثيّ المجرّد غلَب يغلِب بفتح عين الفعل في الماضي وكسرها في المضارع غلْبا [بسكون اللام]، وغلَبا وغلَبة [بفتح اللام] بمعنى قهر، واستولى. نقول غلب عليه كذا: أي قهره واستولى عليه، قال تعالى: ﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [2 البقرة 249] وقال جلّ وعلا: ﴿ قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴾ [23 المؤمنون 106].

والمراد بعبارة "أغلب " الواردة في الحديث: أشدّ استيلاء وقهرا وأخذا بِلُبّ الرجلِ ووجدانه.

أذهب: أي أشدّ إذهابا لِلُبِّ الرجلِ.

ذو لُبٍّ: أي صاحب لبّ، واللبّ هو العقل الخالص من الشوائب، وسُمّي لبّا لكونه خالصَ ما في الإنسان. وقيل هو ما زكا من العقل، وهو أخصّ من العقل، فهو الخالص منه، فكلّ لبّ عقل، وليس كلّ عقل لبّا. يقول تعالى: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [2 البقرة 269].

للبّ الرجل الحازم: أي الرجل الضابط لأمره غير المتسيّب.

شهادة: مصدر الفعل الثلاثيّ المجرّد شهِد يشهَدُ [بكسر عين الفعل في الماضي وفتحها في المضارع] شهودا وشهادة، فهو شاهد [والجمع شهود] على كذا، إذا أخبر خبرا قاطعا. **فالشهادة** هي قول صادر عن عِلْمٍ حَصَلَ بمشاهدة بصيرة أو بصر، مأخوذة من الشهود والمشاهدة وهو الحضور مع المشاهدة. قال تعالى: ﴿وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا﴾ [12 يوسف 81].

شهادة امرأتين: أي استظهار الشاهدة بأخرى، وهذا مُؤْذِن بقلّة ضبطها ومُشْعِر بنقص عقلها.

حكم شهادة النساء: جوّز الإسلامُ شهادة النساء مثل الرجال.

- وخصّ الجمهورُ ذلك بالديون والأموال، وقالوا: لا تجوز شهادتُهن في الحدود والقصاص. واختلفوا في النكاح والطلاق والنسب والولاء ؟! فمنعها الجمهور وأجازها الكوفيّون. واتّفقوا على قبول شهادتهنّ فيما لا يطّلع عليه الرجالُ: كالحيض، والولادة، والاستهلال [وهو رفع الصبيّ صوته عند الولادة]، وعيوب النساء.[1]

تفطر رمضان: لم تَصُمْ رمضانَ بسبب العُذْرِ الشرعيّ: كدم الحيض والنفاس والخوف على الجنين عند الحمل، أو الوليد الصغير عند الرضاع..

سياق الحديث ومناسبته:

حدّث الرسولُ النساءَ بهذا الحديث على وجه المُبَاسَطَةِ وبمناسبة فرح واحتفال بعيد أُضْحَى أو فِطْرٍ كما جاء ذلك في رواية البخاري الطويلة، فذكر ما

---

(1) انظر فتح الباري 5/315.

تتمتّعُ به المرأةُ من قوّة التأثيرِ على الرجلِ والأخذِ بلبِّهِ رغم ما يشوبُ عَقْلَها ودينَها من نقصٍ. فكان ذِكْرُهُ النَّقْصَ توطئةً لذكر الميزة الكبيرة للمرأة وهي قوّتُهَا الخالبة الآسرة لقلب الرجل.

هل نَقْصُ عقل المرأة نقيصة أم هو سِرّ من أسرار قوّتها؟

يقول الدكتور البوطيّ: "إذا تأمّلتَ في كلام رسول الله ﷺ رأيتَه يربط بين أمرين في شخص المرأة وحياتها [ضعف التفكير من ناحية، والسيطرة على الرجل والتحّكم فيه من ناحية أخرى] وتقوم بين الأمرين جدليّة هي في الحقيقة سِرُّ سعادة المرأة وسرّ سعادة الرجل بها. . . . [ثمّ] إنّ المرأة تبحث دائما في الرجل:

- عن شريك جنسيّ لها.

- وعن حمايةٍ ورعايةٍ لها في كنفه.

وهذا يقتضي أن تكون أضعفَ منه [وأن يكون هو أقوى منها بدنيّا وأقدر منها فكريّا]، وهو ذاته الشرط الذي لا بدّ منه ليجعلها تهيمن عليه "[1].

ما الذي قضى أن تكون المرأةُ ناقصةَ دينٍ ؟ وهل تتحمّل المرأةُ مسؤوليّة ذلك؟

إنّ نقص الدين قد يُطْلَقُ ويراد به أمران:

- إمّا **التهاون والتقصير** الذي يتلبّس به المكلّف عن قصد واختيار منه، كالتهاون بأوامر الله والاستهانة بحدوده. . فهذا التقصير يتحمّل مرتكبُه وزرَه.

- وإمّا **قلّة التكاليف** بالنسبة لغيره، وهذا النقص لا يتحمّل المكلّفُ وزرَه لأنّه غير مسؤول عنه.

والمعنى الثاني هو المراد بنقص الدين الوارد في الحديث: فقد خفّف الله عن المرأة بعضَ التكاليفِ، فلم تكلّف مثلا بالصلاة أثناء المحيض وأثناء النفاس ولا بقضائها بعد انقطاع الحيض والنفاس، دون أن يُنقص ذلك من أجرها شيئا، بل فقد ذهب بعضُ العلماء إلى أنّها مأجورة على تركها الصلاةَ والصومَ عند تلك الأعذار

(1) المرأة بين طغيان النظام الغربيّ ولطائف التشريع الرباني ص175.

الشرعيّة لأنّها تطبّق أمر الله، فقد صلّت وصامت بأمره وانقطعت عن الصلاة والصيام بأمره كذلك، فهي في كلا الحالين تسعى لمرضاة الله وتطبيق شرعه.

فوصف الرسولُ المرأة بهذا الواقع ليس فيه أيُّ منقصة لها ولا مسؤوليّة عليها فيه.[1]

كيف يَسُوقُ خُصُومُ المرأةِ المسلمة هذا الحديث؟

إلا أنّ خصومَ المرأة المسلمة يبتسرون الحديث ويروونه مجرّدًا عن سياقه ويردّدونه بمعزل عن مناسبته لِيُضْرِمُوا نارَ الفتنة والعداوة للإسلام ولإيغار صدور النساء الجاهلات بتعاليم الإسلام، المتمرّدات المتفلّتات، على الإسلام بدعوى أنه يمتهن المرأة ويستنقص عقلها ودينها!!

الإسلام يكرّم المرأة ويسوّيها بالرجل:

فالإسلام رفع من شأن المرأة وكرّمها وسوّاها بشقيقها الرجل، آية ذلك:

1 ـ أنه سوّاها بالرجل في أصل الخلقة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ [4 النساء 1] ويقول النبيّ ﷺ: "النساء شقائق الرجال".

2 ـ برّأها من تهمة إغواء آدم، ومن مسؤوليّة خروجهما من الجنّة، بما وسوسته وزيّنته له من الأكل من الشجرة المحرّمة عليهما، وجعلها وآدم ضحيّتين لوسوسة الشيطان. ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ * فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ [20 طه 120 ـ 121].

3 ـ حرّرها من مظلمة الضيق بميلادها ووجودها. ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ * يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [16 النحل 58 ـ 59].

4 ـ سوّاها بالرجل في التديّن والإيمان والكفر والإخلاص والنفاق والإصلاح

(1) المصدر السابق ص 179.

والفساد. قال تعالى: ﴿ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [48 الفتح 6].

5 ـ وسوّاها بالرجل في الأعمال الكبرى كالهجرة والبيعة. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [60 الممتحنة 12].

6 ـ وسوّاها به في المسؤوليّة الجنائيّة والقانونيّة: قال تعالى: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [5 المائدة 38]، وقال عزّ وجلّ: ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [24 النور 2] وفي الحقوق المدنيّة كالتصرّف في أموالها بحرّية تامّة، واختيار زوجها..

7 ـ وكرّمها بإثبات اسمها الشخصيّ واسم أبيها وعائلته فقالوا: فاطمة بنت محمد، وعائشة بنت أبي بكر، وحفصة بنت عمر.

8 ـ ومن دلائل تكريم الإسلام للمرأة أنّ سُوَرًا عديدةً في القرآن الكريم جاءت تحمل اسم المرأة: فسورة تحمل اسم النساء، وأخرى تحمل اسم مريم، وثالثة تحمل اسم المجادلة [وهي خولة بنت مالك، التي جادلت النبيَّ عليه الصلاة والسلام في شأن زوجها أوس بن الصامت الذي ظاهر منها، وكان لها منه صبية فخافت إن هي تركتهم إليه ضاعوا وإنِ هي ضمّتهم إليها جاعوا.. فنزل القرآن يحرّم الظهار ويعتبره ذنبا يوجب على فاعله كفارة..]

فما تتّصف به المرأة من غلبة العاطفة، وما تضطرّ إليه من ترك الصوم أو الصلاة لمدّة وجيزة ولظروف بدنيّة لا حيلة لها في دفعها لا اعتبار له في تقرير هذه المساواة وتقرير حقوقها والحفاظ على كرامتها وإنسانيّتها.

ـ **ماذا يقول العلم الحديث في تركيبة المخّ وعمله عند الذكر والأنثى؟**

إنّ ما قاله الرسول ﷺ للنساء على سبيل المُبَاسَطَةِ هو عين الحقيقة، فقد أثبت العلم ومنذ القرن التاسع عشر أنّ متوسّط دماغ الرجل يزن 1325 غ مقابل 1144 غ وزن دماغ المرأة، وأنّ المرأة تتفوّق على الرجل في حجم نصف الدماغ المخصّص للانفعالات والأحاسيس الوجدانيّة، بينما يتفوّق الرجلُ في حجم نصف الدماغ المخصّص للمدارك العقليّة والمسائل التجريديّة.

وفرق آخر يثبته العلم بين دماغ الذكر ودماغ الأنثى أنّ نصفه المختصّ بالمدارك العقليّة عند الذكر يعمل بمَعْزَلٍ عن النصف المُخَصَّصِ للعاطفة والوجدان، بينما هذان النصفان يعملان عند الأنثى بقدر أكبر من الاتصال، ممّا يعني قدرا زائدا من العاطفة والانفعال عند المرأة.

هكذا اقتضت حكمته تعالى في خلقه حتى يكمّل كلّ منهما الثاني، وحتى يهيّىء كلا منهما لأداء وظيفته على الوجه الأكمل. فإذا كانت المرأة أقوى عاطفة من الرجل وأضعف تفكيرا منه، وإذا كان الرجل أضعف عاطفة من المرأة وأقوى تفكيرا منها فإنّ هذا لا يعدّ نقيصة لأحد الطرفين وتفوّقا للآخر، إذ أنّ المسألة لا تتعدّى كونها تقابلا بين طرفين يكمّل أحدهما الثاني.

والواقع المعيش يُثْبِتُ أنّ أيّ انخرام لهذا التقابل التكامليّ بين الزوج وزوجه يفسد الحياة العائليّة، فتشقى المرأة برجل جيّاش العاطفة ضعيف التفكير حيث لا تجد فيه ما تنشده من الحماية والرعاية والقوّة البدنيّة، كما يشقى الرجل بامرأة باهتة العاطفة متحجّرة الوجدان، مشدودة إلى اهتمامات الرجال الفكريّة المعقّدة مترجّلة، حيث يَفْقِدُ ما ينشده فيها من شُبُوبِ العاطفة ولِينِ المعاملة.

خلاصة القول:

فهذا الحديث الشريف ليس فيه ما يسعى إلى ترويجه خصومُ المرأة المسلمة من الملاحدة المتغرّبين ودعاة الإباحية من استنقاص الإسلام المرأة بدليل إثبات الرسول ﷺ نقص عقلها ودينها ! وإنّما فيه بيان لعظمة المرأة وخصائصها ومميّزاتها التي تكمّل مزايا الرجل وخصائصه فتكتمل بهما الحياة الزوجية وتستقيم الحياة العائليّة.

فوائد الحديث:

1 ـ مشروعيّة خروج النساء إلى المصلّى لشهود صلاة العيد على ألاّ يختلطن بالرجال خوف الفتنة.

2 ـ جواز عظة الإمام النساء على حدة.

3 ـ ليس المقصود بذكر نقص عقل المرأة ودينها لومها على ذلك لأنّه من أصل الخلقة، لذلك لم يرتّب عليه شيئا من العقوبة والعذاب.

4 ـ المرأة أثناء الحيض والنفاس لا تأثم بترك الصلاة والصوم لأنّها غير مكلّفة بذلك إلا أنّها تعتبر دون التي تصلّي وتصوم، واختلف في هل تثاب على تركها الصلاة والصوم لأنّها مأمورة بذلك أم لا ؟ فمن العلماء من قال: لا تثاب على تركها الصلاة والصوم، ومنهم من قال: بل تثاب لأنّها تأتمر بأمر ربّها وتستجيب له.

5 ـ وصف الرسول المرأةَ بنقص العقل والدين ليس فيه أيُّ منقصة للمرأة ولا مسؤوليّة لها فيه.

6 ـ جواز مراجعة المتعلّم لمعلّمه، والتابع لمتبوعه فيما لا يظهر له معناه.

7 ـ ما كان عليه الرسول من الخلق العظيم والصفح الجميل والرفق والرأفة.

8 ـ الإسلام حرّر المرأة من كلّ المظالم، وسوّاها بالرجل في أصل الخلقة وفي الإنسانيّة وفي كلّ الحقوق والواجبات(1).

---

(1) انظر شرح هذا الحديث في:
ـ فتح الباري 1/ 483 ـ 3/381 ـ 5/315.
ـ المرأة بين حقائق الإسلام وأباطيل الغرب د. يحيى هاشم حسن فرغل ـ ط 1420هـ/ 1999م. دار البيان للنشر والتوزيع ـ القاهرة.
ـ المرأة بين طغيان النظام الغربيّ ولطائف التشريع الإسلاميّ ـ د. محمد سعيد رمضان البوطيّ ـ ط1 ـ1417هـ/ 1996م ـ دار الفكر ـ دمشق ت سورية، دار الفكر المعاصر ـ بيروت لبنان.

الحديث الثاني والعشرون:

قال أبو عيسى الترمذيّ ـ رحمه الله ـ: حدّثنا أبو حَفْصِ بْنِ غِيَاثٍ، عن الأعمشِ، عن أبي إِسْحَاقَ، عن أبي الأَحْوَصِ، عن عبد الله قال: **قال رسُولُ الله ﷺ: " إنَّ الإسْلامَ بَدَأَ غَرِيباً وَسَيَعُودُ غَرِيباً كَمَا بَدَأَ، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ "**[1].

وجاء في رواية عَمْرِو بْنِ عَوْفِ بْنِ زَيْدِ بْنِ مِلْحَةَ ـ رضي الله عنه ـ مرفوعا: **" فطوبى للغرباء الذين يُصلحون ما أفسده الناسُ مِنْ بَعْدِي مِنْ سُنّتي "**[2].

وجاء في حديث عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ يرفعه: **" قِيلَ: وَمَنِ الْغُرَبَاءُ ؟ قال: النُّزَّاعُ مِنَ الْقَبَائِلِ "**[3].

المعنى الإجمالي للحديث:

يبيّن الرسول ﷺ في هذا الحديث أنّ الإسلام كما أشرقت شمسه داخل محيط شاسع من الجاهليّة والضلال، فكان بعقيدته وشريعته، وقِيَمِهِ غريبا في تلك البيئة الغارقة في ظلام الجهالة، وكان الرعيلُ الأوّل من المسلمين قلّةً كالغرباء إلا أنّهُمْ لم يستكينوا للشرك والضلال، بل قاوموه إلى أن دَحَرُوهُ، فإنّه سيعود غريبا كما ابتدأ داخل محيط من الانحرافات والضلالات إلا أنّ صفوةً من أبناء الإسلام سيكونون غرباءَ عن تلك البيئة فلا يَخْضَعُونَ لضلالها ولا يُجَارُونَهَا في فسادها ولا يُهَادِنُونَهَا ولا يَتَخَاذَلُونَ أَمَامَ الْهَجْمَةِ الشرّيرة الشَّرِسَةِ على شريعة الإسلام وحضارته وثقافته وإنّما يتمسّكون بالحقّ ويُظهرونه ويُقاومون الضلال بِجَلَدٍ حتى يَدْحَرُوهُ ويُقيموا الحقَّ مثلما أقامَهُ أَسْلافُهُمْ من الغرباء الأُوَلُ، فطوبى لهم وهنيئا لهم غُرْبَتَهُمْ وَصُمُودَهُمْ وَجِهَادَهُمْ.

---

(1) السنن ـ كتاب الإيمان ـ باب ما جاء أنّ الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا 5/ 18 حديث 2629. قال أبو عيسى الترمذيّ: هذا حديث حسن صحيح غريب من حديث ابن مسعود، وإنّما نعرفه من حديث حفص بن غياث عن الأعمش. . تفرّد به حفص.

(2) المرجع السابق: 5/ 18 حديث 2630.

(3) سنن الدارميّ ـ الرقاق ـ باب إنّ الإسلام بدأ غريبا 2/ 618 حديث 2758. سنن ابن ماجه ـ الفتن ـ باب بدأ الإسلام غريبا 2/ 1320 حديث 3988.

التعريف بإيجاز برجال السند:

1 ـ [خ، م، د، ت، س] **أبو حَفْصِ بْنُ غِيَاث: هو عُمَرُ بن حفص بن غياث بْنِ طَلْقِ بْنِ مُعَاوِيَةَ النخعيّ، أبو حفص الكوفيّ [ت222هـ]**(1):

روى عن أبيه حفص بن غياث، ومحمد بن أبي الحسين أبي جعفر السمنانيّ. .

روى عنه: البخاريّ، ومسلم، وأبو داود، والترمذيّ والنسائيّ، وهارون بن الحمّال، وأحمد بن إبراهيم الدورقيّ. .

وثّقه أبو حاتم محمد بن إدرس الرازيّ، وأبو صالح أحمد بن عبدالله العجليّ، وأبو زرعة، وقال أحمد بن حنبل: صدوق. وذكره ابن حبّان في الثقات.

2 ـ **الأعمش**: سليمان بن مهران تقدّمت ترجمته في الحديث 7

3 ـ [ع] **أبو إسحاق: هو عمرو بن عبد الله بن عبيد السَّبِيعِيُّ** [ولد لسنتين بقيتا من خلافة عثمان أي سنة 33هـ وقيل **ولد** سنة 32هـ وقيل سنة 29هـ، **وتوفّي** سنة 129هـ عن 96 سنة وقيل سنة126هـ وقيل سنة 127هـ وقيل سنة 128هـ](2):

روى عن: زيد بن أرقم بن زيد بن ثابت، والبراء بن عازب، وجابر بن سَمُرَةَ، وأبي جُحَيْفَةَ السُّوَائِيِّ، وكلّهم صحابة، وسعيد بن جبير، ومسروق بن الأجدع. . .

روى عنه: الأعمش، وشعبة، والثوريّ، وهو أثبت الناس فيه، وشريك، وسفيان بن عيينة. . .

وثّقه أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين وأبو عبد الرحمن النسائيّ والعجليّ وأبو حاتم محمد بن إدريس الرازيّ. . .

4 ـ [بخ ـ أي البخاري في الأدب المفرد ـ م، 4] **أبو الأحوص: هو عوف بن مالك ابن نَضْلة** [بفتح النون وسكون المعجمة] **الجُشميّ الكوفيّ**، [قاتل الخوارج

---

(1) التعديل والتجريح 3/ 936 رقم1026 ـ تهذيب التهذيب 7/ 435 رقم713.

(2) التعديل والتجريح 3/ 976 رقم 1105 ـ تهذيب التهذيب 8/ 63 رقم 100.

فقتلوه وكان ذلك في أيّام الحجّاج بن يوسف][1]:

روى عن أبيه وله صحبة، وعبد الله بن مسعود، وأبي موسى الأشعريّ، وأبي هريرة، والمغيرة بن شعبة..

روى عنه: أبو إسحاق السبيعيّ ومالك بن الحارث السلميّ، وعبد الله بن مرّة..

وثّقه يحيى بن معين، ومحمد بن سعد، وأبو عبد الرحمن النسائيّ. قال عاصم النبيل: " كنّا نأتي أبا عبد الرحمن السُلَمِيّ، فكان يقول لنا: لا تجالسوا القصّاص غير أبي الأحوص ".

5 - [ع] **عبدالله: هو عبدالله بن مسعود بن غافل بن حبيب أبو عبد الرحمن الهذليّ. أمّه** أمّ عبد بنت عبد ودّ بن سواء من هُذيل، لها صحبة [توفّي سنة 32 هـ عن نيّف وستّين سنة ودفن بالبقيع، وصلّى عليه الزبير بن العوّام][2]:

أسلم بمكّة قديما فهو أحد السابقين، قال أبو نعيم: كان سادس الإسلام، وهو أوّل من جهر بالقرآن في مكّة وهاجر الهجرتين، وشهد بدرا والمشاهد كلّها، ولازم النبيّ ﷺ، وكان صاحِبَ نعليه - أي يحملهما -، آخى النبيّ ﷺ بينه وبين الزبير، وبعد الهجرة آخى بينه وبين سعد بن مُعاذ سيّد الأوس. صحّ عنه قوله رضي الله عنه: " أَخَذْتُ مِنْ فِي رسولِ الله ﷺ سبعين سورةً ". وقال النبيّ ﷺ: " من سرّه أن يقرأ القرآن غضّا كما نزل فليقرأه على قراءة ابن أمّ عبد ".

روى عن النبيّ ﷺ، وعمر وسعد بن معاذ، وصفوان بن عسّال..

روى عنه ابناه عبد الرحمن وأبو عبيدة، وزوجته زينب بنت عبد الله الثقفيّة، وابن أخيه عبد الله بن عتبة بن مسعود، وأبو سعيد الخدريّ، وأنس،

---

(1) انظر ترجمته في الكاشف 2/ 306 رقم4381 تهذيب التهذيب 8/ 169 رقم305.

(2) انظر ترجمته في: التعديل والتجريح 2/801 رقم 774 - الإصابة 2/ 368 رقم 4954 - تهذيب التهذيب 6/ 27 رقم 42.

وجابر، وابن عمر، وأبو موسى الأشعريّ، وابن عبّاس وأبو الطفيل وأبوجُحَيْفَةَ السوائيّ، وأبو رافع مولى رسول الله ﷺ، وكلّهم صحابة، كما روى عنه من التابعين أبو وائل شقيق بن سلمة، ومسروق بن الأجدع، وعَمْرُو بن ميمون، وأبو عثمان النهديّ، وعلقمة بن قيس النخعيّ، والأسود بن يزيد بن قيس النخعيّ، وشريح بن يزيد القاضي، وأبو الأحوص عوف بن مالك..

عن أبي موسى الأشعريّ قال: "قدمت أنا وأخي من اليمن، وما نرى ابن مسعود إلا أنّه رجل من أهل بيت رسول الله ﷺ، لما نرى من دخوله ودخول أمّه على النبيّ ﷺ". قال حذيفة بن اليمان: "كان أقرب الناس هديا ودلا وسمتا برسول الله ﷺ ابن مسعود". وقال تميم بن حرام: "جالست أصحاب رسول الله فما رأيت أحدا أزهد في الدنيا ولا أرغب في الآخرة ولا أحبّ إليّ أن أكون في صلاحه من ابن مسعود". وعن عليّ يرفعه: "لو كنت مؤمّرا أحدا بغير مَشُورَةٍ لأمّرت ابن أمّ عبد". سيّره عمرُ بْنُ الخطّاب إلى الكوفة ليعلّمهم أمور دينهم، وبعث عمّارا أميرا، وقال: "إنّهما من النجباء من أصحاب محمّد، فاقتدوا بهما."

لمّا بلغ أبا الدرداء نعيُ ابن مسعودٍ قال: " ما ترك بعده مِثْلَهُ ".

متابعات الحديث:

- تابع حفصُ بنُ غِياث ابنَه أبا حفص عمرَ بنَ حفص بن غياث في رواية الحديث بلفظه تقريبا عن الأعمش، روى ذلك كلّ من الإمام أحمد في المسند، وابن ماجه في السنن، والدارميّ في السنن:

أ - قال أحمد في مسنده: حدّثنا عبد الله بن محمد بن أبي شيبة: حدّثنا حفصُ بن غياث عن الأعمش به[1].

ب - قال ابن ماجه في سننه: حدّثنا سفيان بن وكيع: حدّثنا حفص بن غياث عن

(1) مسند أحمد 1/398.

الأعمش به[1].

ج ـ قال الدارميّ في سننه: " حدّثنا زكريّاء بن عديّ: حدّثنا حفصُ بن غياث عن الأعمش به[2].

شواهـد الحديث:

ـ وللحديث عدّة شواهد منها:

1 ـ **حديث أنس بن مالك**: رواه ابن ماجه في السنن ـ الفتن ـ باب بدأ الإسلام غريبا[3].

2 ـ **حديث أبي هريرة:**

أ ـ رواه مسلم في الجامع الصحيح ـ كتاب الإيمان ـ باب بيان أنّ الإسلام بدأ غريبا. .[4]

ب ـ رواه ابن ماجه: كتاب الفتن ـ باب بدأ الإسلام غريبا[5].

3 ـ **حديث ابن عمر**: رواه مسلم في الجامع الصحيح ـ كتاب الإيمان ـ باب بيان أنّ الإسلام بدأ غريبا[6].

4 ـ **حديث عمرو بن عوف بن زيد بن ملحة**: رواه الترمذي في السنن ـ كتاب الإيمان ـ باب ما جاء أنّ الإسلام بدأ غريبا[7].

شرح مفردات الحديث:

الإسلام: **لغة** مصدر أسلم، بمعنى انقاد واستسلم.

---

(1) الفتن ـ باب بدأ الإسلام غريبا 2/1320 حديث رقم 3988.
(2) الرقاق ـ باب إنّ الإسلام بدأ غريبا 2/618 حديث 2758.
(3) 2/1320 حديث 3987.
(4) 1/130 حديث 232.
(5) 2/1319 ـ 1320 حديث 3986.
(6) 1/131 حديث 232 ـ 146.
(7) 5/18 حديث 2630.

وشرعا: هو اعتقاد بالقلب ونطق باللسان وعمل بالأركان، واستسلام لله في جميع ما قضى، وقدّر. وهو الدين الخاتم الذي أرسل الله به نبيّه محمّدا ﷺ إلى الخلق كافة. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [3 آل عمران 19]، وقال عزّ وجلّ: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [3 آل عمران 85].

بـدأ: يحتمل أن يكون هذا الفعل " بدا " بدون همزة من البدوّ وهو الظهور، إلا أنّ الأشهر على الألسنة " بدأ " بالهمز من الابتداء، ويؤيّده المقابلة بالعود، فإنّ العود يقابل الابتداء وهو أوّل الحال.

غريبًا: غريب صفة مشبّهة باسم الفاعل من الفعل الثلاثيّ المجرّد اللازم " غرَب يغرُب " [بفتح عين الفعل في الماضي وضمّها في المضارع] غُرْبَةً، بمعنى بعُد، ونزَح من وطنه، فهو غريب يُجْمَعُ على غُرباء.

والغريب يكون متفرّدا قليل الأهل في بلاد الغربة. وسُمِّيَ " العلماء غرباء: لقلّتهم بين الجهّال "(1). وشُبّه الإسلامُ بالغريب في بداية ظهوره لقلّة أتباعه، ولتفرّده بالعقيدة السويّة والشريعة القويمة في محيط من الشرك والجهالة.

وسيعود غريبا: أي ستنتشر الجهالة ويعمّ الفسادُ فيعود الإسلامُ غريبًا متفرّدًا بعقيدته الصحيحة وشريعته السمحة وقيمه السامية داخل محيط من البدع واختلال القيم وفساد الفطرة..

فطوبى: طوبى على وزن "فُعلى" من الطيب، وهو كلّ شيء طيّب. وهي في الأصل "طيبى" حوّلت الياء واوا لتتناسب مع الضمّة التي على الطاء.

والفعل منه طاب: فنقول: طاب الشيْءُ يطيب طِيبا فهو طيّب. وأصل الطيب: ما تستلذّه النفس والحواسّ. وكلّ شيء زكِيّ طاهر صالح نصِفُه بالطيّب، فنقول: عمل طيّب أي عمل صالح، وصعيد طيّب أي تراب لا نجاسة فيه، وبلد طيب أي أرض زكيّة، ومساكن طيبة أي طاهرة زكيّة. ويسمّى الأكل والنكاح الأطيبين.

---

(1) مفردات القرآن للراغب الإصفهانيّ 604.

وفسّرت **طوبى** الواردة في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ﴾[13 الرعد 29] بالجنّة وقيل هي شجرة في الجنّة، وقيل معناها فرح وقرّة عين، وقيل غبطة لهم، وقيل حُسْنَى لهم، وقيل: بل إشارة إلى كلّ مستطاب في الجنّة: من بقاء بلا فناء، وعزّ بلا زوال، وغنى بلا فقر.. "[1]. وهي في حديثنا لا تخرج عن كلّ هذه المعاني.

ما أفسد الناسُ: أفسد فعل ثلاثيّ مزيد بحرف وهو "**الهمزة**" لإفادة التعدية، والفعل المجرّد: "فسَد يفسِد" [بفتح عين الفعل في الماضي وضمّها وكسرها في المضارع]، و"فسُد يفسُد" [بضمّ عين الفعل في الماضي والمضارع]، فسادا وفُسودا ضدّ صلُح.

والفساد: هو خروج الشيء عن الاعتدال، قليلا كان هذا الخروج أو كثيرا، يضادّه الصلاح. قال تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾ [30 الروم 41]. والمراد بالفساد هنا هو البدع، والبعد عن شريعة الله، وما ينشأ عن ذلك من انحراف وهَوَانٍ وَوَهَنٍ، وتكالُبِ الكفرة وأشياعهم من الملاحدة وخصوم الإسلام على الأمّة الإسلاميّة وتراثها وحضارتها وثرواتها..

سنّتي: السنّة هي ما أثر عن النبيّ ﷺ من أقواله وأفعاله وإقراراته وصفاته، وهي هنا نهجه وطريقته التي شرّعها للأمّة.

النزّاع: جمع نازع، ونزيع، وهو الغريب الذي نزع عن أهله وعشيرته، أي بعُد وغاب.

كيف فهم بعضهم الحديث ؟!:

فهم بعض الجاهلين بسنن الله اليائسين من رَوْحِهِ هذا الحديثَ على غير وجهه الصحيح، فهموا منه وكأنّ " الإسلام سينكمش، ويضعُف ويقِلّ عددُ أتباعه

(1) مفردات القرآن للراغب الإصفهانيّ 528. النهاية في غريب الحديث لابن الأثير 3/141. هدي الساري مقدّمة فتح الباري لابن حجر العسقلانيّ 159.

حتى يصيروا كالغرباء تماما كقلّة المسلمين عند ظهور الإسلام في مكّة المكرّمة، وأنّ على من يسمع هذا الحديث أن يُهَادِنَ الإثمَ، ويُدَاهِنَ الجائرين، ويستكين لِلْأُفُولِ الذي لا مَحِيصَ عنه "، وسيكون جزاء هؤلاء الغرباء الجنّة لصبرهم على أذى الكفّار ولزومهم دين الإسلام.

وهو فهم يَنْضَحُ قَتَامَةً تعكس بُرُودَ الهِمَمِ ووَهَنَ العزائمِ، واليأسَ من رَوْحِ الله والبعد عن رُوح الإسلام الوثّابة الداعية إلى الصبر والمصابرة ومقاومة الظلم ومقارعة الباطل. يقول الداعية الكبير الشيخ العلامة محمد الغزالي ـ طيّب الله ثراه ـ: "إيرادُ الحديثِ وفهمُهُ على هذا النحو مرض شائع قديم، ولو سَرَتْ جرثومةُ هذا المرض إلى الناصر صلاح الدين الأيّوبيّ ما فكّر في استنقاذ بيت المقدس من الصليبيّين القدامى [وكان ذلك يوم الجمعة 27 رجب 583هـ/ 20 أكتوبر1187م]، ولو سرت جرثومة هذا المرض إلى الملك المظفّر سيف الدين قُطُزْ وقائده الشجاع ركن الدين بِيبَرْسْ ما نهضا إلى دحر التتار في عين جالوت [وكان ذلك يوم الجمعة 25 رمضان 658هـ/ 1260م]، ولو سرت جرثومة هذا المرض إلى زعماء الفكر الإسلاميّ في عصرنا الحاضر ابتداءً من جمال الدين الأفغانيّ إلى الشهداء والأحياء من حَمَلَةِ اللواء السَّامِقِ، ما فكّروا في أن يخطّوا حرفا أو يكتبوا سطرا. . ".

الفهم الصحيح للحديث:

إنّ دراسة الحديث بالاستعانة بكلّ رواياته تُجَلِّي لنا حقيقته وتكشف عن المراد بالغُربة والغرباء الذين وعدهم الرسول ﷺ بالطوبى، بالجنة ونعيمها.

فالمراد **بالغربة** في حديثنا هي انتشار الفساد واستمراء البدع واللهو والعبث واللهثُ وراء استرضاء أعداء الله من كَفَرَة وفسقة ومُجّان ومَلاحدة، والخضوع لإرادتهم ومسايرتهم ومداهنتهم وقبول تفسيراتهم للظواهر المختلفة مهما كانت مجافية للحقّ مناقضة للشرع.

أمّا **الغرباء** فهم أولئك المصلحون الذين لا يستكينون للدنيئة في دينهم ويستميتون في نصرة الحقّ ودحر الباطل مهما تَغَوّلَ أنصارُه وكثُر أتباعُه. هذا ما ورد

صريحا في حديث عَمْرو بن عوف بن زيد بن ملحة رضي الله[1] عن رسول الله ﷺ الذي رواه الترمذيّ: "فطوبى للغرباء الذين يُصلِحون ما أفسده الناس" فهم أولئك المصلحون الغَيَارى على دينهم، الذين يصلحون ما أفسده الناس وما استحدثوه من بدع وضلال وباطل، أولئك الذين يعيدون للإسلام بجهادهم وتضحياتهم نقاءه وصفاءه وقوّته وعزّته وينفون عنه روح التخاذل والاستكانة والخنوع. وهذا ما ورد صريحا كذلك في حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، يرفعه، الذي رواه الدارمي وابن ماجه: " قيل من الغرباء يا رسول الله ؟ قال: النزّاع من القبائل ". أي الذين نزعوا عن مجتمعاتهم وابتعدوا عمّا ارتطمت فيه من بدع ولم يشاركوهم لَهْوَهُمْ وفسادهم وخذلانهم وتخاذُلهم، بل عابوا عليهم مُجُونَهُمْ وانحلالهم وانصياعهم لإرادة العدوّ الكافر، وبعدهم عن المَهْيَع الرشيد، وجاهدوا لتغيير الباطل وإزاحة الضلال وإجلاء الظلام وإحلال الخير والحقّ والجمال الربانيّ.

يقول الشيخ الغزاليّ رحمه الله: " إنّ هذا الحديث وأشباهه يشير إلى الأزمات التي سوف يواجهها الحقّ في مسيرته الطويلة. فإنّ الباطل لن تلين قناتُهُ بسهولة، بل ربّما وصل في جرأته على الإيمان أن يقتحم حدوده، ويهدّد حقيقته، ويحاول الإجهازَ عليه، وعندها تتجلّى الظلماءُ عن رجالٍ صدقوا ما عاهدوا الله عليه، يقاومون الضلال بجلد.. ولا يتخاذلون أمام الغربة الروحيّة والفكريّة التي يعانونها، ولا يزالون يؤدّون ما عليهم لله حتّى تنقشع الغُمّة ويخرج الإسلام من محنته مكتملَ الصحّةِ، بل لعلّه يستأنف زحفه الطهور فيضمّ إلى أرضه أرضا وإلى رجاله رجالا "[2].

فوائد الحديث:

1 ـ الغُربة التي يتحدّث عنها الحديث ليست موقفا سلبيّا عاجزا، إنّما هي جهاد قائم دائم حتّى تتغيّر الظروفُ الرديئةُ، ويلقى الدينُ حظوظا أفضل،

---

(1) قال عنه ابن سعد: كان قديم الإسلام، روى عن النبيّ ﷺ توفّي في ولاية معاوية التي امتدّت ما بين 41 و60 هـ. [انظر تهذيب التهذيب 8/85 رقم 127].

(2) قذائف الحقّ 188 [منشورات المكتبة العصريّة ـ صيدا ـ بيروت].

2 ـ الغرباء ليسوا المتخاذلين المنكفئين على أنفسهم، وإنّما هم الرجال المصلحون المجاهدون الذين رفضوا الهزائم النازلة، فتوكّلوا على الله في مدافعتها حتى تتلاشى.

3 ـ الإسلام لن ينحسِرَ ظلّه في الأرض بإذن الله ووعده، ولن يتقلّص حَجْمُهُ بل هو في ازدياد مستمرّ، بصريح بشرى النبيّ ﷺ الواردة في حديث تميم الداريّ رواه أحمد في المسند: " ليبلغنّ هذا الأمرُ ما بلغ الليلُ والنهارُ، ولا يترك الله بيتَ مَدَرٍ ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بعزّ عزيز أو بذلّ ذليل، عِزًّا يُعِزّ الله به الإسلامَ وذلاً يُذِلّ الله به الكفْرَ. "[1]

* * *

الحديث الثالث والعشرون:

قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: حدّثنا محمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ وحَجّاج، قال: حدّثني شعبةُ عن قَتَادَةَ، عن عِكْرِمَةَ عن ابنِ عبّاسٍ، قال: " **لعن رسولُ الله ﷺ المتشبِّهِيَن من الرجالِ بالنساءِ، والمتشبّهاتِ من النساءِ بالرجالِ** "[2].

وروى أبو داود في السنن حديثَ عائشةَ مرفوعًا: "**لَعَنَ رسولُ الله ﷺ الرَّجِلَةَ من النساءِ**"[3]، وحديث أبي هريرة يرفعه: "**لعن رسولُ الله ﷺ الرجُلَ يَلبس لِبْسَةَ المرأةِ**"[4].

وجاء في حديث عبد الله بن عبّاس يرويه الترمذيّ في السنن: " **لعن رسولُ الله ﷺ المخنّثين من الرجال**"[5].

---

(1) مسند أحمد 4/103 ـ 4/6. المستدرك على الصحيحين ـ الفتن والملاحم 4/476 حديث 8324 ـ 4/ 477 حديث 8326. ـ بلوغ الأماني من أسرار الفتح الربّاني 1/90.

(2) مسند أحمد 1/339.

(3) كتاب اللباس ـ باب لباس النساء 4/355 حديث 4099.

(4) اللباس ـ باب لباس النساء 4/355 حديث 4098.

(5) الأدب ـ باب ما جاء في المتشبّهات بالرجال من النساء 5/106 حديث 2785.

المعنى الإجماليّ للحديث:

يعيب النبيّ ﷺ بشدّةٍ أولئك الذين يَعْمَدُونَ إلى تغيير الفِطْرَةِ وَإِفْسَاد خَلْقِ الله، من الرجال المتشبّهين بالنساء، والنساء المتشبّهات بالرجال، حتّى أنّه دعا عليهم بالطرد من رحمة الله لِعِظَمِ الذنْبِ الذي اقترفوه، فهم بصنيعهم الشائِنِ الشاذِّ يَقْلِبُونَ سُنَنَ الله في الخليقة، ويُفْسِدُون موازينَ العدل التي أقام الله عليها نظامَ الكون.

التعريف بإيجاز برجال السند:

1 ـ [ع] **محمد بن جعفر الهُذَليّ مولاهم أبو عبد الله البصريّ المعروف بغُنْدُر صاحب الكرابيس** [مفردها الكِرْباس والكرباسة وهي كلمة فارسيّة تعني الثوب القُطنيّ، توفّي في ذي القعدة سنة 193هـ وقيل سنة 194هـ](1):

روى عن: شعبة فأكثر وجالسه نحوًا من عشرين سنة حتّى سُمِّيَ "راوية شعبة"، وكان ربيبه، ومَعْمَرِ بْنِ راشدٍ، وسعيدِ بْنِ أَبي عَرُوبَةَ، وابنِ جُرَيْجٍ، والثوريّ، وابنِ عُيَيْنَة..

روى عنه: أحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، ويحيى بن مَعين، وعليّ ابن المَدِينيّ، وأبو بكر وعثمان ابنا أبي شَيْبة، وبِنْدار محمد بن بشّار..

كان وكيع يسمّيه "الصحيح الكتاب"، وقال ابن المبارك إذا اختلف الناس في حديث شعبة فكتاب غُندر حَكَم بينهم. سمّاه ابن جريج غندرا لأنّه كان يكثر التشغّب عليه، وأهل الحجاز يسمّون المشغِب غندرا.

ووثّقه محمد بن سعد، والعِجْليّ، وقال: كان من أثبت الناس في حديث شعبة.

2 ـ [ع] **حَجّاج بن محمد المَصِيصيّ، الأعور، أبو محمد مولى سُليمان بن مُجالِد،**

---

(1) انظر ترجمته في التعديل والتجريح 2/623 رقم464 ـ تهذيب التهذيب 9/96 ـ 98 رقم 129.

ترمذيّ الأصل، سكن بغداد، ثمّ تحوّل إلى المَصِيصَة، [توفّي ببغداد في ربيع الأوّل سنة 206 هـ][1]:

روى عن: ابن أبي ذئب، وابن جريج، والليث وشعبة..

روى عنه: أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، وصاعقة، وأبو خيثمة..

وثّقه عليّ بن المدينيّ، وابن سعد، والنسائيّ ومسلم والعِجليّ وابن قانع، وكان قد تغيّر في آخر عمره الأمر الذي جعل أبا العرب محمد بن أحمد التميميّ حافِظَ القيروان المتوفّى سنة 333هـ يذكره في الضعفاء بسبب الاختلاط.

3 ـ **شُعْبة بن الحَجّاج**: تقدّمت ترجمته في الحديث الرابع.

4 ـ [ع] **قَتَادَة بن دَعَامة السَّدُوسِيّ**، ينتهي نسبه إلى ربيعة بن نِزار بن مَعَدّ بن عَدْنَان، أبو الخطّاب البصريّ الأعمى [61هـ 117هـ][2]:

روى عن: أنس بن مالك، وأبي عثمان النهديّ، والحسن البصريّ، وسعيد ابن جبير، وعطاء بن أبي رباح، وعكرمة مولى ابن عبّاس، ومُعَاذَةَ العدويّة..

روى عنه: سليمان التيميّ، وشعبة، ومِسْعَرُ بْنُ كِدَامٍ الهلاليُّ العامريُّ، وابن أبي عَرُوبَةَ، وهشام الدُّسْتُوَائِيُّ..

قال أبو حاتم محمد بن إدريس الرازيّ: قتادة أكبر أصحاب الحسن، وهو والزهريّ أثبتهم. وقال سعيد بن المسيّب: ما أتاني عراقيّ أحفظُ من قَتَادَةَ.

5 ـ **عِكْرِمة مولى ابن عبّاس**: تقدّمت ترجمته في الحديث 5.

6 ـ **ابن عبّاس**: عبد الله بن عبّاس: تقدّمت ترجمته في الحديث 5.

---

(1) انظر ترجمته في التعديل والتجريح 2/518 رقم277 ـ تهذيب التهذيب 2/205 رقم 371.

(2) انظر ترجمته في التعديل والتجريح 3/1064 رقم1251 ـ تهذيب التهذيب8/351 رقم 635.

متابعات الحديث وشواهده:

أ ـ تابع محمّدُ بْنُ بشّارِ الإمامَ أحمدَ في رواية الحديث عن محمد بن جعفر به بلفظه. رواها البخاريّ في الجامع قال: حدّثنا محمد بن بشّار: حدّثنا محمد ابن جعفر به[1].

ب ـ وتابع كلّ من:

1 ـ خالد بن الحارث. 2 ـ وأبي داود الطيالسيّ. 3 ـ ومعاذ بن معاذ، محمَّدَ بْنَ جَعْفَر الهذليّ الملقّب بغُنْدُرٍ، و حجّاجَ بْنَ محمد المصيصيّ في رواية الحديث معهما عن شعبة به بلفظه:

1 ـ أمّا متابعة خالد بن الحارث فرواها ابن ماجه في السنن، قال: حدّثنا أبو بكر ابن خلاد الباهليّ: حدّثنا خالد بن الحارث: حدّثنا شعبة به.[2].

2 ـ أمّا متابعة أبي داود الطيالسيّ فرواها الترمذي في السنن، قال: حدّثنا محمود ابن غيلان: حدّثنا أبو داود الطيالسيّ: حدّثنا شعبة وهمّام به[3].

3 ـ أمّا متابعةُ مُعَاذِ بْنِ معاذٍ فرواها أبو داود في السنن قال: حدّثنا عبد الله بن معاذ: حدّثني أبي: حدّثنا شعبة به[4].

وللحديث شاهد من حديث أبي هريرة، رواه ابن ماجه في السنن[5].

شرح مفردات الحديث[6]:

لعن: لعَن يلعَنُ [بفتح عين الفعل في الماضي والمضارع] لعنا، واللعن هو

---

(1) كتاب اللباس ـ باب المتشبّهون بالنساء، والمتشبّهات بالرجال ـ متن فتح الباري 10/345 حديث 5885.
(2) كتاب النكاح ـ باب في المختّثين 1/614 حديث 1904.
(3) كتاب الأدب ـ باب ماجاء في المتشبّهات بالرجال من النساء 5/105 ـ 106 حديث2784.
(4) كتاب اللباس ـ باب لباس النساء 4/354 ـ 355 حديث 4097.
(5) كتاب النكاح ـ باب في المختّثين 1/613 ـ 614 حديث 1903.
(6) انظر مفردات ألفاظ القرآن للراغب 443، 741 ـ هدي الساري لابن حجر120، 127، 193. فتح الباري 9/246.

الطرد والإبعاد على سبيل السخط.

ويكون اللعن من الله في الآخرة: عقوبة بطرده من رحمته. وفي **الدنيا:** انقطاع من قبول رحمته وتوفيقه.

أما اللعن من الإنسان: فهو دعاء على غيره بالإبعاد من رحمة الله.

و **التلاعُنُ والملاعنة:** أن يلعن كلّ واحدٍ منهما نفسَهُ، أو صاحبه. ويكون اللعنُ والالتعان عند القذف الشرعيّ، بأن يتّهم الرجلُ زوجَتَهُ بالزنا. و **التعن** فلان: لعن نفسه. و **اللعَنَةُ** [بضمّ اللام وفتح العين]: الذي يَلْعَنُ [بالبناء للمعلوم] كثيرا. و **اللعْنَةُ** [بضم اللام وتسكين العين]: الذي يُلْعَنُ [بالبناء للمجهول] كثيرا، فقد ألحقت بهما " الهاء " للمبالغة. و **اللعين:** المطرود.

المتشبّهين: اسم فاعل من الفعل الثلاثيّ المزيد بحرفين " تشبّه " بمعنى تكلّف التشبُّهَ بغيره بأن يكون مثله، والمشابهة هي المماثلة، نقول شيئان متشابهان: أي هما متماثلان ومتقاربان بحيث لا نميّز أَحَدَهُمَا عن الآخر لِمَا بينهما من التشابه.

وتشبهُ الرجلِ بالمرأةِ يكون:

- بأن يلبس لباس المرأة، فقد " لعن رسولُ الله الرجلَ يلبس لِبْسَةَ المرأة، والمرأة تلبس لبسة الرجل "[1]. يقول الإمام الشافعيّ: " ولا أكره للرجل لبس الثوب المكلّل باللؤلؤ إلا لأنّه من زيّ النساء "[2].

- وأن يتزيّن زينتها، يقول الإمام الطبريّ: " لا يجوز للرجال التشبّهُ بالنساء في اللباس والزينة التي تختصّ بالنساء "[3]، وأن يتكلّم كلامها، ويمشي مشيتها ويتصرّف تصرّفها في حركاتها وسكناتها.. حتّى أنّ من يراه يحسبه امرأة.

---

(1) سنن أبي داود ـ اللباس ـ باب لباس النساء 4/355 حديث 4098.
(2) انظر فتح الباري 10/346.
(3) انظر فتح الباري 10/345.

ـ **المتشبّهات**: المتكلّفات التشبّه بالرجال بأن يلبسن لباسهم، ويظهرن بمظهرهم وهيئاتهم، حتى يَكُنَّ كالرجال. قيل لعائشة رضي الله عنها: "إنّ امرأةً تلبس النعل! فقالت: لعن رسول الله الرَّجِلَةَ من النساء "(1).

الرجِلة: بكسر الجيم، هي المرأة المتشبّهة بالرجال في زِيِّهِمْ وهيئاتهم. يقال **ترجّلت المرأةُ**: أي أصبحت كالرجل في مظهرها، وتصرّفاتها. **فهي مترجّلة** وهنّ مترّجلات. **فالترجّل**: هو أن تتشبّه المرأة بالرجل في هيئته وسلوكه.

المخنّثين: **المخنِث** بكسر النون وبفتحها هو المتكسّر، المتعطّف، المتخلّق بخلق النساء في حركاته وكلامه وغير ذلك. قال ابن حبيب: " المخنّث هو المؤنّث من الرجال، وإن لم تُعْرَفْ منه فاحشة، مأخوذ من التكسّر في المشي وغيره". و **التخنّث**: هو أن يصبح الرجلُ كالمرأة في لغته ومشيته وهيئته.

ما الحكمة في لعن التشبّه والترجّل والتخنّث ؟:

لقد حرّم الإسلام تشبّه الرجال بالنساء وتشبّه النساء بالرجال، وحرّم الترجّل والتخنّث، ولعن مقترِفي هذه الانحرافات لأنّها تُصادم الفطرة وتخرُجُ بالذكورة والأنوثة عن دائرة الوظيفة التي خُلِقتا من أجلها وهي إعمار الأرض، ثمّ هي خصال شاذّة تُعْتَبَرُ تغييرا لخلق الله، وإفسادا في الأرض وقَلْبا لموازين الطبيعة، فمَنْ يتعمّدُ فعلَ ذلك يستحقُّ الطردَ من رحمة الله والإبعادَ من عفوه وكرمه، يقول النبي ﷺ: "اشتدّ غضبُ الله عن قوم رغبوا عن خلق الله وتشبّهوا بالنساء "(2).

ما الموقف إذا كان التشبّه خَلْقيا [بفتح الخاء] ؟:

إنّ الذمّ واللعن ينال النساءَ المتشبّهاتِ بالرجال، والرجالَ المتشبّهين بالنساء إذا كان فعلُهم هذا متعمَّدًا مقصودًا، أمّا إذا كان ذلك من أصل الخلقة، فيؤمر الرجلُ والمرأةُ بأن يبذُلا الجهدَ في معالجة ذلك وتركِه تدريجيّا، للتخلّص منه

(1) سنن أبي داود ـ اللباس ـ باب لباس النساء 4/355 حديث 4099.
(2) فتح الباري 9/245.

نهائيًا. وإذا عجزا عن العلاج بترك التثنّي والتكسّر في المشي والكلام بالنسبة للمخنّث، وترك الترجّل بالنسبة للمترجّلة رغم بذل الوُسْعِ في التخلّي عن هذا الشذوذ والشفاء من دائه الوبيل، فإنّ اللوم لا يتّجه عليهما.

أمّا إذا أَبَيَا العلاجَ، وتماديا في التشبُّه دخلا تحت طائلة الذمّ واللعن، لاسيّما إن بدا منهما ما يدلُّ على الرضا بصنيعهما الشاذّ.

مخاطر تشبّه النساء بالرجال؟:

1 ـ قد يحمل تشبُّهُ المرأة بالرجل إلى التحرّر من فضيلة الحياء والعفّة ويُجَرِّئُها على الاختلاط بالرجال، والخروجِ من بيتها في الليل والنهار، بل فقد تنزلق في بُؤَر الجريمة والفساد، فقد جاء في توصيات مؤتمر الجريمة التابع للأمم المتّحدة المنعقد في جنيف Geneve بسويسرا سنة 1978 م: أنّ أعداد النساء اللاتي قُبِضَ عليهنّ بتهمة السرقة وجرائم السطو على المنازل ارتفعت بنسبة عالية. . .[1].

2 ـ كما قد يحملها تطرّفُها وشذوذُها على الاستقلال عن الرجل، الذي تعتبرُهُ عنوانَ العبوديّة والقهر، وعلى الانفصال عنه اقتصاديًا، واستبعادِ دوره في الأسرة تمامًا، حتّى أنّ بعض الغربيّاتِ المتطرّفاتِ في شذوذهنّ عندما يرغبن في الإنجاب يلجأن إلى عمليّات التلقيح الصناعيّ من آباء ينحصر دورهم في إخصابِ المرأة عن بُعْدٍ، عن طريق التبرّع بالحيوانات المنويّة مُقابِل مكافأة ماليّة يقدّمها له بنك الحيوانات المنويّة[2].

3 ـ بل وقد يحملها غلوُّها في الترجّل إلى إنكار الفِطْرَةِ وحقائق الخلق، فهناك باحثات مُتَفَلِّتَات يَرَيْنَ أنّ " التحرّرَ الحقيقيَّ للمرأة لن يتحقّق إلا إذا تخلّصت من شرّين: الأسرة، والأمومة !!" وهي دعوة صريحة إلى مصادمة طبيعة

---

(1) احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام 279.

(2) المرأة بين حقائق الإسلام وأباطيل الغرب 107.

الخلق، وهذه الكاتبة اليهوديّة "شولا ميت فايرستون" تعبّر عن هذه المصادمة بكلّ وضوح حيث تقول: " إنّ الطبيعة ينبغي أن تذهب إلى الجحيم إذا وقفت حائلا دون ثورةِ النساءِ على العبوديّة والقَهْرِ. . "[1].

تغيير الجنس بين دعاوى حقوق الإنسان والحلّ الإسلاميّ ؟:

في الوقت الذي تنادي فيه بعضُ جمعيّات حقوق الإنسان بدعمٍ من منظّمات نِسَائيّةٍ مُتَطَرِّفَةٍ، إلى اعتبار ما يسمّونه "حقّ التكيّف" أو "حقّ كلّ مخلوق في أن يغيّر جنسه حسب رغبته، من حقوق الإنسان الواجبة الاحترام"[2]، فإنّ الإسلام يعتبر تغيير خلق الله من الفساد في الأرض ومن عمل الشيطان المحرّم: ﴿ وَلَآمُرَنَّهُمۡ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلۡقَ ٱللَّهِۚ ﴾ [4 النساء119]، وقد لعن الرسول ﷺ المغيّرات خلقَ الله، في حديث تحريم فعل الواشمات والمستوشمات والواصلات والمستوصلات والنامصات والمتنمّصات والمتفلّجات للحسن المغيّرات خلقَ الله[3]" .

إلا أنّ الإسلام راعى الحالاتِ الخَلْقيّةَ[بفتح الخاء] الشاذّة، وتعاطَى معها بإنسانيّةٍ ورحمةٍ باعتبارها مرضًا يستوجب العلاجَ والمساعدة على البُرْءِ منه، فعالجها بما يكفل لأصحابها الشفاءَ ويحقّقُ لهم الحياة الطبيعيّة.

فمن اجتمعت فيه أعضاءُ الأنوثة والذكورة يُنظر فيه:

ـ فمن غلبت عليه الذكورة عولج طبّيّا بما يُزيل الاشتباهَ في أنوثته، سواء بإجراءِ الجراحة أو بتعاطي الهُرْمُونَات.

ـ ومن غلبت عليه الأنوثةُ عُولِجَ بما يزيل الاشتباهَ في ذكورته، بنفس الطريقة الأولى.

ولا يُعدّ ذلك تغيرا لخلق الله، وإنّما هو تطبيب لمرضٍ يجب علاجُهُ للبرء

---

(1) المرجع السابق 109.

(2) المرجع السابق 111، 114.

(3) صحيح البخاري ـ متن فتح الباري ـ اللباس ـ باب المتنمّصات 10/390 حديث 5939 ـ سنن الترمذيّ ـ الأدب ـ باب ما جاء في المتشبّهات 5/104 حديث 2782.

منه بإذن الله تعالى[1].

كيف عالج الرسول ﷺ هذه الأمراض الخُلُقيّة غير الخَلْقيّة [بضمّ الخاء في الأولى وفتحها في الثانية]؟ :

قضى النبيّ ﷺ بوجوب تَعْزِيرِ من يتشبّه بالنساء بالإخراج من البيوت، والنفي، إذا تعيّن ذلك طريقا لردعه:

روى البخاريُّ بسنده إلى ابن عبّاس قال: " لعن النبيّ ﷺ المخنّثين من الرجال، والمترجّلاتِ من النساء، وقال أخرجوهم من بيوتكم "[2]. وقد أُتِيَ عليه الصلاة والسلام بمخنّث قد خضّب يديه ورجليه، فقيل: يا رسول الله ! إنّ هذا يتشبّه بالنساء!؟ فنفاه إلى **النقيع**. فقيل: ألا تقتله ؟ فقال: إنّي نُهِيتُ عن قتل المصلّين. كما نفى المخنّث المدعوّ " أَنَّـةَ "[بفتح الهمزة وتشديد النون]، حيث قال له: " يا أَنّةُ ! اُخْرُجْ إلى **حمراء الأسد**، وليكن بها منزلك. "[3].

وكان يدخل على أزواج النبيّ ﷺ مُخَنّث يقال له " هيت "، وكانوا يعدّونه من غير أولي الإِرْبَةِ، فدخل النبيّ يوما وهو عند بعض نسائه ينعت امرأة، فقال لنسائه: لا تُدْخِلْنَ هذا عليكنّ، فحُجِبَ عن بيت النبيّ ﷺ. وجاء في حديث أمّ

---

(1) انظر: تغيّر الأحكام في الشريعة الإسلاميّة 239 ـ 240.

(2) صحيح البخاري متن فتح الباري 10/346 حديث 5886. وانظر 12/165 حديث 8634.

(3) فتح الباري 9/246. وقد عرف في عهد النبيّ ثلاثة من المخنّثين: "**هيت** مولى عبد الله بن أبي أميّة. **وماتع** مولى فاختة بنت عمرو بن عائذ. **وأنّة** بفتح الهمزة وتشديد النون. وقد يضاف إليهم **أنجشة** وهو العبد الأسود الذي كان يحدو بالنساء. "و **النقيع** موقع تلقاء المدينة المنوّرة، على ثلاث مراحل منها وهو من أودية الحجاز على عشرين فرسخا من مكّة المكرّمة، قيل كان لرسول الله ﷺ حماه لخيله، وله هناك مسجد، يقال له مقمّل، وفيه شجر كثيف يغيب فيه الراكب، وقيل حماه عمر بن الخطاب لخيل المسلمين [انظر معجم البلدان لياقوت الحمويّ5/348، والروض المعطار للحميريّ 579]. أمّا **حمراء الأسد** فهي: "موضع على ثمانية أميال من المدينة على يسار الطريق إذا أردت ذا الحليفة، وإليه انتهى رسول الله يوم أحد في طلب المشركين " [معجم البلدان 2/346 عدد3907 ـ الروض المعطار 200].

سلمة مرفوعا: " لا يدخلنّ هذا عليكم "[1].

وحرصا من عمر رضي الله عنه على نظافة المدينة وسلامة أهلها من الفتن لاسيّما وأغلبُ رجالها على الثغور يجاهدون ويفتحون بعيدًا عن نسائهم وأسرهم، نفى: - **أبا ذُؤيْبٍ** إلى البصرة، وكان من أجمل أهل المدينة مخافة أن تفتتن به النساءُ، كما نفى **جَعْدَةَ السُّلَمِيَّ** من المدينة بسبب خروجه مع النساء إلى البقيع وحديثِه إليهنّ[2]، ونفى **نَصْرَ بْنَ حَجَّاجٍ** الشاعرَ الوسيمَ إلى البصرة حين سمع إحدى العواتق في خدرها تهتف له:

يا ليْتَ شِعْرِي عن نفسي أزاهِقَةَ ... مِنّي، ولم أَقْضِ ما فيها من الْحَاجِ
هل من سبيلٍ إلى خَمْرٍ فأشربُها ... أم من سبيل إلى نصرِ بنِ حَجّاجِ[3]

فوائد الحديث:

1 - مشروعيّة نفي أهل المعاصي والرِّيَبِ والمخنّثين ممّن يحصُل بهم التأذّي للناس إلى أن يرجِعوا عن ذلك و يتوبوا إلى الله.

2 - الإسلام دين الفطرة والطهر والرحمة فلا مجال فيه للعبث. وهو يقاوم تلويثَ الفطرة وإفسادَ الخلقة وتغييرها، فحرّم ترجُّلَ المرأَةِ وتَخَنُّثَ الرجُلِ.

3 - إنّ الانسياق وراء الدعوات الموبوءة المنادية بالتفسُّخ والانحلال تحت دعاوى الحرّيّة الشخصيّة وحقوق الإنسان مُودٍ بالأمّة إلى المهالك فتفقِدَ شخصيّتها وتفرّط في أسباب وجودها وخصائصها.

* * *

---

(1) متن فتح الباري 9/245 حديث 5235. وانظر فتح الباري 9/246.
(2) فتح الباري 12/166.
(3) الأعلام 8/339.

الحديث الرابع والعشرون:

قال الإمام البخاريّ ـ رحمه الله تعالى ـ: حدّثنا مُعَاذُ بْنُ فضالة: حدّثنا هشام عن يحيى عن هلال بن أبي ميمونة: حدّثنا عَطَاءُ بْنُ يَسَارٍ أنّه سمع أبا سعيدٍ الخُدْرِيَّ رضي الله عنه، يُحدّثُ: **"أنّ النبيّ ﷺ جلَسَ ذاتَ يَوْمٍ على المِنْبَرِ، وجلسنا حَوْلَهُ، فقال: "إنّ مِمّا أخافُ عليكم مِنْ بعدي، ما يُفْتَحُ عليكم من زَهرة الدنيا وزِينَتِهَا" فقال رجل: يا رسولَ الله! أوَ يأتي الخيرُ بالشرِّ؟. فسكت النبيّ ﷺ، فقيل له: ما شأنُك تكلّمُ النبيَّ ولا يكلّمُك!؟، فرأينا أنّه يُنَزَّلُ عليه. قال: فمَسَحَ عنه الرُّحَضَاءَ، فقال: "أين السائِلُ؟ ـ وكأنّه حَمِدَهُ ـ فقال: إنّه لا يأتِي الخيرُ بالشرِّ، وإنّ مِمّا يُنبتُ الربيعُ يَقْتُلُ أو يُلِمّ، إلا آكلةَ الخضراءِ، أكلت حتّى إذا امتدّتْ خاصِرَتَاهَا، استقبلت عينَ الشمسِ، فثلَطَتْ وبالَتْ ورَتَعَتْ. وإنّ هذا المالَ خَضِرَة حُلْوَة، فَنِعْمَ صاحبُ المسلم ما أعطى منه المِسْكِينَ واليتيم وابْنَ السبيلِ، ـ أو كما قال النبيّ ﷺ ـ وإنّهُ مَنْ يأخُذُهُ بغير حقّه كالذي يأكُلُ ولا يشبَعُ، ويكون شهيدا عليه يوم القيامة"** [1].

المعنى الإجمالي للحديث:

يشير الحديث إلى أهمّيّة المال باعتباره نِعْمَةً وخيرًا متى اَقْتُصِدَ في تحصيله من وجوهه المشروعة، وأُدِّيَ حقُّهُ إلى مستحقّيه، كما يتحدّث عن خطره حيث قد ينقلب إلى شرّ، إذا أُفْرِطَ في اكتسابه وبُخِلَ بأداءِ حَقِّهِ، ويدعو الرسولُ ﷺ إلى الاقتصاد في جمعه وحُسْنِ التصرّفِ في إنفاقه، إذ من يُفرط في أخذه بغير حقّه يصبح كالبهيمة الشرِهَةِ الغافلة التي تلتهم العُشْبَ بدون توقّف حتّى تَبْشَمَ فتموت.

التعريف بإيجاز برجال السند:

1 ـ (ع) **مُعَاذُ بْنُ فُضَالَةَ: أبو زيد الزَّهْرَانِيُّ، ويقال القرشيّ مولاهم البصريّ** [ت سنة بضع عشرة ومائتين]:

---

(1) صحيح البخاري ـ الزكاة ـ باب الصدقة على اليتامى ـ متن فتح الباري 3/ 383 ـ 384 حديث 1465.

ـ روى عن: هشام الدستوائيّ، وحفص بن مَيْسُرَةٍ، وسفيان الثوريّ، وعمر ابن قيس الملقّب بسَنْدَلٍ. .

ـ روى عنه: البخاريّ، وأبو حاتم، وأحمد بن منصور الرماديّ، ويعقوب ابن سفيان، وأبو قلابة الرَّقَاشِيُّ. .

ـ قال عنه عبد الرحمن بن أبي حاتم: كان ثقة صدوقا[1].

2 ـ (ع) **هشام: هو هشام بن أبي عبد الله، واسم أبي عبد الله، " سُنْبُرٌ "، أبو بكر البصريّ، يقال له: " الدُّسْتُوَائيّ "** [نسبة إلى دُستواء وهي كورة من الأهواز كان يبيع الثياب التي تجلب منها فنسب إليها ت 154هـ وقيل سنة 153هـ عن 78 سنة]:

ـ روى عن: قَتَادة بن دَعَامة، ويحيى بن أبي كَثير، ويونس الإسكاف، وشعيب بن الحَبْحَاب، ومَطَر الورّاق. .

ـ وروى عنه: مُعاذ بن فُضالة وابناه معاذ وهشام، ويحيى بن سعيد القطّان، وعبد الرحمن بن مهديّ، ووكيع بن الجرّاح وغُنْدُر محمد بن جعفر الهُذَليّ. .

قال العِجْليّ: بصريّ ثقة ثَبْت في الحديث حُجّة إلا أنّه يرى القدَرَ. وكان يحيى بن سعيد القطّان إذا سمِعَ الحديث من هشام لا يبالي ألا يسمعه من غيره. وذكره إسماعيل بن عُلَيّة في حفّاظ البصرة. وقال أبو داود الطيالسيّ: هشام الدستوائيّ أمير المؤمنين في الحديث. .[2].

3 ـ (ع) **يحيى: هو يحيى بن أبي كثير، أبو نصر الطائيّ مولاهم العطّار** [ت129هـ وقيل 132هـ]:

ـ **روى عن**: هلال بن ميمونة، وأبي سلمة بن عبد الرحمن، وعبد الله بن أبي قتادة، وأبي قلابة عبد الله بن زيد الجرميّ، وعكرمة مولى ابن عبّاس. .

---

(1) انظر ترجمته في التعديل والتجريح 2/713 عدد 622 ـ تهذيب التهذيب 10/193 عدد362.

(2) التعديل والتجريح 3/1174 عدد1404 ـ تهذيب التهذيب 11/ 43 عدد85.

ـ **روى عنه**: ابنه عبد الله بن يحيى، وهشام الدستوائيّ، وشيبان بن عبد الرحمن، والأوزاعيّ، وهمّام بن منبّه. .

ـ قال أيّوب السختيانيّ: ما علمتُ أحدًا كان أعلم بحديث أهل المدينة بعد الزهريّ من يحيى بن أبي كثير. وقال: ما بقي على وجه الأرض مِثْلُ يحيى بن أبي كثير ووثّقه العجليّ، وقال عنه أبو حاتم: إمام لا يحدّث إلا عن ثقة[1].

4 ـ (ع) **هلال بن أبي ميمونة الفهريّ من بني عامر بن لُؤَيّ، وقيل هو مولى عامر بن لؤي** [توفّي في آخر خلافة هشام بن عبد الملك بن مروان الخليفة الأمويّ العاشر 105 ـ 125هـ]:

ـ **روى عن**: أنس بن مالك، وعطاء بن يسار، وأبي سلمة بن عبد الرحمن. .

ـ **روى عنه**: يحيى بن أبي كثير، وفليح بن سليمان، وعبد العزيز بن أبي سلمة. .

ـ وثّقه الدارقطنيّ، وذكره ابن حبّان في الثقات[2].

5 ـ (ع) **عطاء بن يَسار: أبو محمّد مولى ميمونة بنت الحارث زوج النبيّ ﷺ** المدنيّ الإمام الربّانيّ الفقيه الواعظ، القاضي، أخو سليمان، وعبد الله وعبد الملك. [ولد سنة 19هـ وتوفّي بالإسكندريّة سنة 103هـ.]:

ـ **روى عن**: زيد بن ثابت، وزيد بن خالد الجُهَنِيّ، وأبي سعيد الخدريّ، وأبي هريرة. .

ـ **روى عنه**: أبو سلمة بن عبد الرحمن، وَزيد بن أسلم، وَهلال بن أبي ميمونة. .

ـ وثّقه ابن معين، والنسائيّ، وابن سعد، وأبو زرعة الرازي.

حين قدم عَطَاء مِصْرَ، سأله عبد الله بن عمرو: ما أقدمك ؟ فقال: أردت

---

(1) التعديل والتجريح 3/1225 عدد1487 ـ تهذيب التهذيب 11/268 عدد 539.

(2) التعديل 3/1179 عدد1413 ـ تهذيب التهذيب 11/ 82 عدد 133. تذكرة الحفّاظ1/90 عدد 80.

الغزوَ في البحر.[1]

6 ـ (ع) **أبو سعيد الخدريّ: سعد بن مالك بن سنان. [ت 74هـ]:**

ـ **روى عن** النبيّ ﷺ الكثير الطيّب، وعن أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ، وزيد بن ثابت..

ـ **روى عنه:** عبد الله بن عبّاس، وابنُ عُمَرَ، وجابِرُ بْنُ عبد الله، وأبوالطفيل، وسعيد بن المسيّب، وعطاء بن يسار، ومجاهد وعبد الله بن عبد الله بن عتبة.

استُصْغِرَ في أُحُد، واستُشْهِد أبوه بها، وغزا ما بعدها. وهو من المكثرين من الرواية، كان من أفقه أحداث الصحابة. قال: بايعتُ النبيّ ﷺ مع جَمْع من الصحابة على ألا تأخذنا في الله لومةُ لائم. وممّا أُثِرَ عنه قولُه رضي الله عنه: "لا يمنعنّ أحدَكم مخافةُ الناس أن يتكلّم بالحقّ إذا رآه أو علِمَه"[2].

متابعات الحديث:

لحديث أبي سعيد الخدريّ متابعات عديدة وهذا جانب منها:

1 ـ فقد تابع كلّ من أبي داود الطيالسيّ، وإسماعيل بن عُلَيَّةَ، وإسماعيل بن إبراهيم، معاذَ بن فضالة في رواية الحديث معه عن هشام الدستوائيّ به:

أ ـ أمّا متابعة أبي داود الطيالسيّ فقد رواها أبو داود نفسه في مسنده، قال: حدّثنا هشام الدستوائيّ به بلفظه: 1/290 حديث 2180.

ب ـ أمّا متابعة إسماعيل بن عليّة، فقد رواها كلّ من:

ـ النسائيّ في السنن الصغرى[المجتبى] 5/90 حديث 2581.

ـ والبيهقيّ في السنن الكبرى 2/48 حديث 2362.

---

(1) التعديل 3/1004 عدد 1149 ـ تهذيب التهذيب 7/217 عدد 399.

(2) انظر ترجمته في: طبقات ابن سعد 3/420 ـ الاستيعاب 2/27 ـ الإصابة 2/37 عدد 3204.

قال كلّ منهما: حدّثنا زياد بن أيوب دلهويه: حدّثنا إسماعيل بن عليّة به بلفظه.

ج ـ وأمّا متابعة إسماعيل بن إبراهيم فرواها مسلم في الجامع قال: حدّثني عليُّ بْنُ حَجَرٍ: أخبرنا إسماعيل بن إبراهيم، عن هشام الدستوائيّ به نحوه 2/728 حديث 1052.

2 ـ وتابع فُلَيْحُ بْنُ سُليمانَ بْنِ أبي المغيرة، يحيى بن أبي كثير في رواية الحديث معه عن هلال بن أبي ميمونة به نحوه، رواها البخاريّ في الجامع قال: حدّثنا فضل بن سنان: حدّثنا فُلَيْح: حدّثنا هلال بن أبي ميمونة به نحوه[1].

3 ـ وتابع زيدُ بْنُ أسلم، هلالَ بْنَ أبي ميمونة في رواية الحديث معه عن عطاء بن يسار به نحوه:

أ ـ رواها البخاريّ في الجامع قال: حدّثنا إسماعيلُ بْنُ أَبِي أُوَيْسٍ: حدّثني مالك عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار به نحوه[2].

ب ـ ورواها مسلم في الجامع قال: حدّثني أبو طاهر: أخبرنا عبد الله بن وهب: أخبرني مالك بن أنس عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار به، نحوه[3].

4 ـ وتابع عياض بن عبد الله بن سعد، عطاء بن يسار في رواية الحديث معه عن أبي سعيد الخدريّ. رواها مسلم في الجامع قال: حدّثنا يحيى بن يحيى وقتيبة ابن سعيد: حدّثنا الليث بن سعد عن سعيد بن أبي سعيد المقبريّ عن عياض ابن عبد الله بن سعد أنه سمع أبا سعيد الخدريّ به نحوه[4].

شرح مفردات الحديث:

إنّ ممّا: إنّ: حرف توكيد ونصب. **ممّا**: مؤلّفة من حرفين:

---

(1) كتاب الجهاد ـ باب فضل النفقة متن فتح الباري 6/57 حديث 2842.
(2) كتاب الرقاق ـ باب ما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها. متن فتح الباري 11/248 حديث 6427.
(3) 2/728 حديث 1052.
(4) 2/727 حديث 1052.

- **من**: حرف جرّ، ظاهر معناه التبعيض، إلا أنّه قد يكون بمعنى رُبَّ التي من معانيها التكثير، ونرجّح أنّ معنى "مِنْ "هنا التكثير فيصبح المعنى: إنّ أكثر ما أخافُهُ عليكم. وهذا يتساوق مع رواية أخرى بصيغة: "إنّ أكثر ما أخاف عليكم من بعدي ".

- **ومــا**: اسم موصول مجرور بمن، والجار والمجرور " ممّا " في محلّ رفع خبر إنّ مقدّم.

أخاف: فعل مضارع مرفوع لتجرّده من الناصب والجْازم، والفاعل ضمير مستتر تقديره " أنا " يعود على الرسول ﷺ، والجملة المؤلّفة من الفعل والفاعل صلة اسم الموصول " ما " ، لا محلّ له من الإعراب.

عليكم: جار ومجرور متعلّق بأخاف.

مِنْ بَعْدِي: من: حرف جرّ. **بعدي**: ظرف زمان، بعد مضاف، والياء مضاف إليه. وبعدي متعلّقة بالفعل " أخاف "، وقد وضّحت العبارةُ الغرضَ وهو تحذير الرسول المسلمين من المال بعد وفاته، وفي هذا إخبار بالغيب وما سيكون، وقد كان، حيث فتح الله على المسلمين خزائنَ الدنيا، وتدفّقتْ عليهم الأموالُ من كلّ صوب.

ما يُفتح عليكم: ما: اسم موصول في محلّ نصب اسم إنّ مؤخّر لكون الخبر شبه جملة وهو الجار والمجرور " ممّا ". وجملة يفتح عليكم صلة اسم الموصول "ما".

من: حرف جرّ، بيانيّة فهي تبيّن ما يفتح وتفسّره.

زَهرة الدنيا: حُسْنها وبَهْجَتها، مأخوذة من زهرة الشجرة وهو نَوْرُهَا، والمراد ما في الدنيا من أنواع المتاع والعين والثياب والزروع وغيرها ممّا يفتخر الناس بحسنه مع قلّة بقائه.

وزينتها: و: الواو حرف عطف، عطف تفسير. و **الزينة** هي الجمال والحسن والتزويق، أو ما يُتَزَيَّنُ به في الدنيا من مالٍ وثيابٍ وأثاثٍ وجاهٍ..

فقال رجل: هكذا ورد الاسم مبهما ولم يتمكّن الشرّاحُ من بيانه. والفاء حرف عطف تفيد السببيّة لأنّ ما قبلها وهو قول النبي "ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا" كان سببا في سؤال الرجل.

أَوَ يأتي الخيرُ بالشرّ: **أ**: حرف استفهام استرشادي لا إنكاريّ. و: حرف عطف على شيء محذوف تَقْدِيرُهُ: " أتنقلب النعمةُ " ؟! وتصبح العبارة: أَوَ تنقلب النعمة ويأتي الخير بالشرّ ؟، لأنّ زَهْرَةَ الدنيا نعمة من الله فهل تَصِيرُ هذه النعمةُ نِقْمَةً؟. **يأتي**: فعل مضارع معطوف على الفعل المضارع المقدّر " تنقلب ". **الخير**: ما يُرْغَبُ فيه وهو هنا المال الكثير، ويؤيّده قول الله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ [100 العاديات: 8] وقوله: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [1البقرة: 180]. **بالشرّ**: جار ومجرور متعلّق بالفعل يأتي. والشرّ نقيض الخير وهو اسم جامع للرذائل والخطايا والمصائب، وإذا كان الخيرُ ما يُرْغَبُ فيه، فإنّ الشرّ ما يُرْغَبُ عنه.

وأَسَاسُ الشبهةِ هو أنّ المال خير ونعمة، نعم المالُ الصالحُ للرجل الصالح، فكيف ينجرّ عنه الشرُّ ؟

فسكت النبيّ: أي فصمت، انتظارًا للوحي، والنبيّ ﷺ كلّما سئل عن أمر ليس عنده جواب عنه لم يُجِبْ حتى ينزِلَ عليه الوحْيُ. والفاء حرف عطف يفيد السببيّة.

ما شأنك ؟: ما استفهاميّة، وهو استفهام إنكاريّ، ينكرون على الرجل سؤالَهُ النبيَّ ﷺ، ظنّا منهم أنّه عليه الصلاة والسلام غَضِبَ عليه لسكوته، ولكن لم يلبثوا أن انجلى الإشكالُ، وعرفوا أنّ سكوته إنّما سببه نزولُ الوحي عليه لا غضبه على الرجل.

فرأينا أنّه يُنزّلُ عليه: فهِموا أنّ الوحي ينزل عليه بالقرينة، إذ كلّما نزل عليه الوحي بدت عليه بعض أماراته:

أ ـ كثقل بدنه الشريف ﷺ.

ب ـ وما يُلِمُّ به من إغفاءةٍ قصيرةٍ.

ج ـ وتَفَصُّدِ جبينه عرقًا . .

الرُّحَضَاء: [بضمّ الراء وفتح الحاء والضاد]: وفي رواية: "العرق "، وهي العرق الكثير، وقيل عرق الحُمّى، وأصل الرَّحْضِ [بفتح الراء وسكون الحاء] الغسل، وقد فسّر أبو سليمان الخطّابيّ " الرحضاء " بالعرق الذي يرضَحُ الجلد لكثرته، أي يغسله.

أين السائل: **أين**: اسم استفهام منصوب على الظرفيّة متعلّقة بمحذوف خبر مقدّم تقديره "**موجود**" مثلا، و "**السائلُ**" مبتدأ مؤخّر. والرسول ﷺ سأل عن السائل رغم أنّه في المجلس، وهو معروف، ولم يجب عن سؤاله، لإرضائه وتنبيهه وإعلاء شأنه، لأنّه كان سببا في نزول تلك النعمة العظيمة وهي الجواب عن تلك المسألة الدقيقة التي أثارها السائل وهي قوله: "أو يأتي الخير بالشرّ؟"

وكأنّه حمِدَهُ: كأنّ حرف مركّب من الكاف وأنّ، ولئن كان أشهر معانيه التشبيه إلا أنّه هنا بمعنى الظنّ لأنّ خبره ليس اسما جامدا وإنّما هو جملة فعليّة "حمده".

وقد ذهب الصحابةُ إلى الظنّ أنّ الرسول حَمِدَهُ أَخْذًا من قرينة الحال:

ـ وهي أنّ النبيّ سأل عنه سؤالَ راضٍ عنه.

ـ ثمّ إنّ سؤاله كان سببا في نزول الوحي بالجواب عنه، وإلا فإنّ الرسولَ لم يصرّح بهذا الحمد.

والحاصل أنّ الحاضرين لامُوهُ أوّلا حيث رأوا سكوتَ النبيّ ﷺ فظنّوا أنّه أغضبه، ثمّ حمِدُوه آخرًا لَمَّا رأوا أنّ مسألته كانت سببا في الاستفادة ممّا قاله النبيّ ﷺ جوابا عن سُؤاله.

إنّه لا يأتي الخيرُ بالشرّ: الرسول ﷺ أجاب جوابا مجملا لتسكين قلوب أصحابه وإزالة شكوكهم، ثمّ أخذ بعد ذلك يفصّل ويوضّح المجمل بضرب مثلين من واقع حياة الناس المَعِيش:

أحدهما: للمُفرط في جمع الدنيا المانع إخراجَ حُقُوقِهَا.

والثاني: للمقتصد في جمعها المؤدِّي حقّها.

والرسولﷺ يريد أن يبيّن بقوله: " لا يأتي الخير بالشرّ." أنّ كلّ شيء قضى الله أن يكون خيرا فلا يكون شرّا وبالعكس، ولكن يُخْشَى على من رُزِقَ الخيرَ أن يعرض له في تصرّفه فيه ما يجلب له الشرَّ، كأن يُسْرِفَ في إنفاقه فيما لم يشرع، أو يبخل به عمّن يستحقّه.

وإنّ ممّا يُنْبِتُ الربيعُ: ممّا كالأولى مؤلّفة من حرف الجر "من "و"ما " الموصولة المجرورة بمن، والجار والمجرور في محلّ رفع خبر إنّ مقدّم. و حرف الجرّ "من" يفيد التكثير لا التبعيض، بدليل ما جاء في رواية أخرى: "كلّ ما أنبت".

الربيع: مفرد أربِعَاءٍ بكسر الباء الموحّدة، وهو الجدول، والربيع كذلك هو رابع فصول السنة، وهو فصل الإنبات والخصب. والربيع هنا كناية عن المياه والأمطار. وإسناد الإنبات للربيع من المجاز العقلي لأنّ العقل هو الذي يرشد إلى حقيقة المُنْبِتِ وهو الله تعالى.

يقتل أو يُلِمُّ: في الأصل: "ما يقتل" حذفت "ما" اسم موصول، في محلّ نصب اسم إنّ مقدّم يؤيّده ما جاء في رواية أخرى: **ما يقتل حَبَطًا أو يلمّ**. والجملة: "يقتل أو يلمّ" صلة لاسم الموصول المحذوف "ما". يلمّ: بضمّ أوّله وكسر اللام وتشديد الميم مضارع ألمّ، أي يقرب من القتل والهلاك. أمّا قوله "حبطا" بفتح المهملة والموحّدة فهو انتفاخ البطن من كثرة الأكل، يقال حبطت الدابّة تحبط حبطا إذا أصابت مرعى طيّبا فأمعنت في الأكل حتّى ينتفخ بطنها فتموت بَشَمًا.

إلا: بالتشديد على الاستثناء، وروي بفتح الهمزة وتخفيف اللام " ألا " على الاستفتاح.

آكلةَ: مستثنى منصوب، مضاف والخضراء مضاف إليه.

الخضراء: كذا وردت في رواية أبي محمد الحمويّ السرخسيِّ [ت381هـ]، بزيادة الألف " الخضراء "، وفي رواية أخرى وردت بدونها: "**الخضر**"، والخضر واحدته خَضِرَة بفتح الخاء وكسر الضاد المعجمة وهو ضرب من حرار العشب تستلذّ الماشيةُ أَكْلَهُ فتستكثر منه.

امتدّت خاصرتاها: الخاصرتان جانبا البطن من الحيوان، مفردها خاصرة، وامتدت بمعنى امتلأت كما جاء ذلك في رواية أخرى، والخاصرة إذا امتلأت امتدّت.

استقبلت عينَ الشمس: وفي رواية أخرى "**اجترّت**" بالجيم أي استرجعت ما أكلته، وأدخلته في كرشها من العلف، فأعادت مضغه. ثمّ هي تستقبل الشمس لتحمَى بها فيسهُلَ خروجُ ما في بطنها من رجيع، إذ أكثر ما تحبط الماشية إذا انحبس رجيعها في بطنها.

فثلطت: سلحت سلحا رقيقا، وألقت ما في بطنها من رجيع من غير مشقّة لاسترخاء بطنها، فيبقى نفعها ويخرج فضولها، ولا تتأذّى به.

إنّ هذا المال خضِرة حُلوة: **المال** يذكّر ويؤنّث ويُجمع على أموال: ما يملكه الإنسان من جميع الأشياء، من ذهب وفضّة وثياب وأثاث ودور ومزارع ومواش... **خَضِرَة** ليست صفة للمال وإنّما تشبيه للمال بالخضرة وهي حِرَار العشب الذي تستمرئه الماشية، فكأنّه قال: المال كالبقلة الخضراء الحُلوة، والعرب تسمّي كلّ شيء مشرق ناضر أخضر. والمال من زينة الحياة الدنيا فهو حسنها وجمالها وإشراقتها فهو "**خضرة**"، قال تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [18 الكهف 46].

فنعم صاحبُ المسلم: **نعم** فعل ماض للمدح، **صاحب**: فاعل نعم مرفوع، مضاف، **والمسلم** مضاف إليه. والجملة كالتذييل للكلام المتقدّم، وفيه حذف تقديره: " إنْ عمل فيه بالحقّ " بأن جعله في سبيل الله واليتامى والمساكين وابن السبيل، عندها يصبح نعم الصاحبُ والرفيقُ للمسلم ونعم المعونة. وفيه إشارة إلى عكسه وهو: " بئس الرفيقُ هو لمن أخذه من غير وجهه الشرعيّ وعمِل فيه بغير حقّه.

ما أعطى منه اليتيم والمسكين وابن السبيل: ما: اسم موصول، خبر مبتدإ محذوف تقديره: "هو"، وجاء في رواية أخرى: " فجعله في سبيل الله واليتامى والمساكين وابن السبيل. **اليتيم**: يجمع على يتامى: وهو الصبيّ الذي تُوُفِّيَ عنه أبوه، أو انقطع عن أبيه قبل البلوغ. **المسكين**: هو الذي لا شيء له وهو أبلغ من الفقير. **ابن السبيل**: المسافر البعيد عن منزله المُنْقَطَعُ به، نُسِبَ إلى السبيل وهو الطريق لاستعماله له(1).

أو كما قال النبيّ ﷺ: الشكّ من يحيى بن أبي كثير.

وإنّه من يأخذه بغير حقّه كالذي يأكلُ ولا يشبعُ: أي من يصاب بالنهم في طلب المال فيسعى إلى تحصيله بكلّ الطرق بما فيها المحرّمة، يكون كالمصاب بالجوع الوهميّ كلّما أكل ازداد جوعًا و هاجت رغبته في طلب المزيد.

ويكون شهيدًا عليه يوم القيامة: فهو تذييل وخاتمة، ويحتمل أن يشهد المال على صاحبه: - حقيقة بأن ينطقه الله تعالى.

- ويحتمل أن يكون مجازا أي أن يكون المال يوم القيامة حُجّةً على صاحبه فيشهد عليه: - بحرصه.
- وإسرافه.
- وإنفاقه فيما لا يُرضي الله.

ضرب الرسول ﷺ في هذا الحديث مثلين هما:

1 - رجل جمع المال بطرق الحلال والحرام وأصبح هَمُّهُ الوحيد كنزه والإكثار منه، أو صرفه في ملاذِّهِ وطغيانه، دون أن يؤدّي منه واجبا ولا مندوبا ودون أن يصرف منه شيئا في وجه من وجوه الخير والبرّ، فشبّهه الرسول بحيوان وقع على أعشاب طريّة لذيذة فاستكثر منها حتّى انتفخ بطنه، ولم يتوقّف عن الأكل، ولم يتصرّف بما يحمي به نفسه من البشم، بأن يستقبل الشمسَ ويجترّ ما رعى ويرتع حتى يتخلّص مما تكدّس في بطنه من الرجيع. . فيموت.

---

(1) انظر مفردات ألفاظ القرآن - الراغب الإصفهانيّ 889، 417، 395،

والجامع بين هذا الرجلِ المشبَّهِ والحيوانِ المشبّهِ بِهِ هو الهلاكُ لِجَامِعِ المال الطاغي، والموت لِلْحَيَوَانِ المبشوم.

و **الغرض من هذا المثل** هو التنفير من هذا السلوك غَيْرِ الرشيد المُودِي بصاحبه المهالكَ.

2 ـ رجل جمع المال وأكثر منه من وجوهِ الحلالِ، ولم يَتَوَانَ عن أداء واجب ولا مندوب، ثمّ هو لا يدّخِرُ وُسْعًا في الصرف منه في وجوه البرّ والخير وفي سبيل الله، ولم يزده ذلك إلا بركةً فبقيت له خلاصة مصفّاة، شبّهه الرسولُ بشاةٍ ترعى عشبا طريّا طيّبا حتّى إذا امتلأتْ بَطْنُهَا أحسنت التصرّفَ فيما رعت وأصابت من الخير، فتخلّصتْ ممّا قد يَضُرُّهَا وبقي لها ما زادها قوّةً وحيويّةً ونشاطًا.

والجامع بينهما هو الاستفادة ممّا جمع كلّ منهما من الخير، وما نالاه من الصحّة والقوّة والعافية.

و **الغرض من هذا المثل** هو الترغيب فيه للنسج على منواله.

ما يستفاد من الحديث:

1 ـ التحذيرُ من النَّهَمِ في جمع المال واكتسابه من غير حلّه و عدم إخراج حقّ الله فيه ومنعه عن مستحقّيه من الفقراء والمساكين واليتامى وابن السبيل... وإنّ كلّ مال حرام غَيْرِ مُطَهّرٍ بالصدقة والزكاة مآلُهُ المَحْقُ كما يمحق الربا.

2 ـ التحذير من التنافس في جمع الدنيا والتباهي بزينتها.

3 ـ الحضّ على اكتساب المال بالطرق الشرعية وتطهيره بالصدقة والزكاة وإعطاء المحتاجين أصحاب الحقوق كالفقراء والمساكين واليتامى..

4 ـ يجوز للإمام الجلوسُ على المنبر عند الموعظة في غير خطبة الجمعة ونحوها وجلوس الناس حوله.

5 ـ ورود ما يُستهجن من الألفاظ عند ضرب الأمثال المعبِّرة والحِكَم البالغة يُغتفر لما يترتّب عن ذكرها من المعاني الرفيعة والنافعة.

6 ـ الرسول ﷺ عندما يُسأل عن أمر ليس عنده جواب له، يسكت ولا يجيب حتى ينزل عليه الوحي بالجواب، الأمر الذي يدلّ على أنّ السنّة وحي من الله تعالى.

7 ـ من دلائِلِ صدقِ النبي ﷺ ما أخبر به من الأحداث الغيبيّة المستقبليّة وقد وقعت كما أخبر عليه الصلاة والسلام، وهذا دليل آخر على أنّ السنّة وحي من الله عزّ وجلّ.

8 ـ عدّ ابنُ دُرَيْد[1] هذا الحديثَ من الكلام المفرد الوجيز الذي لم يُسبَق الرسولُ ﷺ إلى معناه، وكلّ من وقع له منه شيء في كلامه، فإنّما أخذه منه عليه الصلاة والسلام[2].

* * *

الحديث الخامس والعشرون:

قال الإمام البخاريّ ـ رحمه الله ـ: حدّثنا عبد الله بْنُ يُوسُفَ: حدّثنا الليثُ: حدّثنا سعيد المَقْبُرِيُّ عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبيّ ﷺ: **"ما مِنَ الأنبياءِ نبيّ إلا أُعْطِيَ من الآيات ما مِثْلُهُ آمَنَ عليه البشرُ، وإنّما كان الذي أُوتِيتُهُ وَحْيًا أَوْحَاهُ الله إلَيَّ، فأرجو أن أكونَ أكثرَهم تابِعًا يوم القيامَةِ"**[3].

المعنى الإجماليّ للحديث:

يبيّن النبيّ ﷺ في هذا الحديثِ أنّ كلّ نبيّ مُرْسَلٍ إلى الناس يُجْرِي الله على يديه معجزةً ماديّةً تؤيّدُ دعواهُ ويَتَحَدّاهُمْ بها، فيؤمنون بنبوّته ويُصدّقونه، أمّا معجزةُ محمد ﷺ فَهْيَ وحي من الله، وهي معجزة خالدة، دائمةُ التحدّي، متجدّدةُ

---

(1) أبو بكر محمد بن الحسن بن دُريد أحد أعلام اللغة صاحب كتاب الجمهرة وكتاب اشتقاق الأسماء ت 321هـ تكلّموا فيه لخلاعته [ميزان الاعتدال 6/115 ـ لسان الميزان 5/132].

(2) وانظر شرح الحديث في فتح الباري 3/ 383 ـ 384، 6/57 ـ 58، 11/249 ـ 253.

(3) الجامع الصحيح ـ كتاب فضائل القرآن ـ باب كيف نزل الوحي، وأوّل ما نزل ـ متن فتح الباري 8/619 حديث 4981.

العجائبِ والأسرارِ، فيرجو ـ عليه الصلاة والسلام ـ جرّاءَ ذلك، أن يكون أكثرَ الأنبياءِ تابعًا يوم القيامة.

التعريف بإيجاز برجال السند:

1 ـ **عبد الله بن يوسف**: أبو محمد التنّيسيّ تقدّمت ترجمته في الحديث 18

2 ـ **الليث**: الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهميّ تقدّمت ترجمته في الحديث 11

3 ـ **سعيد المقبريّ**: سعيد بن أبي سعيد المقبريّ تقدّمت ترجمته في الحديث 11

4 ـ **أبوه**: كيسان أبو سعيد المقبريّ، تقدّمت ترجمته في الحديث 18

5 ـ **أبو هريرة**: الدوسيّ اليمانيّ تقدّمت ترجمته في الحديث 4.

متابعات الحديث:

تابع كلّ من: أ ـ عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة دينار مولى آل المنكدر. ب ـ وقتيبة بن سعيد أبو رجاء البَغْلانيّ، عبدَ الله بْنَ يُوسُفَ في رواية الحديث عن الليث بن سعد به بلفظه تقريبا.

أ ـ **أمّا متابعةُ عبد العزيز بن عبد الله** فرواها البخاريُّ قال: حدّثنا عبدُ العزيز بْنُ عبد الله: حدّثنا الليثُ به[1].

ب ـ **أمّا متابعة قتيبة بن سعيد** فرواها كلّ من مسلم والبيهقيّ قال كلّ منهما: حدثنا قتيبة بن سعيد: حدّثنا الليث به[2].

شرح مفردات الحديث:

مـا: نافية تعمل عمل ليس.

---

(1) الجامع الصحيح ـ الاعتصام ـ باب قول النبيّ بعثت بجوامع الكلم، متن فتح الباري 261/13 حديث 7274.

(2) الجامع الصحيح ـ الإيمان ـ باب وجوب الإيمان برسالة محمد إلى جميع الناس، ونسخ الملل بملّته: 134/1 حديث 239 (152). السنن الكبرى 3/5 حديث 7977.

من الأنبياء: جار ومجرور في محلّ نصب خبر " ما " مقدّم.

نبيّ: اسم "ما" مؤخّر، مرفوع بالضمّة الظاهرة في آخره لأنّه مفرد. و **النبيّ** بغير همز أبلغ من النبيء بالهمز، قال بعضُ النحويّين: أصله الهمز فتُرِكَ هَمْزُهُ تسهيلا. وقيل الذي بالهمز من النبإ، والذي بغير همز من النَّبْوَة والنباوة أي الرفعة والارتفاع، ويُجْمَعُ النبيّ على أنبياء ونبيّين، وسُمّي نبيّا لرفعة قدره ومحلّه عن سائر الناس(1)، يقول تعالى: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [19مريم: 57]. والنبوّة نِعمة يَمُنّ الله بها على من يشاء من عباده، ولا يبلغها أحد بعلمه ولا كشفه، ولا يستحقّها بمواهبه.

ما الفرق بين النبيّ والرسول ؟:

النبيّ شرْعًا: من حصلت له النبوّةُ بأن يُعْلِمَهُ الله: "أنّي نبّأتُكَ، أو جعلتك نبيّا" فيصبح مخبِرًا عن الله بوحْيٍ يوحيه إليه تعالى. والنبوّةُ لا تَبْطُلُ بالموت ولا بالنوم، والغفلة.

الرسول: في **اللغة**: هو متحمِّل القول والرسالة، ويُطلق على المفرد والمثنّى، والجمع، قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [التوبة: من الآية128]، وقال: ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [26 الشعراء: 16]، وجمع الرسول رُسُل، ورُسُل الله تارة يُرَاد بهم الملائكةُ مثل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُواْ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ﴾ [هود: من الآية69]، وتارة يراد بهم الأنبياءُ مثل قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ [آل عمران: من الآية144].

و **في الشرع**: من يختارُهُ الله ليبلّغ عنه شرعَهُ ورسالتَهُ للناس، بِوَسَاطة الوحي.

وإذا كان الرسولُ مطالَبا بتبليغ رسالة ربّه فإنّ النبيّ غيرُ مطالَبٍ بذلك إذ قد ينزل عليه شرع لخاصّةِ نَفْسِهِ وأفراد أسرته، ولذلك قال العلماءُ إنّ كلّ رسول

(1) مفردات ألفاظ القرآن 790. وانظر فتح الباري: كتاب أحاديث الأنبياء 6/416.

نبيّ لأنّه مطالب بتطبيق شرع الله في خاصّة نفسه و بتبليغه إلى الناس وليس كلّ نبيّ رسولا. وعبارة النبيّ الواردة في نصّ الحديث يراد بها الرسول النبيّ، والحديث يدلّ على أنّه لا بدّ أن تكون له معجزة تقتضي إيمانَ من شاهدها بصدقه ولا يضرّه من أصرّ على المعاندة(1).

إلاّ: أداة حصر.

أُعْطِيَ: فعل ماض مَبْنيّ للمجهول، ونائب فاعله ضمير مستتر تقديره "هو" يعود على "نبيّ".

مِنَ الآيات: جار ومجرور في محلّ نصب مفعول أوّل. والآيات جَمْع آية وهي الدليل. وآيات الأنبياء وأدلّتهم على صدقهم هي المعجزات.

مـا: موصولة، في محلّ نصب مفعول ثان لأُعْطِيَ.

مِثْلُهُ: **مثل**: مبتدأ مرفوع، مضاف، و "ـه" ضمير الغائب المتصل في محلّ جرّ مضاف إليه. والمثل يطلق ويراد به عين الشيء، وما يساويه، والمعنى أنّ كلّ نبيّ أعطي آية أو أكثر من شأن من يشاهدها من البشر أن يؤمن به لأجلها.

آمَنَ عليه البشرُ: الجملة الفعليّة في محلّ رفع خبر المبتدإ "مثل".

وآمن: بالمدّ، وفتح الميم، من الإيمان، والتصديق. وجاء في رواية: "**أُومِنَ**" بضمّ الهمزة، وسكون الواو، وكسر الميم من الأمن، والأمان.

عليه: الجار والمجرور في محلّ نصب حال، بمعنى "مغلوبا عليه". وضمير الغائب المتّصل: "**ـه**" يعود على اسم الموصول "**ما**" في قوله: "ما مثله آمن عليه البشر".

على: بمعنى اللام: "آمن له"، أو بمعنى الباء: "آمن به".

والنكتة في التعبير بها، ما تضمّنته من معنى الغلبة، أي يؤمن بذلك مغلوبا عليه، بحيث لا يستطيع دَفْعَهُ عن نفسه، لكن قد يجحد، فيُعَانِدُ كما قال الله

(1) فتح الباري 8/622.

تعالى: ﴿ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾ [27 النمل: من الآية14].

وإنّما: للحصر.

كان الذي أوتيتُهُ: **الذي**: اسم موصول للمفرد المذكّر عاقلا كان أو غير عاقل، في محلّ رفع اسم كان. والجملة الفعليّة أوتيته صلة لا محلّ لها من الإعراب.

وَحْيا: خبر كان.

أوحاه الله إليّ: جملة فعليّة في محلّ نصب صفة لوحي.

ما الوحي: الوحي **لغة**: "أصل الوحي الإشارة السريعة، فقيل [للأمر السريع] أمر وحي"[1]. وهو أيضا "الإعلام في خفاء"[2]، إذ هو خاصّ بمن يُوَجَّهُ إليه هذا الإعلامُ بحيث يخفى عن غيره. وتكون هذه الإشارةُ السريعةُ، والإعلامُ الخفيُّ:

- بالكلام على سبيل الرمز والتعريض.
- وبالصوت المجرّد عن التركيب.
- وبالإشارة، والإيماء ببعض الجوارح.
- وبالكتابة.

فكلّ ما دللتَ به من كلامٍ أو كتابةٍ أو رسالةٍ أو إشارةٍ، فهو وحي. وعلى هذه المعاني حُمِلَ قَوْلُهُ تعالى عن زكريّاءَ: ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ [19 مريم 11]، فقيل في تفسير "أوحى لهم" رمز، وقيل أشار، وقيل كتب[3]. وقد يُطلق الوحيُ ويراد به المُوحَى به من باب إطلاق المصدر وإرادة اسم المفعول.

أمّا الوحي شرعا: فهو الإعلام بالشرع، أو هو كلام الله المنزّل على

---

(1) مفردات الراغب الإصفهانيّ: 858 [ط2 ـ 1418هـ/ 1997م].
(2) انظر فتح الباري 1/14.
(3) مفردات القرآن 858.

أنبيائه[1]، سواءً كان ذلك في اليقظة أو في المنام. فالله تعالى يُبَلِّغُ أنبياءه "ما يريد إبلاغه إليهم من الشرائع والأخبار بطريق خفيّ، بحيث يحصل عندهم علم ضروريّ قطعيّ بأنّ ذلك من عند الله جلّ شأنُهُ. . فهو أخصّ من المعنى اللغويّ باعتبار مصدره وهو الله سبحانه، وباعتبار المُوَجَّهِ إليهم وهم أنبياؤه الكرام"[2].

أقسام الوحي:

يقول الله تعالى: ﴿ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴾ [42 الشورى51] فأضرُبُ الوحي وأقسامُهُ حسبما دلّت عليه هذه الآيةُ الكريمةُ ثلاثة:

الضرب الأوّل: الوحـي: وهو الإيحاء والإلهام، والإلقاء في الرُّوعِ والنفث فيه، ويعبّر النبيّ ﷺ عن ذلك بقوله: " إنّ روح القدس نفث في رُوعِي ". فهو إلقاء المعنى في قلب النبيّ ﷺ مع العلم اليقينيّ بأنّ ذلك من الله عزّ وجلّ، وقد يكون هذا الإلهام:

أ ـ في اليقظة.

ب ـ **أو في المنام:** "ذلك أنّ أوّل ما يؤتى به الأنبياءُ في المنام، حتّى تهدأ قلوبُهُمْ، ثمّ ينزل الوحي بعد في اليقظة"، كما ذكر ذلك علقمة بن قيس صاحبُ عبد الله بن مسعود رضي الله عنه[3].

وروى البخاريُّ من حديثِ عائشةَ رضي الله عنها: "كان أوّل ما بدىء به رسول الله ﷺ [من الوحي] الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فَلَقِ الصبح"[4].

---

(1) انظر فتح الباري 1/14 ـ 15.
(2) الحديث والمحدّثون 11.
(3) فتح الباري 1/15.
(4) صحيح البخاريّ ـ التفسير ـ الحديث 4953.

الضرب الثانيّ: الكلام من وراء حجاب: أي أنّ الله يكلّم النبيّ فيسمعه دون معاينة:

ـ مثلما حصل لموسى عليه السلام في بَدْءِ رسالته بجبل الطور ﴿ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى * فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ * إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾ [20 طه: 10 ـ12]. وكما جاء ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ. ﴾ [7 الأعراف 143].

ـ وكما حصل لنبيّنا محمّد ﷺ ليلة المعراج فقد كلّمَهُ ربُّهُ وفرض الصلاة عليه وعلى أمّته وراجع عليه الصلاة والسلام ربَّه فيها على ما صرّحتْ به الأحاديثُ الصحيحة(1).

الضرب الثالث: الوحي بوَسَاطَةِ المَلَكِ رسولِ الوحي:

أي أنّ الله تعالى يُرْسِلُ ملَكاً ـ وملك الوحي هو جبريل عليه السلام، وجبريل كلمة عبريّة مؤلفة من مقطعين: "جبر" و "إيل" ومعناهما: "قوّة الله" ـ فيبلِّغ النبيَّ ﷺ ما يريدُ الله أن يبلّغه إليه، وهذا مصداق لقوله ﷺ: "كان الوحي يأتيني به جبريل فيلقيه عليّ كما يُلْقِي الرَّجُلُ على الرجل فذاك ينفلت منّي، ويأتيني في بيتي مثلَ صوتِ الجَرَسِ، حتى يخالط قلبي فذاك الذي لا ينفلت مني"(2)

مَلَكُ الوحي والصور التي يراه عليها الرسول ﷺ:

وهذا الملك تارةً يراه النبيُّ ﷺ فيكون رسولاً مُشاهَداً تُرى ذاتُهُ ويُسْمَعُ كلامُهُ، وتارة لا يراه:

1 ـ **ففي حالة رؤية النبي ﷺ ملك الوحي** وهو يلقي عليه الوحي:

أ ـ قد يراه على صورته الحقيقية التي خلقه الله عليها، وله ستمائة جناح، وهذا

---

(1) الحديث والمحدثون 12 ـ 13.

(2) فتح الباري 1/27.

نادر، فقد ثبت في صحيح مسلم من حديث عائشة مرفوعاً: "لم أرَه - يعني جبريل - على صورته التي خُلق عليها إلا مَرَّتَيْنِ"(1)، وحدّدت السيدةُ عائشةُ رضي الله عنها هاتين المرّتين بقولها: "مرّة عند سِدْرَةِ المنتهى، ومرّة عند أَجْيَاد". يقول النبي ﷺ: "جاورت في حِرَاء فلمّا قضيتُ جواري هبطت فاستبطنت الوادي، فَنُودِيتُ، فنظرتُ أمامي وخلفي وعن يميني وعن شِمَالِي، فإذا هو جالس على عرش بين السماء والأرض"(2)، وفي رواية "على كرسيّ بين السماء والأرض وقد سدّ الأفقَ".

ب - وقد يراه متمثّلاً في صورة بشرٍ في شكل أعرابيّ أو غيره، وكثيراً ما كان يتقمّص صورة دَحْيَةَ بْنِ خليفة الكلبيّ الصحابيّ الجليل الوسيم رضي الله عنه.

2 - و **في حالة عدم رؤية النبيّ ﷺ الملك** وهو يوحي إليه ويبلّغه كلام ربّه، فإنّه يسمع عند قدومه:

أ - دويّ كدويّ النحل، كما جاء ذلك في حديث عمر رضي الله عنه: "كان رسول الله ﷺ إذا نزل الوحيُ يُسْمَعُ عند وجهِهِ كدويّ النحل"(3).

ب - أو صلصلة شديدة كصلصلة الجرس: أي أنّه ﷺ يسمع حسيساً كصوت وقوع الحديد بعضه على بعض. جاء في حديث عائشة أمّ المؤمنين أنّ الحارث بن هشام المخزوميّ رضي الله عنه - شقيق أبي جهل وكان من فضلاء الصحابة رضي الله عنهم - سأل رسول الله ﷺ فقال "يا رسول الله! كيف يأتيك الوحي؟ فقال عليه الصلاة والسلام: أحياناً يأتيني مِثْلَ صَلْصَلَةِ الجرس، وهو أشدّه عليّ فَيَفْصِمُ عنّي وقد وعيْتُ عنه ما قال،

---

(1) فتح الباري 1/32.

(2) البخاري - التفسير - باب وربّك فكبّر - متن فتح الباري 8/547 الحديث رقم 4924 و8/586 الحديث رقم 4925 - وانظر بدء الوحي متن فتح الباري 1/37 الحديث رقم 4.

(3) الحديث والمحدثون 13.

وأحياناً يتمثّل لي المَلَكُ رجلاً فيكلّمني فأعي ما يقولُ" [1].

ودويّ النحل لا يُعارِضُ صلصلةَ الجرسِ لأنّ سماعَ الدويّ بالنسبةِ إلى الحاضرين السامعين ـ كما في حديث عُمَرَ الآنفِ ـ أمّا الصلصلة فبالنسبة إلى مقامِ النبيِّ ﷺ الذي شبّه صوتَ الوحْيِ بصلصلة الجرس.

ثم إنّ كلاً من الدويّ والصلصة إنّما يَعْلَمُ كُنْهَهُمَا ومصدرهما الله تعالى.

آثار نزول الوحي على الرسول ﷺ:

إنّ آثار نزول الوحي على الرسول ﷺ تبدو واضحة، يلحظها كلّ من يكون معه حال نزول الوحي عليه، ذلك أنّ حالةً روحيّةً غَيْرَ عاديةٍ تعتريه لا يدرك الحاضرون إلا أَمَارَاتِهَا الظاهرةَ كثقل بدنه الشريف والإغفاءة التي تلمّ به وتفصّد جبينه عرقاً[2] ذلك أنّ النبي ﷺ كان يعالج من التنزيل شدّة، كما جاء ذلك في حديث ابن عباس[3] وقد علّل بعضُهُمْ هذه الشدّةَ بقوله: "ليستجمع قلبَهُ فيكونَ أوعى لما سمع" [4] والحقيقة هي أنّ الوحي شديدُ الوقع ثقيل يقول تعالى: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [59 ـ الحشر: 21]، فإذا تصدّع الجبلُ فكيف ببدن ضعيف ؟! تقول السيّدة عائشة رضي الله عنها عن الرسول وما يلقاه من الشدّة عند نزول الوحي: "ولقد رأيتُهُ ينزل عليه الوحيُ في اليوم الشديدِ البردِ، فيَفْصِمُ عنه وإنّ جبينه ليتفصّدُ عرقاً" [5].

---

(1) صحيح البخاري ـ كتاب بدء الوحي ـ الباب الثاني ـ الحديث رقم 2 متن فتح الباري 1/25ـ26.

(2) الحديث والمحدثون 13.

(3) انظر فتح الباري 1/28.

(4) انظر فتح الباري 1/28.

(5) البخاري ـ كتاب بدء الوحي ـ الباب 2 ـ الحديث عدد 2 ـ متن فتح الباري 1/25 ـ 26.

وحي الأنبياء لا تبايُنَ فيه:

والجدير بالذكر هو أنّ وحي الأنبياء واحد فلا اختلاف بين وحي هذا النبيّ ووحي هذا النبيّ، يقول تعالى: ﴿ ۞ إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا﴾ [4 النساء: 163].

ما المراد بقوله ﷺ: "إنّما كان الذي أوتيتُهُ وحيا أوحاه الله إليّ"؟

يريد بقوله هذا عليه الصلاة والسلام أنّ معجزته التي تحدّى بها الإنسَ والجنَّ إنّما هي الوحيُ الذي أنزل عليه وهو القرآنُ، لِمَا اشتمل عليه من الإعجاز الواضح. وليس المرادُ حصر معجزاته فيه، ولا أنّه لم يُؤْتَ من المعجزات الماديّة الأخرى، ما أوتي مَنْ تَقَدَّمَهُ من الأنبياء. ثمّ إنّ معجزاتِ الأنبياءِ انقرضتْ بانقراضِ أعصارهم فلم يُشَاهِدْهَا إلاّ من حضرها، ومعجزةُ القرآن مستمرّة إلى يوم القيامة، يتحدّى الخلق جميعا، ويخرق العادة في أسلوبه وبلاغته، وإخباره بالمُغَيَّبَات، فلا يمرّ عصر من الأعصار إلا ويظهر فيه شيء ممّا أخبر أنّه سيكون، يؤيّد صحّة دعواه.

والقرآنُ هو المعجزةُ العظمى التي اختصّ بها دون غَيْرِهِ، لأنّ كلّ نبيّ أُعْطِيَ معجزة خاصّة به تحدّى بها قومَهُ، لم يُعْطَها بعينها غيرُهُ.

وكانت معجزة كلّ نبيّ تقع مناسبة لحال قومه:

- فلمّا كان **السحرُ** فاشيا في عصر فرعون، جاءه موسى **بالعصا**، على صورة ما يصنع السحرة، فتلقّفت ما صنعوا، ولم يقع ذلك بعينه لغيره.

- ولمّا كان **الطبّ** في عهد عيسى عليه السلام في غاية الظهور جاء عيسى قومَهُ بمعجزة من جنس الطبّ فأبرأ الأبرص، والأكمه، وأحيى الموتى.. ممّا لم تصل إليه قدرة أطبّاء عصره.

- ولمّا كان العربُ الذين بُعِثَ فيهم سيّدُ المرسلين ﷺ في غاية من البلاغة، جاءهم بالقرآن الذي تحدّاهم أن يأتوا بسورة منه، فعجزوا.

فأرجو: الفاء: حرف عطف للسببيّة، وهي التي يكون ما قبلها سببا فيما بعدها، بناءً على أنّ معجزته كانت الوحي فكان هذا الرجاء. وتسمّى فاء التفريع.

أكثرهم: أكثر: خبر كان، أمَّا ضمير الغائبين المتصل "هم" فمضاف إليه يعود على الأنبياء.

تابِعًا: تمييز، ومعناها: مؤمنا بالإسلام.

فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة:

رتّب الرسول ﷺ هذا الكلام على ما تتميّز به معجزةُ القرآن من الديمومة والاستمراريّةِ وكثرة الفائدة وعموم النفع، لاشتماله على الدعوة، والحُجَّةِ والإخبار بما سيكون، فعمّ نفْعُهُ مَنْ حَضَرَ ومن غاب، ومن وُجِدَ ومن سيوجد، فَحَسُنَ تَرْتِيبُ هذه الرجْوَى على كلّ هذه المزايا وغيرها.

ما دواعي هذا الرجاءِ من رسول الله ؟:

لمّا كانت معجزاتُ الأنبياء السابقين معجزاتٍ حسّيّةً تشاهَدُ بالأبصار كناقة صالح، وعصا موسى، وكانت معجزةُ القرآنِ تشاهَدُ بالبصيرة، كان من يتبع محمّدا أكثرَ لأنّ الذي يشاهَدُ بعين الرأس ينقرض بانقراض مشاهده بينما الذي يشاهد بعين العقل باقٍ يشاهده كلُّ من جاء بعد الأوّل على الدوام حتّى قيام الساعة.

فيم يتمثّل إعجاز القرآن ؟:

إن إعجاز القرآن العزيز لا تحيط به القدراتُ البشريّةُ، ولكن مع ذلك فقد حاول العلماءُ ذِكْرَ بعض ملامحه، التي منها:

1 ـ حسن تأليفه والتئامُ كَلِمِهِ، مع الإيجاز والبلاغة.

2 ـ صورة سياقه وأسلوبه المخالف لأساليب كلام أهل البلاغة من العرب نظمًا ونثرًا حتّى حارت فيه عقولُهُمْ، ولم يهتدُوا إلى الإتيانِ بشيْءٍ مثله، مع توفّر دواعيهم على تحصيل ذلك، وتقريعه لهم على العجز عنه.

3 ـ ما اشتمل عليه من الإخبار عمّا مضى من أحوال الأمم السالفة، والشرائع

الدائرة، ممّا كان لا يَعْلَمُ منه بعضَهُ إلا النادرُ من علماء أهل الكتاب.

4 ـ الإخبار بما سيأتي من الكوائن التي وقع بعضُها في العصر النبويّ، وبعضها بعده.

5 ـ وكتعجيز قوم في قضايا أنّهم لا يفعلونها فعجزوا عنها مع توفّر دواعيهم على تكذيبه، كتحدّيه لليهود بأن يتمنّوا الموت: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓا۟ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [62 الجمعة: 6]. وتحدّيه للمجادلين في حقيقة عيسى من نصارى نجران بالمُبَاهَلَةِ: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [3 آل عمران: 61].

6 ـ الروعة التي تحصُلُ لسامعه، وأنّ قارئه لا يَمَلّ من تَرْدَادِهِ، وسامِعَهُ لا يَمُجُّهُ، ولا يزداد بكثرة التكرار إلا طراوة ولذاذة.

7 ـ إنّه آية باقية لا تُعْدَمُ ما بقيت الدنيا.

8 ـ جَمْعُهُ لعلومٍ ومعارفَ لا تنقضي عجائبُها ولا تنتهي فوائدُها[1].

هل المراد بالوحي القرآن وحده؟:

إنّ الوحي الذي أنزله الله على الرسول محمّدٍ لا يقتصر على القرآن، وإنّما يتجاوزه إلى السنّة المشرّفة، وقد سبق أن رأينا حديث المقدام بن معدي كرب مرفوعا: " أوتيت الكتابَ ومِثْلَهُ معه " أي ومثل الكتاب وهو السنّة، وهي مثليّة يُرَادُ بها النوع أي كلّ من القرآن والسنّة وحي، و **الحكم** أي أنّ كلاّ من القرآن والسنة واجبُ الاتباعِ والتطبيقِ.

ما الدليل على أنّ السنّة وحي ؟:

لقد تضافرت الأدلّةُ على أنَّ السنّةَ وحي:

أ ـ من القرآن، ب ـ والسنّة، ج ـ وما تضمّنته من الأخبار الغيبيّة التي

---

(1) فتح الباري 8/624، شرح الحديث 4981 [ملخّصا من كلام القاضي عياض].

تحقّقت، د ـ ومن الإعجاز العلميّ الذي كشف عنه العلماءُ المتخصّصون:

أ ـ من هذه الآيات قوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾[3 آل عمران: من الآية164]، وأغلب العلماء وفي مقدّمتهم الإمام الشافعيّ على أنّ الحكمة الواردة في الآية، يراد بها " السنّة "(1).

ب ـ ومن السنّة قوله: "إنّ الروح الأمين نفث في رُوعِي أنّه لن تموت نفس حتّى تستوفِيَ رزقَهَا، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب"(2). يقول التابعي الجليل حسّان بن عطيّة: "كان جبريلُ ينزل على النبيّ بالسنّة كما ينزل عليه بالقرآن".

ج ـ ومن الأخبار الغيبيّة التي تحقّقت: فتحُ القسطنطينيّة: فقد روى عبد الله بن عمرو بن العاص قال: "بينما نحن حول رسول الله ﷺ نكتب إذ سُئِلَ رسولُ الله ﷺ: أيُّ المدينتين تُفْتَحُ أوّلا: قسطنطينيّة أو روميّة؟ فقال رسول الله ﷺ: "مدينة هرقل تفتح أوّلا"(3)، يعني القسطنطينيّة، وقد تحقّقت نبوءته، ففتحها الشاب العثماني المجاهد ابنُ الثالثة والعشرين محمد بن مُرَاد، المعروف بمحمد الفاتح سنة 1453م.

د ـ ومن الأحاديث التي تحقّق فيها الإعجاز العلميّ: ما رواه البخاري بسنده إلى أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إذا وقع الذبابُ في شراب أحدكم فليغمسه ثم لينزعه فإنّ في إحدى جناحيه داءً والأخرى شفاءً"(4).

---

(1) الرسالة للإمام الشافعيّ 86 [طبعة 1 ـ 1408هـ/ 1988م ـ الناشر مركز الأهرام للترجمة والنشر ـ القاهرة].

(2) محاضرات في علوم الحديث 1/99. وانظر مقولة حسّان في " ـ سنن الدارميّ ـ المقدّمة ـ باب السنّة قاضية على كتاب الله 1/117 حديث 594 ـ فتح الباري 13/305.

(3) سنن الدارمي 1/37 حديث 486 ـ المستدرك 4/468 حديث 8301 ـ مصنّف ابن أبي شيبة 4/219 حديث 1946 ـ مسند أحمد 2/176.

(4) صحيح البخاري - كتاب بدء الخلق - باب إذا وقع الذباب في شراب أحدكم - متن فتح الباري 6/414 حديث 3320. كتاب الطبّ ـ باب إذا وقع الذباب في الإناء 10/260 حديث 5782.

يعدّ هذا الحديثُ من معجزات الرسول ﷺ الطبّيّة فقد أثبتت التجارِبُ العلميّةُ الحديثةُ. . أنّ هناك خاصيّة في أحَدِ جناحي الذباب، وهي أنّه يحمل البكتيريا، فإذا سقط في شراب أو طعام وألْقَى تلك الجراثيمَ العالقةَ بأطرافه في ذلك الشرابِ أو الطعام فإنّ أقربَ مبيدٍ لتلك الجراثيمِ هو مبيدُ البكتيريا الذي يحملُهُ في جوفه قريباً من أحَدِ جناحيه. . وهو ما اكتشفَهُ العلمُ حديثا وسمّاه " مبيد الجراثيم " أو " مفترس الجراثيم " ولذا فإنّ غَمْسَ الذباب كلّه وطرحه كافٍ لقتل الجراثيم وإبطالِ عملها. فمن علّم الرسولَ ﷺ هذه الحقائقَ العلميّةَ ؟، إنّه الله عن طريق الوحي.

هل معجزة الرسول ﷺ محصورة في الوحي ؟:

ليس المراد حصرَ مُعجزاته ﷺ في الوحي وفي القرآن وإنّما المرادُ أنّه المعجزة العظمى التي اختصّ بها دون غيره من الأنبياءِ.

ما يستفاد من الحديث:

1 ـ معجزة الإسلام الكبرى هي الوحي من الله تعالى.

2 ـ القرآن أعظم المعجزات، وأفيدها وأدومُها، وسيبقى حيّا ناطقا برسالة الإسلام، محفوظا من التبديل والتغيير يتحدّى الخليقة إلى قيام الساعة.

3 ـ الوحيُ يشمُلُ القرآنَ والسنّةَ الصحيحةَ النسبةِ إلى رسول الله ﷺ. فهُمَا مصدران عُلْويّانِ لا يأتيهما الباطلُ، وُصِلَ الرسولُ فيهما بربّه عزّ وجلّ.

4 ـ الإسلامُ موعود بالانتشار في شتّى أصقاع الأرض.

5 ـ سيبقى الإسلامُ دينًا قويمًا صحيحًا غَضًّا كما نزل على محمّد ﷺ، ما بقي القرآنُ والسنّة.

6 ـ وحي القرآن وحي جَلِيّ، نزل على قلب محمد ﷺ لفظًا ومعنًى في اليقظة عن طريق مَلَكِ الوحي جبريل عليه السلام، أمّا وحْيُ السنّة فقد يكون جليّا وقد يكون خَفِيّا أي عن طريق الرؤيا في المنام، أو الإيحاء والإلهام، والبثّ في الروع.

7 ـ ملك الوحي جبريلُ عليه السلام يتَّصِفُ بالقوّة ﴿ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ [81 التكوير: 20]، ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ [53 النجم: 5]، وقد يراه النبي ﷺ في صورته الملائكيّة له أجنحة. وقد سدّ الأفق، وقد يتشكّل في شكل بشر كأعرابيّ مثلا، وكثيرا ما يتمثّل في صورة الصحابيّ الجليل الوسيم " دَحْيَة بن خليفة الكلبيّ ".

8 ـ يلقى النبيُّ عند نزول الوحي عليه شدّةً، فتغشاه غَفْوَة خفيفة، ويثقُلُ بدنُهُ الشريفُ، ويتفصّد جبينُهُ عَرَقًا[1].

* * *

(1) انظر شرح الحديث في فتح الباري 8/619 ـ 624، 13/261 ـ 262.

قائمة الأحاديث المشروحة

فهرس الرواة المترجم لهم[1]

(1) إذا تكرّر ذكرُ الراوي في أكثرِ من حديثٍ فترجمتُهُ تكون في الحديثِ المذكورِ أوّلا.

الحديث رقم

الحديث رقم

فهرس المصادروالمراجع

1 ـ الأدب المفرد ـ الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري [ت256هـ].
مكتبة الآداب ـ 1400هـ/ 1979م ـ القاهرة.
2 ـ الاستيعاب ـ ابن عبدالبرّ [ت463هـ] مطبوع على هامش الإصابة لابن حجر العسقلانيّ.
3 ـ الإصابة ـ الإمام الحافظ أحمد بن عليّ بن حَجَر العسقلاني[773 ـ 852 هـ]
ط1 ـ 1328هـ ـ مطبعة السعادة ـ القاهرة ـ مصر.
4 ـ الأعلام ـ خير الدين الزركليّ. ط3 ـ 1970م ـ بيروت ـ لبنان.
5 ـ بلادنا فلسطين ـ مصطفى مراد الدبّاغ.
ط2 ـ 1393هـ / 1973م [مطبوعات رابطة الجامعيين بمحافظة الخليل]
منشورات دار الطليعة ـ بيروت ـ لبنان.
6 ـ بلوغ الأمانيّ من أسرار الفتح الربّانيّ ـ أحمد عبد الرحمن البنّا الشهير بالساعاتيّ [ت1378هـ/ 1958م] (طبع على هامش الفتح الربّانيّ في ترتيب مسند أحمد بن حنبل الشيبانيّ) ـ دار الحديث ـ الغوريّة ـ القاهرة.
7 ـ تاريخ فلسطين القديم منذ أوّل غزو يهوديّ حتّى آخر غزو صليبيّ.
ظفر الإسلام خان. ط5 ـ 1406هـ/ 1986م ـ دار النفائس بيروت ـ لبنان.
8 ـ تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي ـ الإمام الحافظ أبوالعلا محمد عبد الرحمن بن عبدالرحيم المباركفوري [1283 ـ 1353هـ] ـ ضبطه وراجع أصوله وصحّحه عبدالرحمن محمد عثمان ـ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
9 ـ تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي ـ خاتمة الحفّاظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطيّ [ت911هـ] ـ مطبعة السعادة بمصر.
10 ـ تذكرة الحفّاظ ـ الذهبي [ت748هـ] ـ دار إحياء التراث العربيّ ـ بيروت.
11 ـ التعديل والتجريح لمن خرّج له البخاري في الجامع الصحيح ـ أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي [ت474هـ] ـ ط1 ـ 1406هـ/ 1987م ـ دار اللواء للنشر والتوزيع ـ الرياض.
12 ـ تغيّر الأحكام في الشريعة الإسلاميّة ـ د. إسماعيل كوكسال.
ط1 ـ 1421هـ/ 2000م ـ مؤسّسة الرسالة ـ بيروت ـ لبنان.
13 ـ تهذيب التهذيب ـ الإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني[773ـ 852 هـ]

ط1 ـ 1325هـ حيدر آباد الدكن ـ الهند.
14 ـ جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم.
زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين بن أحمد بن رجب الحنبلي البغدادي [ت 700هـ] ـ دار الجيل ـ بيروت ـ لبنان.
15 ـ اِحْذَرُوا الأساليبَ الحديثة في مواجهة الإسلام ـ سعد الدين صالح [ت2003م].
ط7 ـ 1420هـ/ 2000م. مكتبة الصحابة، الشارقة ـ الإمارات. مكتبة التابعين، عين شمس ـ القاهرة.
16 ـ الإحسان في تقريب صحيح ابن حبّان [الحافظ الإمام العلامة أبي حاتم محمد بن حبان البستيّ ـ ت354هـ]. ـ بترتيب الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسيّ [ت739هـ] ـ ط1 ـ 1408هـ/ 1988م ـ مؤسّسة الرسالة ـ بيروت، لبنان.
17 ـ الروض المعطار في خبر الأقطار ـ محمد بن عبد المنعم الحميريّ.
ط2 ـ 1984م ـ مكتبة لبنان ـ بيروت.
18 ـ زهر الربى على المجتبى ـ الحافظ جلال الدين السيوطيّ [ت911هـ] مطبوع على هامش سنن النسائيّ.
19 ـ سنن الترمذي ـ أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذيّ [209/ 279هـ] حقّقه أبو الأشبال أحمد محمد شاكر (الجزء1 +2)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (الجزء3) وإبراهيم عطوة عوض (الجزء 4 + 5) ـ ط1ـ تواصلت من 1356هـ إلى 1388هـ مصطفى البابي الحلبي ـ القاهرة، مصر.
20 ـ سنن الدارميّ ـ أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارميّ [ت255هـ] ـ تحقيق عبد الله هاشم يمانيّ ـ 1386هـ / 1966م ـ المدينة المنوّرة.
21 ـ سنن أبي داود ـ أبو داود سليمان بن الأشعث السجستانيّ [ت275هـ] أشرف على طبعه وترقيمه وإعداد فهارسه د.بدر الدين جين أر ـ موسوعة الكتب الستة وشروحها ـ ط2 ـ 1413هـ/ 1992م ـ دار سحنون، تونس.
cagri yayinlari ـ إسطنبول.
22 ـ سنن ابن ماجه ـ أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه[ت275هـ]
حقّقه وعلّق عليه محمد فؤاد عبد الباقي ـ ط1 ـ عيسى البابي الحلبي ـ القاهرة.
23 ـ سنن النسائيّ ـ أبو عبد الرحمن بن شعيب النسائي [ت303هـ] ـ حقّقه الشيخ عبد الفتاح أبو غدة ـ ط 2 ـ 1986م ـ دار البشائر الإسلاميّة، مصوّرة عن طبعة المطبعة

المصرية بالقاهرة سنة 1930م.
24 ـ السيرة النبويّة ـ أبو محمد عبد الملك بن هشام [ت218هـ] تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي ط2 ـ 1375هـ/ 1955م مصطفى البابي الحلبيّ ـ القاهرة ـ مصر.
25 ـ صحيح مسلم: وقف على طبعه وتحقيق نصوصه، وتصحيحه، وترقيمه، وعدّ كتبه وأبوابه وأحاديثه، وعلّق عليه ملخّص شرح النوويّ مع زيادات عن أئمّة اللغة: محمد فؤاد عبد الباقي. ط1ـ 1374هـ/ 1955م ـ عيسى البابي الحلبيّ، القاهرة، مصر.
26 ـ صحيح البخاريّ: انظر متن فتح الباري.
27 ـ طبقات الحفّاظ ـ الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطيّ [849 ـ 911هـ] ط1 ـ رجب 1393هـ أغسطس 1973م ـ مكتبة وهبة ـ عابدين ـ القاهرة ـ مصر.
28 ـ عون المعبود شرح سنن أبي داود، مع "تهذيب المختصر" وهو شرح الحافظ ابن القيّم الجوزيّة ـ العلامة شرف الحقّ الشهير بمحمّد أشرف بن أمير عليّ بن حيدر الصدّيقي المُكنّى بأبِي الطيّب العظيم آبادي [توفّي في القرن 14هـ]. ضبط وتحقيق عبدالرحمن محمد عثمان. ط2 ـ 1389هـ / 1969م ـ مؤسّسة قرطبة ـ القاهرة مصر.
29 ـ فتح الباري بشرح صحيح الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري [ت256هـ]. الإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني 773/852 هـ
قام بتحقيقه وتصحيح تجاربه مُحِبُّ الدين الخطيب. رقّم كتبه وأبوابه وأحاديثه، واستقصى أطرافها ونبّه على أرقامها في كلّ حديث: محمد فؤاد عبد الباقي. راجعه: قُصيّ محبّ الدين الخطيب.
ط1 ـ 1407هـ/ 1987م ـ دار الريّان للتراث ـ القاهرة.
30 ـ الفتح الربّاني في ترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني ـ أحمد عبد الرحمن البنا الشهير بالساعاتي [1301/1378هـ]. دار الحديث ـ الغوريّة ـ القاهرة.
31 ـ قذائف الحقّ ـ محمد الغزالي ـ منشورات المكتبة العصريّة ـ صيدا ـ لبنان.
32 ـ الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستّة ـ للإمام الذهبيّ ت748هـ ـ تحقيق عزّت علي عيد عطيّة و موسى محمد علي الموسى ـ ط1 ـ 1392هـ/ 1972م دار النصر للطباعة، دار الكتب الحديثة ـ القاهرة.
33 ـ مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ـ لصفيّ الدين عبد المؤمن بن عبد الحقّ البغداديّ [ت739هـ]، وهو مختصر معجم البلدان لياقوت.

ط1 ـ 1374هـ / 1955م ـ عيسى بابي الحلبيّ ـ القاهرة.
34 ـ المرأة بين حقائق الإسلام وأباطيل الغرب ـ د. يحيى هاشم حسن فرغل ـ 1420هـ/ 1999م ـ دار البيان للنشر والتوزيع ـ مدينة نصر ـ القاهرة.
35 ـ المرأة بين طغيان النظام الغربيّ ولطائف التشريع الربّانيّ ـ د. محمد سعيد رمضان البوطيّ ـ ط1 ـ 1417هـ/ 1999م ـ دار الفكر ـ دمشق ـ سورية، دار الفكر المعاصر ـ بيروت لبنان.
36 ـ المرأة بين الفقه والقانون ـ الدكتور الشيخ مصطفى السباعيّ ـ ط7 ـ1420هـ/ 1999م ـ دار الورّاق للنشر والتوزيع ـ بيروت.
37 ـ المستدرك على الصحيحين ـ الإمام الحافظ أبو عبدالله محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري ت403هـ مع تضمينات الإمام الذهبيّ ت748هـ في التلخيص والميزان، والإمام زين الدين العراقي ت806هـ في أماليه، والإمام عبد الرؤوف المناوي ت1031هـ في فيض القدير، وغيرهم من العلماء الأجلاء ـ تحقيق مصطفى عبد القادر عطا ـ ط1 ـ 1411هـ / 1990م. دار الكتب العلميّة ـ بيروت.
38 ـ المسند ـ الإمام أحمد بن محمد بن حنبل أبو عبد الله [ت241هـ] ـ ط1 ـ 1389هـ ـ المكتب الإسلاميّ ـ دار صادر ـ بيروت.
39 ـ معالم السنن (شرح سنن أبي داود) ـ أبو سليمان حمد بن محمد الخطّابي البستيّ [ت388هـ] ـ ط2 ـ 1401هـ/ 1981م ـ المكتبة العلميّة ـ بيروت ـ لبنان.
40 ـ معجم البلدان ـ الشيخ الإمام شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحمويّ الروميّ البغداديّ [ت 626هـ] ـ ط1 ـ 1410هـ/ 1990م ـ دار الكتب العلميّة ـ بيروت ـ لبنان.
41 ـ المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجّاج ـ الإمام محيي الدين النوويّ [ت676هـ] ـ ط2 ـ 1392هـ/ 1972م ـ دار إحياء التراث العربيّ ـ بيروت. لبنان.
42 ـ الموطّأ ـ الإمام مالك بن أنس [ت 179 هـ] ـ وقف على طبعه وتحقيق نصوصه، وتصحيحه، وترقيمه، وعدّ كتبه وأبوابه، وأحاديثه، والتعليق عليه ـ محمد فؤاد عبد الباقي ـ موسوعة الكتب الستة وشروحها ـ ط2 ـ 1413هـ/ 1992م ـ دار سحنون، تونس. cagri yayinlari ـ إسطنبول.
43 ـ النهاية في غريب الحديث ـ للإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزريّ ابن الأثير [544 ـ606هـ] ـ دار إحياء الكتب العربيّة [فيصل عيسى البابي الحلبي] ـ بدون بيان رقم الطبعة ولا تاريخها.

LECTURES IN ANALYTICAL HADITH

Professor Doctor

Boulbaba Tahar Hassine

Former Chancellor of Zeitouna University

Professor of Sunna in the United Arab Emirates University



DAR AL-GHARB AL-ISLAMI